

الإنسان والفلك

حسن ظاظا
كشكول الفكر

محمد بن دخيّل
القلم لا القضاء

الأجيال الثلاثة
لمدرسة فرانكفورت



الافتتاحية

ارتباط الإنسان بالفلك يأخذ مسارات متعددة ولا نهائية، ليس أولها الارتباط الروحي عبر المعتقدات والأديان، ولن يكون آخرها نماذج الاستعمار التي تذهب نحو الفضاء والفلك؛ ليس لاستعمار الكواكب أو استيطان النجوم، بل لاستعمار المجرات، على النحو الذي يتحدث به إيلون ماسك الذي يرى أن الجنس البشري مهدد بالانقراض نظراً لوجوده على كوكب الأرض فقط، إذ ربما تعرضت الأرض لنيزك متوحش أو كارثة بيئية مفاجئة يُباد على إثرها جنس البشر، ولهذا يجب أن يفكر البشر في الهجرة نحو الأفلاك والفضاءات واستعمار بعض مجراتها هائلة العدد. وهذا أحد أشكال الارتباط بالفلك سعياً نحو خلود الجنس البشري وعدم انقراضه.

غير أن الذهن العاطفي يستحضر حال حضور الحديث عن الفلك والفضاء علاقتها بعلم الأبراج والطوالع والتنجيم ومجال الطاقات والجذب ونحوها، وهي دون شك محل إثارة واستثارة متداولة لدى مختلف الشعوب وعلى مر الأزمان، إلا أن المستجد الأحدث في العصر الراهن حيال مبحث الأفلاك والفضاءات يرتبط بالتقنية الرقمية التي أصبحت مرادفاً للحياة الواقعية، فكلنا نردد مثلاً عبارة (الفضاء الافتراضي، والسماوات المفتوحة، والغلاف الجوي المعلوماتي.. وغيرها).

لقد انتقلت البشرية من الحياة افتراضياً في الفلك والفضاء عبر الارتباط بالأنواء والطوالع والأنجم والممارسات الروحية والشعائرية والدينية، إلى الحياة الفعلية في الفضاءات الرقمية والأفلاك الافتراضية، فكل أنشطة البشرية اليوم وتعاملاتها ومعاملاتها تتم في السحائب الذكية ضمن منظومة الحضارة الرقمية بمفهومها الواسع.

ستمضي البشرية مشدوهة ومشدودة إما روحياً ووجدانياً، أو علمياً وبحثياً، إلى السماء وما علا من أفلاك وأنجم ومجرات وفضاءات، وسيكون السؤال الأبرز للقطر العربي الذي تتجه إليه مجلة الثقافة العربية (المجلة العربية) أين موقع المركبة الفضائية العربية في قاطرة المركبات البحثية والعلمية والتصنيعية العالمية؟ فمن يدري، ربما جاء اليوم الذي يتمكن فيه البشر من الانتشار في الأفلاك والمجرات واستعمارها واستيطانها؟!

رئيس التحرير



العـــدد

552

سبتمبر 2022 م | صفر 1444 هـ

رئيس التحرير

محمد بن عبد الله السيف

مدير التحرير

عبد العزيز الصقعبي

سكرتيرا التحرير

عبد الرحمن الشايع

سعيد الدحية الزهراني

هيئة التحرير

عبدالعزيز المزيني

بدر عبدالله السند

محمد العميريني

www.arabicmagazine.com

لمراسلة المجلة على الإنترنت
info@arabicmagazine.com

الرياض: طريق صلاح الدين الأيوبي (الستين) - شارع المنفلوطي

تليفون: 966-11-4767345 966-11-4777943

فاكس: 966-11-4766464

ص.ب 5973 الرياض 11432

للاشتراك في المجلة العربية

059 725 0837

للتواصل مع هيئة التحرير

059 791 8330

صفحة المجلة العربية على مواقع التواصل

arabic1975

@arabic_mag

arabic_mag

امتياز التوزيع



هاتف مباشر: 4871389 | **هاتف:** 4871414 **فاكس:** 4871460 | **تلكس:** 406725 **كوندس إس جي** | **ص.ب:** 84540 - **الرياض** 11671

الرياض 4871414	الباحة 7251869	الدمام 8112222
الزلفي 4222343	القصيم 3821942	القريات 6424512
أبها 2245984	الدوادمي 6423365	الطائف 7327711
الحوطة 5550777	المدينة 8361332	حفر الباطن 7222100
حائل 5323231	الجوف 6246733	تبوك 4230096
بيشة 6223073	مكة 5377730	جازان 3170381
جدة 6390333	ينبع 3223679	الأحساء 5922381
الخرج 5484020	نجران 5322654	عرعر 6625741

بورتريه

إبراهيم أحمد حلّوش



إبراهيم أحمد حلّوش، شاعر سعودي من مواليد مدينة بيش بمنطقة جازان 1399هـ. يحمل دبلوم محضري المختبرات المدرسية، وبكالوريوس اللغة العربية من جامعة أم القرى، عضو الجمعية العمومية بنادي أبها الأدبي، فاز بالتميز الشعري في جائزة أبها للتعليم العالي في مجال الشعر الفصيح لعامين متتاليين، وبالمركز الأول في مسابقة الوطن في عيون الشعر التي نظمتها وزارة الثقافة والإعلام للشعراء الشباب على مستوى المملكة، كما فاز بالمركز الأول في كثير من المسابقات الشعرية في فضاء الإنترنت، له عدد من الأعمال والأوبريتات الوطنية والاجتماعية والثقافية، كما شارك في العديد من المناسبات الثقافية محلياً وعربياً، وله ديوانان فصيحان مخطوطان، وديوان نبطي مخطوط، وكتاب مخطوط، وأهزوجات وأناشيد ومسرحيات للطفل، وألبوم أناشيد اجتماعية وطنية بعنوان: مورد الحب.

كتاب العدد

حضارة العرب قبل الإسلام

يدرس هذا الكتاب المجتمع العربي في شبه الجزيرة العربية من كافة جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية. مبيناً كيف كان المجتمع، وكيف أصبح بعد أن أشرقت شمس الإسلام على العرب. ويُبرز دور العرب في الحضارة الإنسانية، كما يردّ على ادّعاء أن العرب قبل الإسلام كانوا أهل بداوة وصراعات وحروب، ويؤكد على أن العرب كانوا أهل طور حضاري في مسيرة الحضارة البشرية، وكانت لهم حياتهم الدينية ومعبوداتهم الخاصة. ويتعرف على جوانب من حياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

الغلاف الخلفي



سوق القيصرية في الأحساء، شرق السعودية، وسط مدينة الهفوف. يمتد تاريخه المكاني لأكثر من ستة قرون، بينما تاريخ البناء له الآن 200 سنة، فقد بُني على الطراز العثماني عام 1822م، وكان عبارة عن صفوف من الدكاكين الصغيرة المسقوفة؛ لكنها في ممرات مغلقة، وفي عهد المؤسس الملك عبد العزيز طيب الله ثراه رمم على الطراز المعماري لمنطقة الأحساء؛ بحيث تكون الممرات مفتوحة. السوق يرسّخ إرثاً حضارياً عريقاً، حيث العادات والحرف اليدوية والمهنية، كما اشتهر منذ القدم وحتى يومنا هذا ببيع (البشت الحساوي) وغيرها مما اشتهرت به الأحساء.

سعر العدد

السعودية 10 ريالات | الكويت دينار واحد | الإمارات 10 دراهم | قطر 10 ريالات | البحرين دينار واحد | عمان 800 بيسة | مصر 5 جنيهات ليبيا 400 درهم تونس ديناران | الجزائر 2 يورو | المغرب 10 دراهم | موريتانيا 40 أوقية | السودان 300 قرش | الصومال 100 شلن | سوريا 200 ليرة | لبنان 4000 ليرة الأردن دينار ونصف | اليمن 100 ريال | بريطانيا 4 يورو | الاتحاد الأوروبي 4 يورو | أمريكا 4 دولار | كندا 4 دولار | أستراليا 4 دولار

الاشـــتراك الســــنوي: سعر الاشتراك الفردي (140) ريالاً سعودياً أو ما يعادلها سعر الاشتراك الحكومي (400) ريال سعودي.

بورتريه العدد بريشة: رضوان الرياحي



خطف بصري

120

الإبداع

وكلاء توزيع المجلة العربية

مؤسسة الهلال للتوزيع - البحرين 0097317534559 | شركة الإمارات للتوزيع - الإمارات 0097143916501 | دار الشرق للتوزيع - قطر 0097445578I0 | مؤسسة العطاء للتوزيع - سلطنة عمان 0096824492936 | المجموعة الإعلامية العالمية - الكويت 009654826820 | الشركة العربية الإفريقية للتوزيع والنشر والصحافة - المغرب «الدار البيضاء» 341622/341621 مؤسسة الأهرام - مصر «القاهرة» 002025786100 | الشركة التونسية للصحافة - تونس: فاكس 332499 - 343004 | المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات - سوريا «دمشق» 223772 الدار العربية للنشر والتوزيع - اليمن «صنعاء» فاكس: 331797 جوال: 00967711523996 | وكالة التوزيع الأردنية أرامكس ميديا - الأردن 0096265358855

خارج المملكة (250) ريالاً (أو ما يعادلها) للهيئات (120) ريالاً (أو ما يعادلها) للأفراد.

رقم الإيداع 15/1881 ردمك ISSN: 101103460

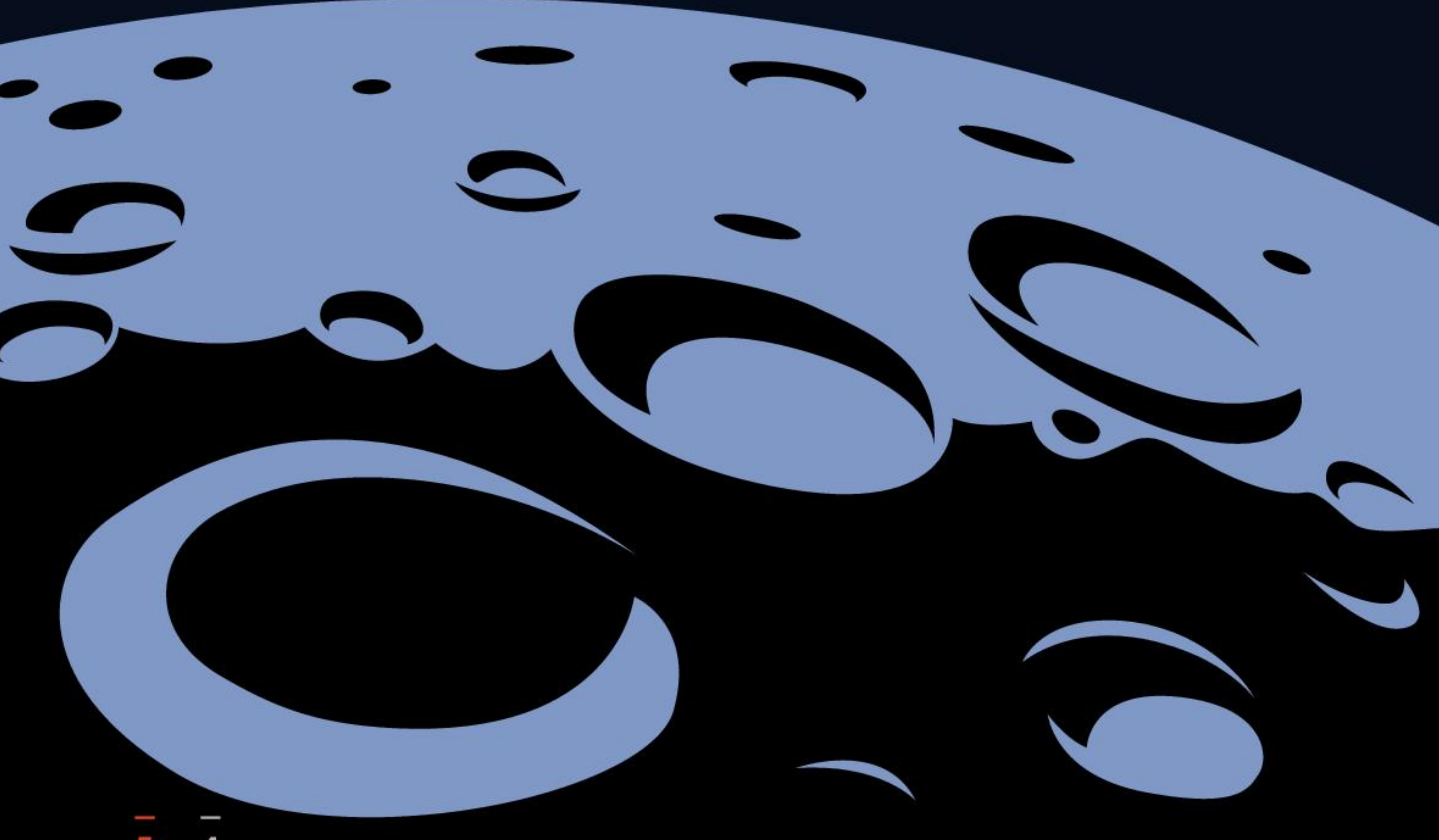
الإنسان والفلك

من استعمار الطاقات إلى استعمار المجرات

فريق مراسلي المجلة العربية:
عبدالرحمن الخضيري: الرياض | داليا عاصم: مصر | منى حسن: السودان
أسمهان الفالح: تونس | محمد العقيلي: الأردن

يعد علم الفلك من أقدم العلوم الطبيعية، لدراسته الظواهر الفلكية والأجرام السماوية، وهو علم متجدد بتجدد التقنيات الحديثة، والاكتشافات بواسطة الرحلات الفضائية. ومن خلال معرفة الناس بهذا العلم منذ القدم استطاعوا معرفة الأوقات ومواسم الأمطار، وكل ما له علاقة بالمناخ والطبيعة. من جانب آخر كان هنالك زائف بعلاقة الظواهر الفلكية بالبشر، وحول هذه الجدلية دارت الخرافات والحقائق والأساطير والأوهام والأحلام.. إلى أن أصبحت اليوم ميداناً للحروب الدولية نحو السيطرة على الفضاء، وبالتالي فرض الهيمنة الكبرى.

المجلة العربية تناقش ملف الفلك والفضاء والمجرات، من خلال جملة من المحاور، أبرزها: تقديم لمحة حول تاريخ علاقة الإنسان بالفلك والمجرات والتصورات الفضائية، إلى جانب مناقشة الاتجاه المركز في السنوات الأخيرة نحو استعمار المجرات على النحو الذي يطرحه إيلون ماسك، كذلك حضور الفضاء في جانب حروب الدول الكبرى للاستحواذ على الفلك واستعماره بالأقمار والمكوكات الفضائية، وتوجيه نظرة حول التنجيم وعلم الأبراج والطالع النجمي وما يتصل بها من وهم أو أساطير أو حقائق، واستحضار العلاقة بين التطورات الاتصالية الرقمية الحالية وعلم الفلك والفضاء.



هل الأبراج والنجوم تؤثر في الإنسان؟


عبدالله المسند: عنيزة

فُطر الناس على حب كشف المستقبل، فسعى بعضهم إلى سلوك طرق شتى: فمنهم من يلهث وراء تفسير المنامات والرؤى، ومنهم من يطلبها لدى الدجالين من المنجمين، ومنهم من يرتاد أوكار الكهنة والسحرة سعياً لكشف الغيب، زعموا!. علم الأبراج Astrology أو التنجيم، هو قديم يعود عمره لنحو أربعة آلاف سنة، ويُقال أول ما ظهر لدى البابليين في العراق ثم انتشر.

تعرّف البروج: بأنها مجموعة نجوم في القبة السماوية، وبالتحديد في مسار فلك الشمس السنوي، والذي تسبح فيه (ظاهرياً)، وهي 12 برجاً، تنزل الشمس في كل برج نحو 30 يوماً اصطلاحاً، وفي الواقع يختلف من برج لآخر، وكل برج يشتمل على بضعة نجوم تأخذ شكل إنسان أو حيوان أو نبات أو جماد، وفلك البروج هو أيضاً مسار القمر والكواكب بالإضافة إلى الشمس، ويقصدون ببرجك: البرج الذي يقع خلف الشمس (بمعنى أن الشمس نازلة فيه) إبّان ولادتك (يوم ميلادك)، ويزعم المنجمون أن لكل برج صفات عامة، فمن يولد في هذا البرج الذي نزلت فيه الشمس فإنه يتصف بهذه المميزات.
والتنجيم يبحث في تأثير الأجرام السماوية، وبخاصة الشمس والقمر والكواكب على صحة الإنسان وسلوكه، والبعض يقرأ من خلالها الطالع، فيُخبرك عن المستقبل اعتماداً على مواقع بعض الأجرام في السماء، حسب زعمهم.
ومعرفة المستقبل عبر نافذة النجوم والتنجيم حدس وتخمين، ومعظم مُريديها من الجهال أو النساء، والتنجيم محرم، لأنه مبني على حدس وأوهام، فلا علاقة ولا أثر للأجرام السماوية على الإنسان بالشكل الذي يزعمه الكاهن، والأبراج من عمل الإنسان 100 %، فهو الذي قسمها وسماها، ووضع طولها الزمني، وحدد خصائصها وقوتها وضعفها، ثم سوّقها على الجهلة من الناس، والحق أنه لا يوجد (حسياً) جرم سماوي يؤثر على الإنسان سوى كوكب الأرض، والشمس، في حين أن القمر فيه جدل حوله، خصوصاً عندما يكتمل بدراً، ولم يثبت علمياً حتى الآن أن له تأثيراً على الإنسان حسب علمي.
البروج تخريف وتنجيم وتخمين لا يتكئ على أدلة شرعية، ولا أسس علمية، ولا تجارب عملية، ولا شواهد حسية، ولا مبادئ عقلية، ولا يخضع للاختبار التجريبي. هو مجرد كذب ودجل، وأكل أموال الناس بالباطل، بل ثبت علمياً خطأ ودجل وكذب المنجمين حيال تأثير البرج على شخصية المولود بنتيجة رقمية تدحض ما يسمى زوراً (علم) التنجيم. ومن أصدق الأدلة المحسوسة، كون البروج والنجوم لا تؤثر على سلوك وصحة الإنسان؛ طالع وضع التوائم والمولودين في ساعة واحدة، ستجد الفروق بينهم كما بين الثرى والثريا، وحتى تُدرك حقيقة عالم الأبراج اقرأ عن فيزياء الكون، وحقيقة الأجرام السماوية، وموقف الإسلام من الأبراج والتنجيم.
والمنجمون يقدمون لك كلاماً فضفاضاً وعاماً يصلح أن يتنزل عليك وعلى أخيك وأبيك وأمك وكل إنسان على ظهر البسيطة، ويدعي المنجم أنه يعلم الغيب، وأخيراً مقولة (كذب المنجمون ولو صدقوا) ليست بحديث.
والفلكيون يدركون أن هناك زحزحة في شأن دخول ونزول الشمس في الأبراج، بمقدار برج واحد تقريباً، وتُدعى هذه الظاهرة بمبادرة الاعتدالين، وهي أربكت المنجمين، وظلوا يحسبون على طريقتهم القديمة، ولن تعود البروج كما كانت في بداية ظهور التنجيم إلا بعد 24 ألف سنة، من هنا يتبين دجل وجهل هؤلاء، والمنجمون يبنون خزعبلاتهم على منظومة فلكية قبل نحو ألفي سنة، وهي تغيرت الآن وهم لم يتغيروا، والواقع أن المجلات والجرائد والشاشات المحترمة في كل العالم لا تعرض شيئاً من هذا. ثم إن البروج لا تنضبط بأحجام معينة، فنجد الشمس تنزل في بعضها نحو 10 أيام، وأخرى أكثر من شهر، وهذا يضرب آلية التنجيم بمفصل، بل بسبب مبادرة الاعتدالين أصبح حساب الأبراج في حيص بيص، لأن الزحزحة السنوية لم تؤخذ بعين الاعتبار من قبل المنجمين، وملخص ما مضى أقول: إن علم التنجيم أو علم البروج وقراءة الطالع مهزلة وهرطقة وخدش في العقيدة.
وأتعس الناس هم المنجمون، ولو علموا ما لم نعلم لنفعوا أنفسهم، والتنجيم شغلة لا يعترف بها علم، ولا يُصدقها عقل، ولا يطمئن لها قلب، والعلويات ليس لها تأثير بالسفليات.

من استعمار الطاقات إلى استعمار المجرات


عايد بن سليمان الرحيلي: جدة

ارتبط الإنسان منذ القدم بالنظر إلى السماء، ذلك البناء البديع والمجهول بالنسبة له. تارة بدافع الفضول إلى ما يحتويه من أجرام مختلفة تسير بحركات متباينة، وتارة أخرى بدافع تفسير بعض الظواهر التي يراها يومياً وشهرياً وسنوياً، كحركة الشمس وتعاقب الليل والنهار وظهور القمر بأطوار مختلفة، وظواهر الكسوف والخسوف، وظهور البروج النجمية في مواسم معينة واختفائها في مواسم أخرى، وعلاقاتها المحتملة بتغيرات الطقس وهطول الأمطار. وامتد ذلك الفضول إلى الشعراء بالتماس جمال بزوغ البدر وتلألؤ النجوم والكواكب في إبداع الأبيات الشعرية التي تصف هذا الجمال، ومن ثم مقارنة ظهور واختفاء بعض النجوم ظاهرياً بواقعهم في تقلب وصعود وهبوط رموزهم الاجتماعية. وكان ولا يزال السؤال الملح في وجدان أكثر الناس عن احتمالية وجود حياة أخرى في أعماق الفضاء، أو على الأقل قدرة الإنسان أن ينتقل بالعيش إلى كواكب أخرى.

ومن أبرز ما يدل على اهتمام الإنسان في مختلف الحضارات، على سبيل المثال: العربية أو البابلية أو الإغريقية.. أو غيرها، منذ القدم بالسماء وتشكيلات النجوم؛ هي تسمية الكوكبات النجمية (وهي مجموعات النجوم التي تظهر في بقعة معينة بالسماء بلمعان مختلف)، بمسميات نابعة من بيئتهم وثقافتهم. حيث استفادوا من ظهور بعض هذه الكوكبات في معرفة مواسم بذرهم وحصادهم، وكذلك في معرفة الاتجاهات أثناء سفرهم وترحالهم.

وعلى النقيض من ذلك، ظهرت الخرافات من خلال ربط ظهور أجرام معينة بظهور أحداث كونية أو سياسية أو اجتماعية، ليعتقدوا بتأثيرها على مصير الإنسان وحظه في الحياة.

لا شك أن تطور أدوات التقنية والمعرفة التراكمية أدت لتصحيح كثير من المفاهيم المغلوطة عن الكون. فقد سببت الحركة الظاهرية للشمس وبقية الأجرام السماوية للمشاهد على سطح الأرض في اعتقاد نموذج مركزية الأرض أيام (أفلاطون) و(أرسطو) في القرن الرابع قبل الميلاد، ثم بعد ذلك وضع أسسها (بطليموس) في القرن الثاني الميلادي، باعتبار أن الأرض هي مركز الكون وجميع الأجرام السماوية تدور حولها. إلا أن هذا النموذج وجد إشكالات كثيرة من أهمها الحركة التراجعية للكواكب والتي تظهر في تغيير اتجاه حركة الكوكب دورياً غرباً للخلف. إذ لو كان هذا النموذج صحيحاً لاستمرت الكواكب في حركتها من الغرب إلى الشرق بالنسبة للمشاهد على الأرض عبر خلفية النجوم. تحسن هذا النموذج على يد (كوبرنيكوس) في القرن الخامس عشر الميلادي في فكرة مركزية الشمس، وأن جميع الكواكب تدور حولها، وساعد في ترسيخ هذا النموذج بعد ذلك الأرصاد المهمة التي قام بها الفلكي الإيطالي (جاليليو) من خلال تلسكوبه الذي ابتكره في القرن السابع عشر الميلادي في رصد دوران أقمار كوكب المشتري حوله، والتي تتنافى مع مركزية الأرض، وكذلك أطوار كوكب الزهرة والتي تشبه أطوار القمر



بسبب حركته حول الشمس ووقوعه بين الأرض والشمس. ولا ننسى هنا دور العالم (ابن الشاطر) والذي سبق (كوبرنيكوس) في فكرة دوران الكواكب حول الشمس.
واليوم نعلم أن الشمس ما هي إلا نجم متوسط في حجمه بالنسبة لمليارات النجوم داخل مجرتنا درب التبانة، حيث يقدر عدد نجومها بحوالي 250 مليار نجم. وما مجرتنا إلا مجرة من ضمن مليارات المجرات في هذا الكون العملاق الذي بدأ من الانفجار العظيم قبل أكثر من 14 مليار سنة.
ساهم التقدم العلمي، في مجال الفلك والهندسة والفيزياء والرياضيات، بما في ذلك قوانين (نيوتن) في الحركة والجاذبية وحركة الكواكب للعالم (كبلر)؛ في التراكم المعرفي الذي أدى مع التقدم التكنولوجي إلى عصر الرحلات الفضائية، ابتداء من خمسينات القرن الماضي. وقد سبق ذلك تصور الأدباء والكتاب فكرة السفر في أعماق الفضاء والتي كانت تندرج تحت كتابات الخيال العلمي.

لا شك أن رحلات استكشاف الفضاء من بداياته في القرن الماضي إلى الألفية الحالية تعتبر من أهم الإنجازات البشرية، بالتوازي مع إنشاء المراصد والتلسكوبات الأرضية والفضائية لاحقاً. فمنذ محاولات الاتحاد السوفيتي سابقاً في إرسال أقماره الصناعية حول الأرض، إلى هبوط أول إنسان على سطح القمر في نهاية الستينات الميلادية، وبعد ذلك استكشافات الكواكب القريبة من الأرض، وصولاً إلى الكواكب العملاقة وأطراف المجموعة الشمسية، ودراسة الشمس وتأثير إشعاعها ورياحها على الأرض وبقية الكواكب؛ لا يزال فضول الإنسان قديماً، والذي كان يرقب السماء بدافع غريزة استكشاف المجهول ومعرفة أسرار الكون؛ كما هو لم تتغير. إذ لم يكتف بمجوعته الشمسية حالياً، بل أنشأ التلسكوبات الفضائية العملاقة لرصد الأشعة من الفضاء الخارجي، ومحاولة فهم حركة النجوم في أطراف المجرة، وماهية المادة المجهولة في المجرة، والتي تمنع هروب النجوم من أطرافها، بالإضافة إلى سبر أغوار مركز المجرة وثقبها الأسود.

ساهم في ذلك التقدم الفلكي الحديث، وخصوصاً في دراسة الأجرام الفضائية في نطاقات موجية مختلفة تمتد من الأشعة غير المرئية القصيرة عالية الطاقة مروراً بالضوء المرئي إلى الأشعة الراديوية منخفضة الطاقة.

كانت الصبغة العامة في هذا المجال تنافسية بحتة، غذتها الصراعات العسكرية بعد الحرب العالمية الثانية، ورغبة الدول العظمى في بسط هيمنتها وأيديولوجياتها، حيث نجح الاتحاد السوفيتي سابقاً في إطلاق قمره الصناعي (سبوتنيك) في عام 1957م، وبعد ذلك أصبح (يوري جاجارين) في عام 1961 أول رائد فضاء في التاريخ يدور حول الأرض مدشناً ما يعرف بـ(الرحلات المأهولة). أثار ذلك حفيظة الولايات المتحدة الأمريكية ودفعها لتجاوز الإنجاز السوفيتي، وتحقق لها ذلك عن طريق نجاحها في إنزال المركبة (أبولو) على سطح القمر وأصبح (نيل أرمسترونغ) أول إنسان يسير على سطح القمر، وسبق ذلك إرسال مركبات لتحلق بالقرب من المريخ والزهرة والتقاط صور لهما.

وفي منتصف السبعينات الميلادية تمكنت وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) من الهبوط بنجاح ولأول مرة على سطح المريخ عن طريق مركبتها (فيكينج). وفي نهاية التسعينات أصبحت العربة المتجولة (سوجورنر) أول عربة تجري تحليلاً لصخور وتربة المريخ. واستمرت الرحلات لكوكب المريخ في بدايات الألفية عن طريق مركبات مختلفة لتحليل صخورها ولمعرفة ظروف إمكانية الحياة فيها، باعتبار كوكب المريخ الكوكب المرشح الوحيد داخل مجموعتنا الشمسية الذي قد يكون مناسباً لإرسال رحلة بشرية له.

ساهم التعاون الدولي في استمرار الرحلات الفضائية بعد دخول عدة دول إلى هذا المجال، فبالإضافة إلى وكالة الفضاء الروسية والأمريكية؛ ظهرت وكالة الفضاء الأوروبية والكندية والإيطالية واليابانية، ما أسهم في إنشاء محطة الفضاء الدولية، لتستمر الرحلات الاستكشافية إلى الكواكب العملاقة.

لم يقتصر التطور التقني والتعاون الدولي المصاحب له في إرسال المركبات الفضائية، بل في إنشاء التلسكوبات الفضائية التي تتموقع في مدار للأرض خارج الغلاف الجوي متجاوزة عائق حجب بعض الإشعاعات الكهرومغناطيسية من قبل الغلاف الجوي الأرضي، وهو ما يعطي تفاصيل مهمة عن خصائص الأجرام السماوية. فبدأ تشغيل تلسكوب (هابل الفضائي) عام 1990، بتعاون بين وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) ووكالة الفضاء الأوروبية (إيسا)، حيث يرصد في نطاق الأشعة المرئية والفوق البنفسجية وتحت الحمراء. ونذكر كذلك في مجالات التلسكوبات الفضائية على سبيل المثال: تلسكوب (كومبتون) لأشعة جاما الذي أطلق عام 1991، وتلسكوب (شاندرا) للأشعة السينية، وقد أطلق عام 1999، وتلسكوب (كبلر) عام 2009، ويهدف الأخير إلى اكتشاف الكواكب الخارجية، وهو مدخل حديث في علم الفلك، يهدف إلى اكتشاف الكواكب خارج عائلتنا الشمسية وكواكبها الثمانية، إلى كواكب تتبع أنظمة نجمية أخرى عن طريق تتبع تغير لمعان هذه النجوم باحتمالية مرور كوكب أمامها. حيث بدأ فعلياً اكتشاف الكواكب الخارجية عام 1995 م عن طريق عالمي الفلك السويسريين (ميشيل مايور) و(ديديه كيلوز)، وقد فازا بجائزة نوبل في الفيزياء عام 2019 تقديراً لهذا الاكتشاف العلمي.

اكتشاف الكواكب الخارجية أعاد إلى الواقع مجدداً السؤال عن إمكانية السفر برحلات مأهولة إلى كواكب صالحة للحياة أو وجود حياة ذكية في أنظمة نجمية أخرى. نعلم حالياً أن مجموعتنا الشمسية لا يوجد بها كوكب صالح للحياة بحسب خصائص كل كوكب إلا الأرض، فلمَ لا يكون هناك كوكب مشابه للأرض في أنظمة نجمية أخرى؟ حيث نشر في عام 2017 م اكتشاف سبعة كواكب شبيهة بحجم الأرض في المنطقة

القابلة للحياة لأحد النجوم واحتمالية وجود الماء عليها.
آخر المشروعات العملاقة الواعدة التي تم إطلاقها مؤخراً نهاية عام 2021 هو مرصد (جيمس ويب الفضائي)، الذي يعتبر خليفة لـ(تلسكوب هابل الفضائي)، وهو أحد مظاهر التعاون الدولي المشترك بين (ناسا) و(إيسا) ووكالة الفضاء الكندية. حيث يتوقع بثلاثة أضعاف المسافة التي كان عليها (هابل)، وسوف تتركز أرصاده في نطاق الأشعة تحت الحمراء لدراسة نشأة الكون بالإضافة إلى الكواكب الخارجية.
هل يمكننا اختراق المسافات السحيقة في أعماق الكون، والسفر إلى كواكب بعيدة قد تكون صالحة للحياة؟ أم بشكل أبسط من هذا: هل يمكننا استعمار أقرب وأشبه الكواكب بالأرض وهو المريخ وجعله صالحاً للحياة؟ أسئلة من الصعب الإجابة عنها أو احتمال حدوثها خلال الفترة المقبلة. ولكن هل كان يعلم الكاتب الفرنسي (جول فيرن) المولود عام 1828 م في روايته الخيالية عام 1867 (من الأرض إلى القمر) أن حلمه سيصبح حقيقة في غضون 100 عام. وهل التسارع التقني من الخمسينات الميلادية إلى وقتنا الحالي مع التقدم المعرفي والتكنولوجي سيجعلنا نتوقع في غضون العقود القادمة أن الخروج من مجموعتنا الشمسية إلى كواكب في مجموعات أخرى أمر متوقع؟ ربما!.
ربما هذه الأحلام موجودة على الأقل لدى حالمين حاليين من أمثال (إيلون مساك) مؤسس شركة (سبيس إكس) والتي تهدف شركته في أحد أهدافها لإنشاء رحلات مأهولة بين الكواكب.
إلا أن السؤال الملح، أكثر من الرحلات المأهولة واستعمار المريخ؛ هو أمور أخرى لها علاقة بالفضاء، ولها تأثير مباشر على الأرض، مثل الأبحاث المرتبطة بالشمس والانفجارات الشمسية وتأثيرها وقت ذروة النشاط الشمسي على اتصالات الأقمار الصناعية والاتصالات الراديوية. والأشعة الكونية وتأثيرها المحتمل على الغلاف الجوي الأرضي وتأثيرها غير المباشر والمحتمل على الطقس وظاهرة الاحتباس الحراري. وفي الجانب الآخر هناك أمور أخرى أكثر أهمية، مثل تأثير بعض المخلفات الفضائية من أقمار صناعية لم تعد لها حاجة، بخطورة اصطدامها بالمركبات الفضائية أو رواد الفضاء أو الأقمار الصناعية الحالية، والبعض الآخر يتحمل الاحتكاك بالغلاف الجوي الأرضي، وربما يسقط على الأرض. وفي الجانب الآخر هناك التنبؤ بحركة الكويكبات القريبة من الأرض واحتمالية الاصطدام بها وإن كان ذلك مستبعد حالياً.
كما أن البحث عن مصادر طاقة بديلة عن الوقود الأحفوري ليست ببعيدة عن مجال الفضاء بشكل غير مباشر، فالطاقة الشمسية وطاقة الرياح قد تصبح واقعاً نلمسه قريباً جداً في النقل، مما يستوجب علينا أن نستعد للمرحلة القادمة بمسؤولية أكثر.
خطت المملكة العربية السعودية خطوات طموحة في مجال الفضاء من خلال إنشائها (هيئة الفضاء)، حيث قدمت مبادرات نوعية في مجال التوعية بالفضاء وإطلاق مشروعات الابتعاث وهندسة الروبوتات الفضائية وتطبيقاتها، متعاونة مع الجامعات السعودية، وهي خطوات مهمة سوف تأتي أكلها في المستقبل القريب إن شاء الله.
وأخيراً لاشك أن الحديث عن الفلك والفضاء ذو شجون، ويتشعب لمواضيع كثيرة: بدأ بنظر وتفكر وحلم وخيال، وانتهى بواقع. ولا تزال الأحلام كثيرة ويأمل الكثير بتحولها لواقع.
ونختم بقول رب العزة والجلال: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ).



التنجيم من منظور علمي وتاريخي



حنا صابات: الأردن

من منظور علمي حديث، يهتم علم الفلك astronomy بدراسة كل ما هو فوق الغلاف الجوي الأرضي من أجرام سماوية، من حيث نشأتها وتطورها وتفاعلاتها والقوانين الطبيعية التي تحكمها، من خلال رصد نواقل المعلومات الآتية من الكون (كالضوء والإشعاعات الكهرمغناطيسية الأخرى) وتحليلها. أما التنجيم astrology فهو فن متوارث منذ القدم يعتقد ممارسوه بإمكانية معرفة الصفات الشخصية للإنسان وطالعه ومصيره من حيث العمل والحب والنجاح.. إلخ، وبشكل أكثر عموماً، بإمكانية معرفة الأحداث العالمية سياسية كانت أو اقتصادية أو اجتماعية أو طبيعية، بربطها بمواقع الأجرام السماوية.

لقد اختلط التنجيم بعلم الفلك منذ فجر التاريخ. ويمكن تتبع بداياته الأولى لدى حضارات ما بين الرافدين (العراق حالياً). فشعوب تلك المنطقة، على الرغم من أنهم قد توصلوا إلى أول تقويم دقيق مبني على حركات الشمس والقمر نتيجة لأرصادهم الدؤوبة وحساباتهم الدقيقة (وهذا هو علم الفلك التقليدي)، فقد قدّسوا بعض الأجرام السماوية التي عرفت بالكواكب الجوالة، لأنها تمتلك (حركات خاصة). وهذه الأجرام (المقدسة) عددها سبعة وهي: عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل والشمس والقمر. حتى أنهم خصصوا يوماً لكل كوكب-إله منها (وقد ورثنا بدورنا أيام الأسبوع السبعة عنهم). لذا، يبدو أن الأرصاد الفلكية لم تكن ذات هدف علمي بقدر ما كانت لغايات أسطورية ميثولوجية: رصد مواقع الآلهة في السماء

ومحاولة التنبؤ بمواقعها بهدف معرفة تأثيرها على الإنسان وطالعه ومصيره، بل وعلى المطر والجفاف والزراعة والتجارة والحروب وغيرها (وهذا هو التنجيم). بهذا المعنى، فإن للتنجيم منشأ أسطورياً ميثولوجياً.

لقد ولد علم الفلك بالتالي في رحم التنجيم. وقد مارسته الحضارات القديمة الأخرى من أمثال الفرعونية والفارسية والهندية والإغريقية والرومانية بدرجات متفاوتة، ولم يكن من الممكن لفترة طويلة من التاريخ تمييز علم الفلك عن التنجيم، أو تمييز الفلكي عن المنجم. وحتى في الحضارة العربية الإسلامية، فعلى الرغم من توجيه بعض الفلاسفة والعلماء المسلمين نقداً شديداً إلى التنجيم أو ما عرف بـ(أحكام النجوم) تمييزاً له عن (علم الهيئة) المعادل لعلم الفلك، فقد راج التنجيم في مراحل معينة. وعلى سبيل المثال، فقد تم اختيار موقع إنشاء مدينة بغداد بناءً على مشورة المنجمين.

إن كثيراً من كبار علماء الفلك الأوروبيين في بداية عصر الثورة العلمية الكبرى في القرنين السادس عشر والسابع عشر كانوا يؤمنون بالتنجيم. إلا أن القطيعة النهائية بين علم الفلك والتنجيم، وبروز الأول كعلم مستقل قائم بذاته وخروج الثاني من حظيرة (العلوم)، قد تبلورت بوضوح بعد غاليليو ونيوتن، أي بعد نضج المنهجية العلمية. ولنا مثال مشابه آخر، هو الخيمياء والكيمياء. فقد كان الخيميائيون يجرون الكثير من التجارب على المواد ويدونون ملاحظاتهم حول التغيرات الحاصلة فيها، وذلك بغية تحويل العناصر الرخيصة (كالتراب) إلى ذهب. ومع أنهم لم ينجحوا قط في ذلك (ونحن نعرف اليوم استحالة فعل ذلك كيميائياً)، إلا أن ما فعله الخيميائيون قد مهد الطريق لظهور الكيمياء الحديثة. وتعد الخيمياء مرحلة ما قبل العلم بالنسبة للكيمياء. فلماذا لم يحصل الشيء نفسه بالنسبة للتنجيم وعلم الفلك، على اعتبار أن الأول هو مرحلة ما قبل علم الفلك؟! أي لماذا بقي التنجيم قائماً جنباً إلى جنب مع علم الفلك حتى اليوم؟ ولماذا هناك هذا الرواج للتنجيم على الفضائيات ووسائل الإعلام المختلفة؟

إن جانباً من الإجابة قد يكمن في أن التنجيم يتناول صفات الإنسان النفسية والسلوكية وطباعه ومزاجه وتغيراتها، وهو يحاول الإجابة عن أسئلة تتعلق بمصير الإنسان وطالعه فيما يرتبط بالحب والزواج والعمل والمال، وهذه أشياء تخرج عن قدرات علم الفلك (بل وعلوم الطبيعة). باختصار فإن التنجيم يملأ فراغاً نفسياً وروحياً لدى من يؤمن بمصداقيته.

إلا أن ثمة جانباً مهماً آخر لا ينبغي إغفاله، هو أن المنجمين عبر التاريخ كانوا في أغلبهم من المقربين لدى القادة والسلاطين والأثرياء، كمستشارين في أيام السلم والحرب على حد سواء، فأغدقت عليهم الأموال. وفي هذا العصر، فإن المشاهير من رجال الأعمال والسياسة والفن والرياضة هم من أهم زبائن المنجمين. ويبيّن لنا التاريخ أن أية مهنة -مهما بلغت درجة لا عقلانيتها- تبقى رائجة ما دامت تدر على ممارسيها مالاً وفيراً. لذا لا ينبغي إهمال العامل الاقتصادي بهذا الخصوص.

ومن منظور علمي حديث، يمكن توجيه الكثير من الانتقادات للتنجيم، ومنها:

1 - طبقاً للمنجمين فإن دائرة البروج (المسار الوهمي الذي تعبره الشمس ظاهرياً في السماء خلال العام) تقسم إلى 12 قسماً متساوياً، يشكل كلاً منها أحد بروج السماء. أي أن فترة البرج الواحد هي نحو 30 يوماً. أما واقعياً، فإن أطوال البروج (وهي مجموعات نجمية متفاوتة) تتباين، ولكل منها مسافة زاوية مختلفة. كما أن معدل تحرك الشمس ظاهرياً في السماء متغير، نظراً لأن سرعة الأرض المدارية حول الشمس متغيرة (فمدارها إهليلجي). وبالتالي تحتاج الشمس مثلاً إلى 45 يوماً لعبور برج العذراء و8 أيام فقط لعبور برج العقرب!

2 - المواعيد الحالية لدخول الشمس وخروجها من البرج الواحد تختلف عما يستعمله المنجمون. فيوم 21 آذار (مارس) -يوم الاعتدال الربيعي- مثلاً هو بداية برج الحمل طبقاً للمنجمين. بينما في ذلك اليوم تكون الشمس قد أمضت فعلياً نحو 8 أيام في برج الحوت! ويعود السبب في هذا الاختلاف أن المنجمين اعتمدوا مواعيد البروج كما كانت قبل نحو ألفي عام. وهذه المواعيد تتغير بسبب حركة بطيئة في محور دوران الأرض تعرف بالحركة البدارية precession وتستغرق دورتها الكاملة نحو 25800 عام، والتي ينتج عنها تغير مواعيد دخول الشمس وخروجها في البروج وتغير اتجاه القطب السماوي الشمالي. فأين المنجمون من هذا كله؟

3 - من الناحية الفيزيائية، فإن تأثيرات كواكب النظام الشمسي على الإنسان والحياة على الأرض (إن كانت إشعاعية أم جاذبية) يمكن إهمالها مقارنة بالعوامل الأخرى المؤثرة والموجودة في محيط الإنسان، وذلك بسبب البعد الهائل لهذه الأجرام عن الأرض. أما الجرمان الوحيدان اللذان يمتلكان تأثيراً فيزيائياً مباشراً على الأرض وما عليها فهما الشمس والقمر، ويترجم هذا جاذبياً بشكل المد والجزر اللذين يتسببان في تغيرات دورية في ارتفاع المسطحات المائية كالمحيطات على سطح الأرض (وبشكل أخف على اليابسة).

في النهاية، لا بد من التأكيد على أن وسائل الإعلام على اختلاف أنواعها لها دور مهم في التوعية حول موضوع علم الفلك والتنجيم: أولاً بالتمييز بين المجالين، وبخاصة مصطلح (فلكي) أو (عالم فلك) وهو الذي يعتمد على الفيزياء والرياضيات والحاسوب في دراسته للكون وظواهره، ومصطلح (منجم) وهو صاحب المهنة الأسطورية التي تعود إلى عصر البابليين والذي يعتقد بقدرته على قراءة المستقبل.

الحياة مع النجوم.. كيف ارتبط الإنسان بعلم الكون؟


ختام أحمد الزغول: الأردن

«الدهشة أساس كل الحكمة... وتبدأ الدهشة عند النظر إلى السماء».

لطالما كان تتبّع النجوم في السماء بداية العلاقة التي ربطت الإنسان بالكون منذ بدء الخليقة، بحيث تشكل الوعي الذي تناقله الناس بالفطرة لينطلق الكثير من التساؤلات وليظهر أقدم العلوم في تاريخ البشرية وأكثرها تقدماً في وقتنا المعاصر.

والملفت أن الإنسان حيثما عاش ارتبط بالسماء وحاك القصص حول تشكيلاتها النجمية (التي سماها الكويكبات) بصورة تظهر التقارب الفطري بين الإنسانية جمعاء وعلى مرّ العصور.

ففي الوقت الذي سمى فيه العرب مجرتنا التي تضم أكثر من مئة بليون نجمة بـ(درب التبانة) في إشارة لهذه اللطخة السحابية المضيئة كما سنابل القمح الذهبية التي تتناثر على درب العربات التي تحملها، كان الإغريق والرومان يسمونها بـ(Milky Way) أو طريق الحليب، حيث تصوّر الإغريق أن آلهتهم تنشر الحليب في السماء.

وفي محاولات الإنسان الأولى لاستكشاف الشيء العظيم الذي يسيّر هذا الكون وفي بحثه عن الإله كانت وجهته الأولى هي السماء، فها هو سيدنا إبراهيم -عليه السلام- يدرك بعد رحلته وبحثه في السماء أن الله عز وجل أكبر وأعظم من كل ما نراه.

ومع أن الدهشة هي بداية الحكمة والمعرفة ولكنها لا تنتهي عندها، لأن رحلة البحث عن الإجابات هي من فتحت أبواب العلوم كافة، حيث إن أهم ما نعرفه عن الكون هو شموليته وقابليته للفهم، ومن هنا يأتي تعريف الكون بأنه (كل ما هو موجود) وبهذا فهو يشتمل على: المادة الموجودة في الفضاء (وتضم كل الأجرام السماوية من مجرات ونجوم وكواكب وغبار كوني)، والمسافات ما بين الأجرام والطاقة وحتى الزمان، وبذا فإن أيّ علم يتعلق بأي منظومة من الأرض أو السماء هو جزء من النظام الشمولي الكوني. وقد تطور هذا العلم نتيجة التقدّم في كافة قطاعات العلوم سواء في الرياضيات، أو الفيزياء، أو الكيمياء، أو علوم الأرض والحياة أو الطب ومروراً بالعلوم الإنسانية.

والناظر لتعاقب الحضارات يجد أنها ارتبطت جذرياً بهذا العلم إذ اعتمد في بداياته على الملاحظات بالعين المجردة. ويعتبر معلم ستونهنج (Stonehenge) في جنوب غرب بريطانيا من أقدم الآثار الحجرية الدائرية التي اعتمدت في بنائها على المواقيت والأحداث كحركة القمر ويرجع تاريخها إلى 1800-3000 قبل الميلاد. وقد ظهرت أدلة كثيرة على تطور هذا العلم لدى قدماء البابليين والفراعنة الذين صمموا الأهرامات بصورة دقيقة تدل على تطويرهم للحسابات والزوايا، وقد قاموا بوضع تقويم سنوي يعتمد على فيضان النيل يشتمل على 365 يوماً مقسمة على 12 شهراً طول كل منها ثلاثون يوماً، بحيث يتم إضافة الأيام الخمسة الباقية. وقد وضع الفلاسفة الإغريق في القرن الرابع قبل الميلاد تصوراً للنظرية العلمية،



وكان أول نموذج هندسي رياضي للكون ما قدمه الفيلسوفان الإغريقيان أفلاطون وأرسطو ومن بعدهما بطليموس والذي يصور الأرض في مركز الكون يدور حولها كل ما يتم رؤيته من أجرام مروراً بالشمس والقمر والكواكب، وبقي هذا النموذج سائداً لما يزيد عن 1500 عام رغم وجود بعض المعارضين له، ومن إنجازات الإغريق قياس محيط الأرض.

وقد اهتم العرب بالفلك منذ العصور الجاهلية واستخدموا النجوم والقمر والشمس في معرفة الجهات الأربع والمواقيت وربطوها بمستقبل الإنسان ومصيره وهذا ما يعرف بالتنجيم. ولكن منذ فجر الحضارة الإسلامية اهتمت الشريعة الإسلامية كثيراً بالفلك، لأن الفرائض والعبادات والشعائر الدينية تعتمد على التقويم الدقيق، كالصلاة والصوم والحج والأعياد الدينية، ومن هنا تطور هذا العلم بصورة فائقة وتم اعتماد التقويم الهجري في القرن السابع الميلادي. ومن أعظم ما قدمه المسلمون للحضارة الإنسانية أنهم اهتموا بإرث وعلوم الأمم التي سبقتهم، فقاموا بجمعها وترجمتها وتدقيقها وتمحيص الجيد منها ثم البناء عليه، ويعد ذلك أساساً للمنهج العلمي الذي تقوم عليه البحوث العلمية حتى وقتنا هذا. وقد تفوقوا على الإغريق باعتمادهم التجارب العلمية وأظهروا براعة في علوم الرياضيات والجبر وطوروا الأرقام واكتشفوا الصفر وعلم المثلثات والفلك الكروي، وبرعوا في قياس الزمن من خلال صناعة أول ساعة ميكانيكية في عهد الدولة العباسية، وكانوا أول من قام بحساب ميل فلك الأرض على دائرة البروج وبرعوا في حساب محيط الأرض، وقد تسابق المسلمون في بناء المراصد الفلكية وبرعوا في صناعة أجهزة الرصد الفلكي الدقيقة مثل الإسطرلاب، وكانوا الأوائل في تسمية الكثير من الأجرام السماوية وبقيت هذه الأسماء العربية شاهداً على تقدم العرب والمسلمين في علم الفلك، وقد برز منهم البتاني والبيروني والطوسي وابن الشاطر وأبو الهيثم.

ومع بزوغ العلم الحديث في أوائل القرن السادس عشر برزت مجموعة من العلماء الغربيين منهم كوبرنيكس وقد وضع نظرية مركزية الشمس بدلاً من مركزية الأرض، وظهر من بعده العالم جاليليو والذي كان أول من صنع تلسكوباً لينظر به للسماء، وكبلر ونيوتن وظهر العالم آينشتاين في أوائل القرن العشرين وغيره من علماء هذا العصر.

وقد أدى التسارع المذهل والتطور في علوم الرياضيات وتكنولوجيا المعلومات والحواسيب والتلسكوبات والكاميرات الرقمية والمركبات الفضائية إلى فهم كبير ومتسارع لهذا الكون المحيط بنا.

وأخيراً فإن دراسة علم الفلك تعلمنا أننا كلما جمعنا حقائق أكثر وتشكلت لدينا معرفة أكبر للكون فإننا نكوّن مشاعر تقربنا أكثر، وأصبحنا نعرف أننا في حقيقتنا والمواد التي تتشكل منها أجسامنا وكل ما هو حولنا تتشابه مع مادة المجرات (وحدة البناء الرئيسة للكون) وأن طبيعة حياتنا من ولادة إلى نمو وشباب ثم الدخول إلى مرحلة الهرم وانتهاء بالموت يشبه ما تمر به دورة حياة النجوم ومراحل تطورها، ويظهر ذلك على مخطط هرتزبرونغ- راسل والذي تم وضعه عام 1910، ليبيّن تصنيف النجوم ويعطي إحداثياتها اعتماداً على القدر المطلق للضياء، واللون، والحرارة، والذي شكّل خطوة عظيمة تساعدنا على فهم تطور النجوم وبالتالي معرفة عمرها ومصيرها. ومع التباين الكبير الذي كنا نظنه بين أفراد البشر على مختلف أجناسهم وكذا اختلاف النجوم صرنا اليوم ندرك أننا نتشابه كثيراً في تكويننا وفي مصائرنا لنرتبط أكثر بالكون وأن تحقيقنا للإجابات ومحاولة الفهم تجعلنا ببساطة أكثر ارتياحاً وسعادة وأكثر قدرة على إعمار هذا الكوكب الجميل.

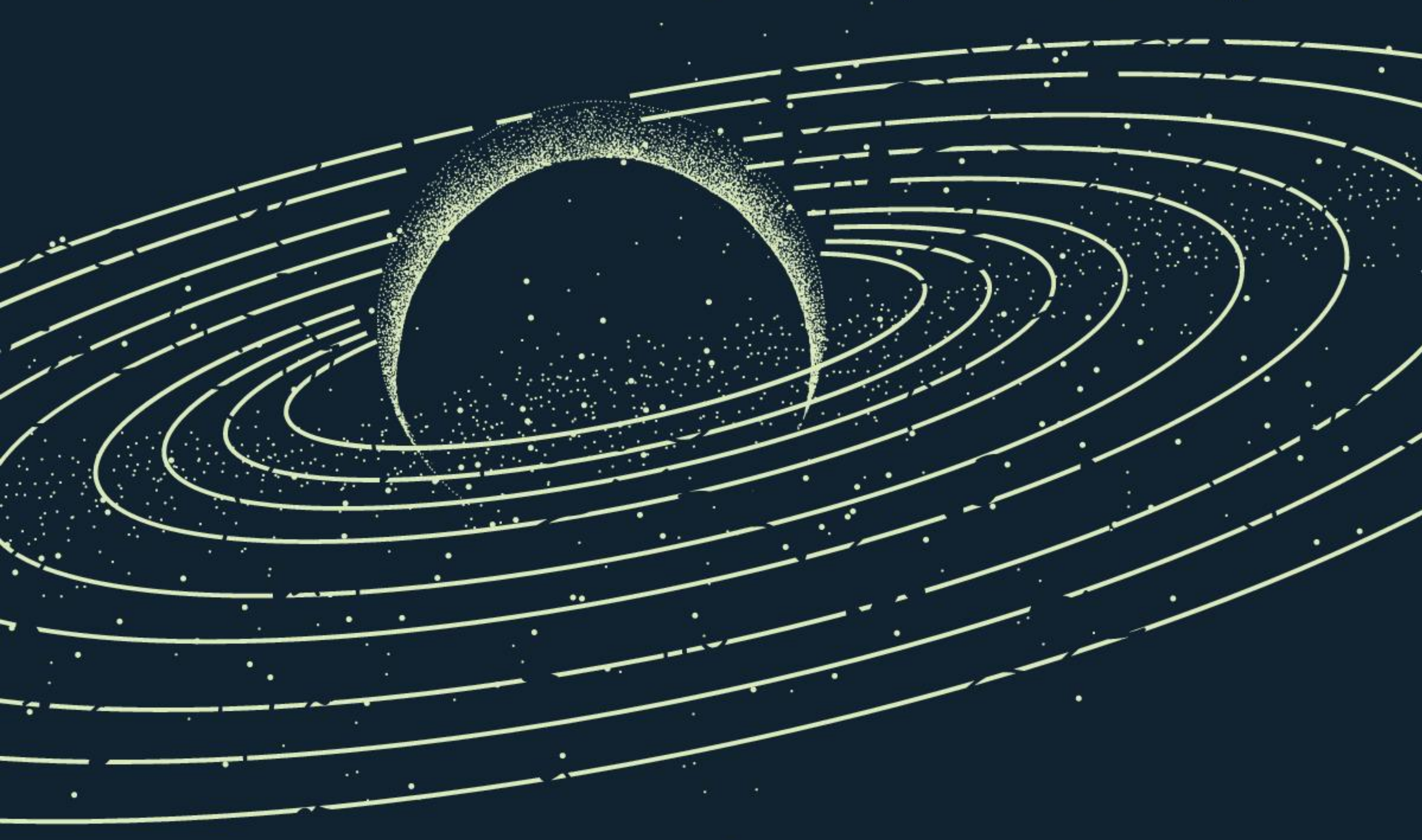
تطور علم الفلك في الحضارتين العربية والإسلامية


علي عبدالكريم الطعاني: الأردن

تمثل معرفة العرب قبل الإسلام بعلم الفلك معرفة عملية، قائمة على التجربة المستمرة، فهي غير مدونة، وغير مستنبطة بالنظر العقلي والبحث العلمي، لجهلهم علوم الرياضيات والهندسة. وكانت محصورة على عدد معين من النجوم، ليهتدوا بها في البر والبحر، إضافة إلى ما يسمى (علم الأنواء) (وقت المطر وهبوب الريح وتغيرات الطقس). ويجب الإشارة هنا إلى أن العرب قد أخذوا شيئاً من معارفهم في الأزمنة والأنواء من جيرانهم من الأمم الساكنة في شمال جزيرة العرب، ولا سيما أهل بابل في العراق. فقد برع هؤلاء في معرفة النجوم الثابتة وحركات الكواكب السيارة، لأنهم كانوا أهل زراعة وري، فيما بين النهرين دجلة والفرات، وكانوا على مبلغ كبير من الحضارة.

وفي عصر الإسلام، وردت الكثير من الإشارات الفلكية في الآيات والأحاديث النبوية، فكانت دافعاً ومُحفّزاً لعلماء المسلمين للاهتمام بعلم الفلك والبراعة فيه، كقوله تعالى: (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) (يس: 40)، وقوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ) (البقرة: 189)، كما جاء الأمر بالتوجه إلى القبلة جهة المسجد الحرام، قال تعالى: (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) (البقرة: 144)، كما كانوا بحاجة لتتبع مسار الشمس في السماء لتحديد مواقيت الصلوات الخمس يومياً، وبحاجة لتتبع حركة القمر لتحديد الأهلة الجديدة، وبخاصة لشهري رمضان وذي الحجة. ومن اختلاف مواقع الشمس والقمر في منطقة البروج، ثمة ثمانية وعشرون منزلاً، هي عدة أيام الشهر القمري. وعرف العرب أيضاً الأبراج، وعددها اثنا عشر. وقد ذكرها قس بن ساعدة الإيادي في خطبته الشهيرة: (وسماء ذات أبراج). وذكرها القرآن الكريم في أكثر من آية. والبروج هي مواقع الشمس في السماء. ونعرف أن الإسلام رفض الأنواء، والتنجيم؛ بل أرشد إلى التفكر والتدبر وتحكيم العقل. ومن الآيات الجامعة لذلك قوله تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ). (البقرة 164).

ويشير المؤرخون إلى أن أول كتاب له علاقة بالفلك ترجم إلى العربية كان كتاب (السند هند الكبير) الذي ترجم أيام أبي جعفر المنصور. ثم ترجم المجسطي لبطليموس أيام هارون الرشيد، ليجد علماء الإسلام أنفسهم أمام منهجين مختلفين هندي ويوناني. فعمل أبو جعفر الخوارزمي على جمع المنهجين. وجمع المجسطي بين الفلك والرياضيات، ووضع نموذجاً لحركات الأجرام السماوية، وأرصاداً وجداول فلكية.



ولا ننسى تعديلات ابن الشاطر وأثرها على ما جاء به كوبرنيكس، أحد أهم أعمدة النهضة العلمية الأوروبية الحديثة.

ولم يمضِ وقت طويل حتى تقدم علم الفلك والعلوم الأخرى المصاحبة له. ولأن الملوك اهتموا بالتنجيم، فقد كان عالم الفلك منجماً في بلاطهم. لكن العبقرية العلمية في الحضارة العربية الإسلامية سرعان ما فصلت التنجيم عن الفلك. وتقدم علم الفلك في أكثر من اتجاه، فكثر العلماء، وكثرت التآليف، وبنيت المراصد وصار بعضها أشبه بمعاهد علمية، كمرصدي مراغة وسمرقند. ووضعت الأزياج المختلفة للملوك والسلاطين. ثم انبثق من علم الفلك عدة علوم لها علاقة بالمجتمع الإسلامي. فصار علم الهيئة مستقلاً بحركات الأجرام السماوية، وصارعلم الميقات مختصاً بتحديد مواقيت الصلاة لمختلف الأماكن، وتطور علم الجغرافية الفلكية كما في كتاب البيروني (نهايات الأماكن في تحديد المساكن). وبخصوص الآلات الفلكية، وبناء المراصد، يذكر حاجي خليفة أن أول مرصد بني في دمشق سنة 214هـ. لكن المرصد الأهم في تلك الحقبة كان مرصد الشماسية الذي بناه المأمون في بغداد. وأنشأ أبناء موسى مرصداً لهم على قنطرة بغداد. وبنى أبو الأعلم مرصداً آخر في بغداد سنة 250هـ. وأنشأ البتاني (ت 317هـ) مرصداً له. وفي مصر بُني المرصد الحاكمي على جبل المقطم، وكان ابن يونس (ت 399هـ) أشهر علمائه، إذ وضع الزيج الحاكمي، معتمداً على أرصاد علماء المأمون. وكان لأبي حنيفة الدينوري (ت 282هـ) مرصد. وأشهر المراصد هو مرصد مراغة الذي بناه نصير الدين الطوسي سنة 1259م، وقد جلب لهذا المرصد كثيراً من كتب مكتبات بغداد. ويقال إن مكتبته حوت 40 ألف كتاب. أما الآلات الرصدية فتنوعت، حيث اخترع العلماء الإسلاميون آلات جديدة أو حسنوا على ما وجدوه. وكان المأمون قد طلب من علمائه، بعد ترجمة المجسطي، أن يصنعوا الآلات المذكورة فيه. فقد حوى مرصد سمرقند على (ربع دائرة) بلغ ارتفاع نصف قطرها خمسين متراً. وكان في مرصد مراغة إسطرلاب. ومن آلات الرصد الأسطرلاب بأنواعه المسطح والكروي والخطي، وذات الحلق، وآلة السدس، وآلة الربع، والصفيحة، والمزولة لتعيين الأوقات، واللبنة، وذات الأوتار، وذات السمت.. وغيرها. واكتشف المسلمون المزاول بعد فتوحهم في العالم البيزنطي. حيث إن أقدم مؤلف عربي عن المزاول هو لأبي جعفر الخوارزمي، وقد استخدم الخليفة عمر بن عبدالعزيز مزولة لتحديد أوقات الصلاة. وتحوي المتاحف داخل العالم الإسلامي وخارجه عدداً وافراً من هذه الآلات.

وباختصار شديد نقول: خطا علم الفلك الإسلامي خطوات مهمة، سواء أكان ذلك نظرياً أم تطبيقياً. فقد تحسن تصميم المراصد الثابتة ذات الحجم الكبير، وانعكس ذلك على كثير من علماء الفلك الإسلاميين الذين طوروا بشكل أساسي نظريات لحركات الكواكب. فصار عندهم علم مبني على الرصد والحساب والهندسة، لا على نظريات مجردة. ويمكن أن نعد عهد الخليفة المأمون عصر الوثبة العلمية القوية الخلاقة. وفي هذه العجالة، لا نرغب في تقديم هيئات بديلة برسومها وشروحها ولو بشكل موجز خوف الإطالة، مفضلين تقديمها في مقال آخر أو مناسبة أخرى.

أسرار النجوم بين العلم والأسطورة


رندة أسعد: الأردن

يعد علم الفلك من أقدم العلوم التي عرفتها البشرية، فقبل اختراع الكهرباء والأضواء، ومع غروب الشمس ودخول الظلام تدريجياً كانت السماء تبهر الناس بزينتها المتلألئة من النجوم البراقة المتناثرة على مد البصر، فكانت تؤنسهم في وحشة الليل وظلمته، ويتساءلون عن سرها ومصدرها وطبيعتها. ونظراً لعدم توافر الأدوات اللازمة لدراسة هذه الأجرام السماوية دراسة علمية في ذلك الزمن، أطلق الإنسان العنان لخياله، فتوهم أن هذه النجوم ترمز لشخصيات وعوالم أخرى وقام بنسج الأساطير حولها ليتداولها الناس من بعد ذلك جيلاً بعد جيل.

ولعل ما زاد الأمر تشويقاً أن عملية دوران الأرض حول نفسها تجعلنا نرى صفحة السماء بكل نجومها وهي تشرق من جهة الشرق وتتحرك باتجاه الغرب لتغرب هناك، فعلى سبيل المثال، لو قمنا برصد نجم ما الساعة العاشرة مساء ثم أعدنا رصده من جديد الساعة الثانية صباحاً، فسنلاحظ انزياحه باتجاه الغرب، وقد ساعد هذا الأمر الناس قديماً في معرفة الاتجاهات ليلاً فكانوا يهتدون بنجوم السماء ليصلوا إلى وجهاتهم. كما أن اختلاف طول اليوم الشمسي (الذي يقاس من ظهر يوم إلى ظهر اليوم التالي، والمعروف بكونه 24 ساعة) عن طول اليوم النجمي (المدة التي يستغرقها نجم بعيد ما لكي يظهر في نفس المكان في اليوم التالي) بما يقارب أربع دقائق يؤدي مع مرور الوقت إلى اختلاف النجوم التي نراها ليلاً باختلاف المواسم، فهناك بعض النجوم التي يمكن رؤيتها بالشتاء ولا يمكن رؤيتها بالصيف من نفس المكان والعكس صحيح.

ولهذا حاول بعض القدماء الربط بين الأبراج المختلفة (وهي أشكال معينة تصورها الأقدمون لمجموعات مميزة من النجوم الظاهرة في السماء) وبين الأشخاص الذين ولدوا في أوقات معينة من الشهر، فيفترضون أن من يولد في فترة محددة مرتبطة بموقع هذا البرج النجمي في السماء يتم تصنيفه ضمن مواليد هذا البرج. إلا أن هذه التصنيفات ليس لها أي أساس علمي، وذلك لأن النجوم التي تُكوِّن أشكال الأبراج المختلفة ليست متصلة ببعضها البعض فعلياً، ولا يوجد ما يربط بينها، فهي بعيدة جداً عن بعضها ولا توجد أي قوى تربطهم أو علاقة تجمعهم. لذلك فمن الخطأ أن نطلق لفظ العلم على هذا الأمر، فليس هناك علم أبراج، لأن العلم يكون مبنياً على ملاحظات وتجارب وقوانين قابلة للقياس والاختبار، ونظريات قائمة على الدليل والبرهان، أما ما يعرف بالتنجيم فهو قائم على مجرد خرافات وأساطير قديمة.

لكن وعلى الرغم من بساطة وسذاجة محاولات الإنسان لربط مصيره أو طبائعه وتصرفاته بنجوم تبعد عنا آلاف السنوات الضوئية، فإن هذا الأمر له دلالة عميقة وجوهرية، وهي أن الإنسان يتطلع دائماً إلى أمور غيبية تتجاوز حاجاته الجسدية اليومية، فروحه تشتاق لعالم آخر غير عالمنا المادي المحسوس، ما يجعله أسمى من كل الكائنات الأخرى. ومن هنا تميز علم الفلك عن غيره من العلوم الطبيعية البحتة بكونه يوفر غذاء للعقل والروح معاً.

فعلم الفلك علم دقيق قائم أساساً على



قوانين الفيزياء المعروفة كالجاذبية والحركة والحرارة وغيرها من القوانين التي تسعى لتفسير خصائص الأجرام السماوية المختلفة وطبيعة حركتها من أجل فهم هذا الكون الفسيح الذي نحن جزء بسيط جداً منه، ولكننا في الوقت ذاته كلما اكتشفنا شيئاً من أسرار هذا الكون وتفاصيله الدقيقة المحكمة كلما ازددنا إيماناً بعظمة الخالق وقدرته ولسان حالنا يقول: (ربنا ما خلقت هذا باطلاً، سبحانك).

فعلى سبيل المثال وحسب النظريات الحديثة يبلغ عمر الكون 13,8 مليار سنة تقريباً، وقد كان التركيب الكيميائي للجيل الأول من النجوم يتشكل من الهيدروجين والهيليوم مع نسبة ضئيلة جداً من بعض العناصر الخفيفة الأخرى، أي أن العناصر الكيميائية التي نعرفها اليوم كالكالسيوم والحديد والمغنيسيوم وغيرها لم تكن موجودة وقتها. هذه العناصر الكيميائية الجديدة تكونت في باطن النجوم نتيجة التفاعلات النووية، وعند انفجار هذه النجوم فإن العناصر الكيميائية الموجودة في باطنها تتناثر وتنتشر في الوسط المحيط بها لتصبح بدورها المادة الخام التي تتشكل منها نجوم أخرى جديدة، وهكذا فكل جيل من النجوم يكون أكثر ثراء من حيث التركيب الكيميائي من الجيل الذي سبقه. أما عمر مجموعتنا الشمسية فهو 4,5 مليار سنة، أي أنها حديثة الخلق مقارنة بعمر الكون مما يفسر احتواءها على هذا العدد الكبير والمتنوع من العناصر الكيميائية التي نعرفها اليوم.

إن معرفة هذه التفاصيل الدقيقة عن النجوم التي تبعد عنا آلاف السنوات الضوئية تتطلب أجهزة وتقنيات متطورة، مثل التلسكوبات الضخمة والحواسيب الإلكترونية الفائقة ذات القدرات الحسابية الهائلة، بالإضافة إلى النماذج الرياضية الدقيقة التي يتم إعدادها لدراسة الخصائص النجمية. وقد أدركت العديد من الدول المتقدمة أهمية دعم الأبحاث العلمية في هذا المجال وتوفير المعدات والبرمجيات اللازمة، فخصصت ميزانيات ضخمة للمراكز البحثية العالمية المتخصصة في إجراء البحوث والدراسات الفلكية، وقد تمكنت بتوفيق الله من المشاركة في مجموعة مهمة من هذه الأبحاث وتوليت قيادة بعضها بالتعاون مع عدد من أبرز المراكز البحثية العالمية المرموقة والتي يعمل فيها العشرات بل المئات من العلماء البارزين والباحثين المتخصصين من مختلف بقاع العالم.

وعلى الرغم من كون هذا النوع من الدراسات والأبحاث يعتمد التفكير العقلي ويتبع المنهج العلمي المستند إلى حقائق مادية/طبيعية بحتة، إلا أنه لا يخلو من جانب إيماني وروحي يدفعنا للمزيد من التفكر والتأمل في الكون من حولنا، وهذا ما يفسر كثرة الآيات القرآنية التي تدعونا إلى التفكر في خلق السماوات والأرض.

فعلى سبيل المثال، دراسة أطياف النجوم التي تمكننا من معرفة تركيبها الكيميائي، تجعل الراصد يقر أن خالق السماوات والأرض واحد، سبحانه لا إله إلا هو، فما نراه في أطياف النجوم التابعة لمجرات عمرها قد يكون قريباً من عمر الكون، هي ذات الخصائص التي نراها في مختبر الكيمياء عند دراسة أطياف الغازات المختلفة، وقوانين الفيزياء التي استنتجناها هنا على كوكب الأرض، تنطبق كذلك على تلك النجوم على اختلاف أعمارها وأبعادها.

لقد تعلقت أرواح القدماء بجمال السماء وتساءلوا عن أسرارها وخفاياها، وتطلعوا لمعرفة مستقبلهم ومصائرهم من خلال مراقبة حركة أجرامها. إلا أن العلم الحديث اليوم يثبت أن دراسة النجوم والمجرات البعيدة هي دراسة لما مضى من أحداث فلكية حدثت قبل ملايين بل مليارات السنوات، وأننا رغم كل التطورات والاكتشافات الجديدة لانزال نجهل الكثير وما زال أمامنا المزيد لنكتشفه، فما أوتينا من العلم إلا قليلاً.

تأثير التقنيات في علوم الفلك والفضاء


سمية سعد: مصر

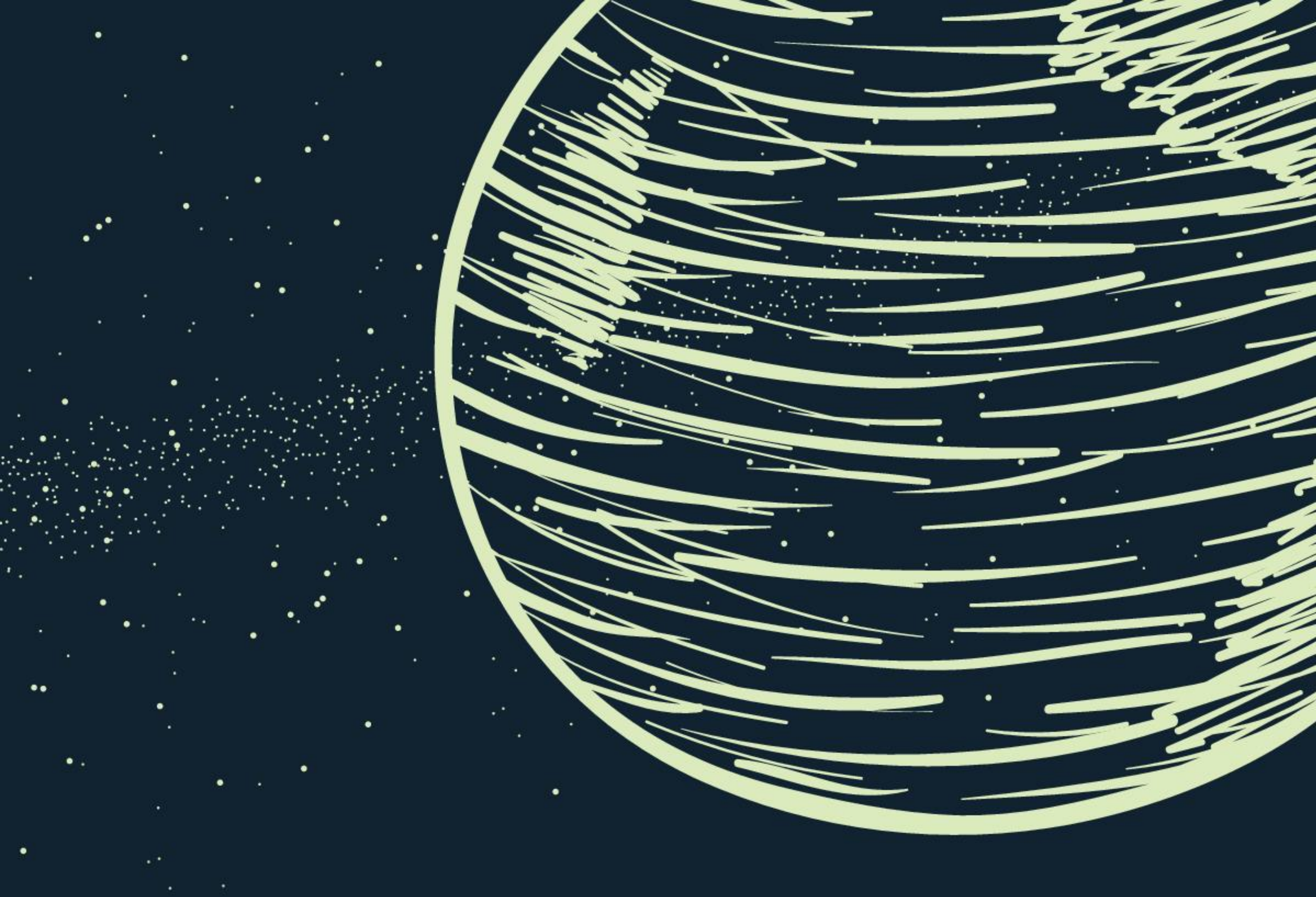
علم الفلك يعد من أقدم العلوم التي عرفتها الحضارات المختلفة، وهو علم وثيق الصلة بكثير من العلوم الأخرى، قائم على النظريات الفيزيائية والاشتقاقات والمعادلات الرياضية، ولولا هذا العلم لما تمكن الإنسان من حساب المدارات ووضع الأقمار الصناعية في مدارات محددة بالفضاء وتتبعها، ولما استطاع تحديد أماكن الهبوط على سطح القمر، وإرسال المركبات الآلية إلى المريخ، بل إلى أبعد الكواكب، وكذلك دراسة النيازك وتركيبها الفيزيائي والجيولوجي للحصول على معلومات لمعرفة أصل نشأة المجموعة الشمسية، ولما استطعنا تحديد مواقيت الصلاة ومعرفة بداية الأشهر القمرية وتوقيت كسوف الشمس وخسوف القمر بدقة متناهية، كل ذلك قائم على علم الفلك والحسابات الفلكية.



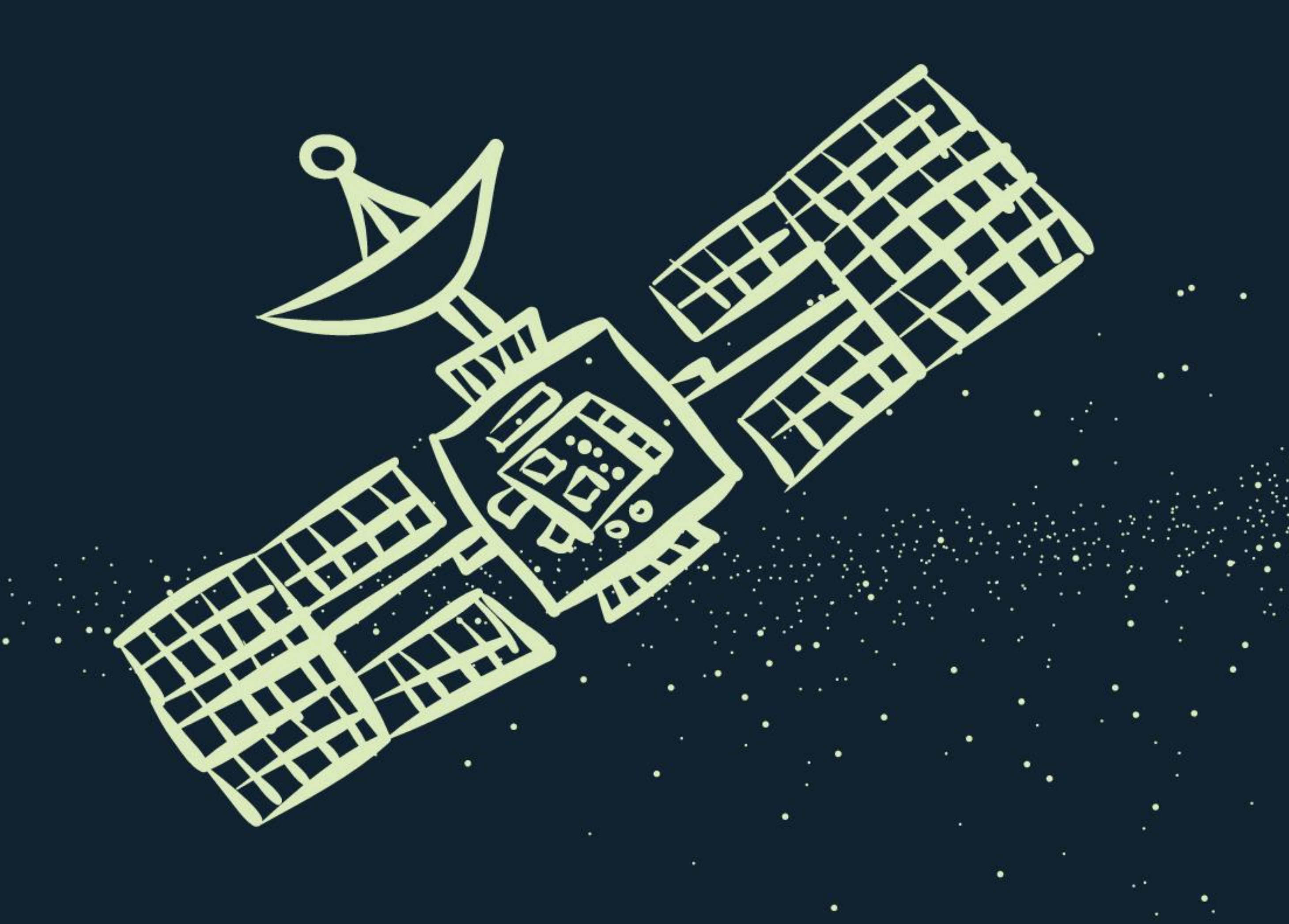
ومن خلال تطبيق نتائج الأبحاث العلمية في مجال الفلك وعلوم الفضاء، يتضح تأثيرها بشكل واضح في جميع المجالات مثل الاتصالات والطاقة وأنظمة التحكم، وقد انعكس ذلك بدوره على تطوير الاتصالات بمختلف أشكالها، السلكية واللاسلكية، مثل الهواتف الخلوية ونقل الصورة الفضائية من المركبات عبر الأقمار الصناعية، ما ساهم في تطوير البث التليفزيوني وتقنيات نقل الصورة والنقل الحي لكثير من الأنشطة على مستوى العالم، كما ساعدت في تطوير تقنيات التحكم عن بعد والروبوتات التي تساهم في تنفيذ العديد من المهام. وقد انعكس ذلك بدوره على رفاهية الإنسان على كوكب الأرض، حيث وفرت له التقنيات الحديثة الكثير من الوقت والجهد.

وقد تطورت التقنيات المستخدمة في الأرصاد الفلكية في كل من المراصد الأرضية والمراصد الفضائية على السواء بشكل هائل خلال العقود القليلة الماضية، حيث تم استبدال الكثير من أجهزة الاستشعار بتقنيات حديثة رقمية، كما هو الحال في كاميرات الشحن المزدوج التي تصل كفاءتها إلى ٪90، كما أنها تتميز بسرعة الاستجابة لحساسيتها الفائقة، وبذلك تقلل من وقت التعريض مما ينتج عنه عدد ضخم من الملفات وكم هائل من البيانات، فمثلاً كاميرا بأبعاد 2400=300 X 8 تستهلك ملف قيمته 8 ميجابايت لصورة واحدة، وليلة الرصد قد يصل عدد الملفات إلى 300 ملف أو أكثر أي حوالي 2400=300 X 8 ميجابايت أي حوالي 2،5 جيجابايت، وهذا على أقل تقدير، ولك أن تتصور ما إذا كانت أبعاد الشريحة بالكاميرا أكبر من ذلك أو تم استخدام كاميرا بها أكثر من شريحة (موزاييك)، مما يعني وجود كم هائل من البيانات.

كما تم استخدام تقنية التداخل والتي من خلالها يتم رصد الأجرام السماوية بشكل متزامن من عدة هوائيات، كما هو الحال في مرصد ألما في صحراء شيلي والذي يرصد الكون بشكل متزامن من خلال 66 من التلسكوبات الراديوية، وأيضاً تلسكوب أفق الحدث الذي يتكون من 8 تلسكوبات راديوية موزعة حول العالم، وتعمل معاً بشكل متزامن، حيث أمكن لأول مرة في 2019 رصد الثقب الأسود في مجرة M87، كما أعلن فريق العلماء بأفق الحدث مؤخراً في مايو 2022 أنه تم رصد الثقب الأسود في مركز مجرتنا (مجرة درب التبانة) ولأول مرة. وساهمت تقنية الألياف الضوئية المستخدمة بأجهزة الاستشعار بشكل كبير في زيادة قوة ووضوح الصور والأطياف للأجرام السماوية، حيث تعمل بتقنية الانعكاس الكلي للضوء. وساهمت تقنيات الليزر المتداخل (كما هو الحال في مرصد



ليجو LIGO) في رصد موجات الجاذبية والتي تنبأ بها ألبرت آينشتاين في 1917.
وساهم تطور تلك التقنيات في رصد أنظمة نجمية أخرى وعدد كبير من الكواكب خارج المجموعة الشمسية، قد تصل إلى أكثر من 4000 كوكب. كما ينتظر العالم الصور الأولى لمنظار جيمس ويب الفضائي الذي أطلق في 25 ديسمبر 2021، ويبلغ قطر مرآته 6,5 متراً، وعلى ارتفاع 1,5 مليون كم من الأرض، ويرصد الكون في نطاق الأشعة الحمراء. ويعتبر جيمس ويب خليفة منظار هابل الفضائي الذي مازال يعمل حتى الآن وعلى مدار 31 عاماً منذ إطلاقه. وينتظر العلماء رصد جيمس ويب للمراحل الأولى من عمر الكون التي تلت الانفجار العظيم، حيث يرصد جيمس ويب الأبعاد السحيقة من الكون.
ومع تطور المراصد الفضائية بشكل كبير يجد العلماء ضرورة تطوير المراصد الأرضية، وقد أعلنت الوكالات العالمية عن إنشاء المرصد الأوروبي الأكبر (EELT)، وسوف يبلغ قطر مرآته نحو 39 متراً، وهو رقم غير مسبوق. وسوف يسمح ذلك بتجميع أكبر قدر من طاقة الأجرام السماوية، بالإضافة إلى استخدام تقنيات بصرية حديثة، وبالتالي يساهم EELT في كشف الكثير من الغموض، ونشر المفاهيم الصحيحة حول الكون.
وقد تزامن ذلك وبالتسارع نفسه مع ما نلمسه جميعاً من تطور هائل في مجالات الكمبيوتر والحاسبات وبرامج التحليل والشفرات، مع زيادة سعة التخزين، وتطور وحدة المعالجة المركزية في الحاسبات، ما يكون له تأثير مباشر في إتمام عمليات النمذجة والمحاكاة بسرعات فائقة.
وكان لذلك الأثر الأكبر في مجال الأرصاد الفلكية، من حيث توفير الوقت وضخامة البيانات، ما أتاح لنا كماً هائلاً من الدراسات في شتى تخصصات علم الفلك العام والدقيق، وأتاح ذلك اختبار النظريات المختلفة، بل استحداث نظريات ومفاهيم جديدة، وأيضاً اتجاهات حديثة في علوم الفلك.
وساهمت الأرصاد خارج الغلاف الجوي بإدخال دراسات حديثة في علم الفلك، حيث تمكن الإنسان من رؤية الكون في كل النطاق الكهرومغناطيسي، وتجاوز الامتصاص الناتج من الغلاف الجوي للأرض، وبدأ بإطلاق المناطيد إلى ارتفاعات عالية، وكذلك الصواريخ، كما أطلق الأقمار الصناعية ووضعها في مدرات حول الأرض، ومثَّل ذلك قفزة وتحسناً ملحوظاً في جمع البيانات والمعلومات عن الشمس وكواكب المجموعة الشمسية.
ومع تطور إمكانات المراصد الفضائية زادت المهمات ذات الصبغة العلمية، ودخلنا في مجال علوم الفضاء، حيث تم رصد المصادر الكونية للأشعة السينية، وأصبح الآن فلك الأشعة السينية من فروع علم الفلك الحديثة. بالإضافة إلى فلك الأشعة



تحت الحمراء وفلك أشعة جاما والأشعة فوق البنفسجية، وقد ساهم ذلك في رسم الصورة الجديدة للكون، وتعريف مفهوم الكون الديناميكي، حيث تمكن العلماء بواسطة التقنيات الحديثة من التقاط الأجسام والجسيمات ذات الطاقات العالية. كما تم تسجيل انفجارات النجوم بقوى هائلة، وتم اكتشاف موجات الجاذبية ورصد أشعة الخلفية الكونية، وتم تصوير الثقوب السوداء. وقد منحتنا تلك الظواهر فرصة هائلة لكشف الغموض الذي يحيط بالكون، والإجابة عن الكثير من التساؤلات مثل:

- ما عمر الكون؟
- ما مصادر العناصر في الكون؟
- كيف تنفجر النجوم؟
- كم يبلغ اتساع الكون، وما هو معدل تمدده؟
- هل توجد كواكب حول نجوم أخرى قد تكون فيها حياة؟

التلسكوبات الفضائية، أحدثت بالفعل ثورة في قدرتنا على استكشاف الكون الديناميكي، وتعزيز فهمنا لقوانين الطبيعة بشكل كبير. وذلك لاتساع مجال رؤيتها، وقدرتها على قياس إشعاع الأجرام ذات الطاقات العالية من أشعة جاما إلى أشعة إكس والأشعة فوق البنفسجية وتحت الحمراء وسرعة استجابتها.

ويطمح علماء الفلك من دراسة طيف أشعة جاما وأشعة أكس المنبعثة من الأجسام؛ إلى تفهم طبيعة تلك الأجسام والظواهر الكونية التي تؤدي إلى إصدار تلك الطاقات العالية، والتحقق من صحة أو عدم صحة نظريات تفسر نشأة الكون.

كما أشعل أيضاً التطور العلمي الهائل بارتياد الفضاء رغبة الإنسان وتطلعه، بل طموحه في الذهاب إلى الكواكب الأخرى، توقاً للهروب من الأرض بكل مشاكلها والتفكير في استيطان الكواكب المجاورة، إذ عكف بعض العلماء في الآونة الأخيرة على دراسة أنسب الكواكب لإمكانية انتقال الإنسان إليها واستعمارها.

كما ألحت فكرة تنظيم رحلات سياحية إلى القمر والكواكب المجاورة كالمريخ، فتنافست 12 شركة من 5 دول على عمل سياحة دولية إلى الفضاء بغرض الكسب المادي، حين وجدوا إمكانية إطلاق مركبات فضائية والرجوع إلى الأرض بسلام، وبذلك فقد يتهافت إلى تلك الرحلات الفضائية الهواة من الأثرياء والمغامرين، حيث ترتفع تكاليف هذه الرحلات بشكل ملحوظ.

ومؤخراً أطلق برنامج (مارس وان) وهو مشروع تقوم عليه شركة هولندية، يهدف إلى إقامة مستعمرة بشرية على كوكب المريخ، وقد تقدم بعض المتطوعين للالتحاق بهذا المشروع، فمن المفترض أن تكون الرحلة بلا عودة، أي أن استيطان الكواكب المجاورة لم يعد ضرباً من الخيال كما يظن البعض، بل بات حقيقة ملموسة وعلى وشك التحقق.

(أوفيكيوس)
نسف فكرة الأبراج والتنجيم


عمر فكري: مصر

السماء هي السماء والنجوم هي النجوم، يرقبها ويرصدها هواة الفلك والمحترفون كما كان يرصدها الإنسان قديماً. غير أنه أصبح هناك فارق كبير ومفاهيم جديدة غيرت هذه النظرة عما كانت عليه. فعلاقة الإنسان بالسماء قديماً كانت الخوف والقلق بسبب عتمة الليل وعدم رؤية المخاطر التي تتربص به؛ إلى أن تطورت وتبدلت هذه النظرة شيئاً فشيئاً حتى تعود على منظر السماء وتكونت ألفة معها؛ بل وبات يربط بينها وبين متغيرات حياته اليومية وما يحدث فيها، فهذا النجم يظهر عندما تبدأ أوراق الشجر في السقوط، وتلك النجوم عندما تكون فوق رأسنا تأتي الرياح من هذا الجانب؛ وعندما تتبدل تلك المجموعة النجمية فهذا يعني قرب ميعاد المطر والبرد الشديد، وهكذا تكونت علاقة الأنس والفهم الأولي لحركة السماء وتغير النجوم فيها؛ بل وراح يسجل تلك الحالات من تغيّر شكل النجوم وتبديل أماكنها، فبدأ بوضع حجارة على الأرض يحدد بها اتجاه وتغير شكل النجوم ومواقعها حسب أوقاتها خلال السنة.

قد تتساءل عزيزي القارئ عن علاقة العنوان المبهم لهذه المقالة وافتتاحيتها، ومن أو ماذا تعني كلمة (أوفيكيوس)؟ سأجيبك حالاً ولكن كان لا بد من هذه الافتتاحية، بل وأستميحك عذراً وأطلب منك التروي والصبر قليلاً حتى أكمل ما بدأته من تمهيد. فـ(أوفيكيوس) هو اسم لمجموعة من مجموعات النجوم والتي بحركتها على مدار ألفين سنة نسفت فكرة الأبراج والتنجيم.

لقد وصل الإنسان لدرجة متقدمة من فهم (شكل) وتوزيعات النجوم في السماء حتى بات يسجلها بمواضع حجارة على الأرض؛ بل ومع تقدم الزمن والتطور الحضاري؛ راح الإنسان يعطي أسماء للنجوم، ويقسمها حسب المواسم فهذه نجوم شتوية وهذه صيفية وتلك لا تظهر إلا في الربيع أو الخريف وهكذا؛ ومع ظهور الكتابة والتدوين نجد الإنسان قد قسم السماء إلى خريطة نجوم تحتوي على 88 مجموعة نجمية ليست متساوية ولا توجد علاقة بين مجموعة نجمية وأخرى؛ وأطلق على هذه النجوم أسماء من واقع بيئته والمكان الذي يعيش فيه وأدواته التي كان يستعملها؛ فقد أطلق أسماء حيوانات وكائنات حية على بعض من هذه المجموعات فلا عجب أن ترى مجموعة نجوم اسمها الكلب الأكبر والكلب الأصغر والدب الأكبر والدب الأصغر والأسد والثور والجدي والثعبان وأيضاً الثعلب والدجاجة والأرنب؛ نعم كل هذه الحيوانات أسماء لنجوم في السماء وغيرها كثير. وعندما تجرأ الإنسان على البحر

أطلق أسماء لبعض الكائنات البحرية على النجوم مثل: الحوت والدولفين والسرطان وثعبان البحر ومن الأدوات التي أطلقت على بعض المجموعات النجمية نجد القوس والمثلث والسهم والدلو والساعة والميزان. تشترك جميع الحضارات بشكل أو بآخر في هذه المسميات للمجموعات النجمية ونحن نجد كذلك أسماء مأخوذة من حضارات رومانية وأخرى يونانية أو مصرية، وكانت تلك الحضارات تطلق أسماء شخصيات أسطورية لها دور عظيم في حياتهم مثل أوريون الصياد والرامي وحامل رأس الغول والجاثي والتوأمان (الجوزاء) وأندروميدا وأمها كاثيوبيا وأباها قيفاوس وحبيبها برشاوس حسب الأسطورة اليونانية الشهيرة وأيضاً مجموعة نجوم حامل الثعبان أو الحواء واسمها العلمي (أوفيكيوس).

ها أنت -عزيزي القارئ- قد عرفت معنى كلمة (أوفيكيوس) هي اسم لمجموعة نجمية صيفية تظهر في فصل الصيف وتقع بين مجموعتي العقرب والقوس. وشكلها عبارة عن رجل يحمل ويتحكم بثعبان كبير؛ وهو رمز الشفاء ومنه اتخذ علماء الصيدلة صورة الثعبان والكأس؛ لأن (أوفيكيوس) كان يسافر كثيراً يشفي المرضى من ترياق الثعبان حسب الأسطورة. أما بخصوص علاقة (أوفيكيوس) بالأبراج والتنجيم؛ فهذا يتطلب منك ومني قدراً آخر وأخيراً من الصبر والتمهيد. فبعد أن علمت أن نجوم السماء قسمت إلى 88 مجموعة نجمية لكل منها اسم وميعاد ظهور محدد في السماء طوال السنة؛ بقي أن تعرف أنه ومنذ ما يزيد عن 2200 سنة اكتشف عالم فلكي قديماً اسمه (هيبارخوس) أن الشمس وهي تسير في السماء تخفي عنا مجموعة نجمية كل شهر؛ وكل شهر مجموعة نجمية أخرى غير الشهر الذي يليه أو الشهر السابق له. فمثلاً توصل (هيبارخوس) من خلال الأرصاد إلى أن الشمس يكون خلفها وتخفي عنا نجوم الحمل في الفترة من (21 مارس إلى 20 أبريل) وتخفي عنا نجوم الثور في الفترة من (21 أبريل حتى 20 مايو) ثم تخفي أو تغطي عنا نجوم الجوزاء في الفترة من (21 مايو حتى 21 يونيو) وهكذا؛ فتخفي عنا الشمس أثناء مسارها 12 مجموعة شمسية في كل شهر مجموعة؛ وهذه المجموعات هي ما تعارف الناس عليه مجازاً باسم الأبراج بالتواريخ التي كان قد وضعها (هيبارخوس). ولكن ما لا كان يعرفه (هيبارخوس)، ولا الإنسان القديم الذي كان يرصد السماء وينظر إليها مترقباً، ولا حتى كثير من الناس في يومنا هذا؛ أن النجوم والمجموعات النجمية على صفحة السماء غير ثابتة، لا حسب الخرائط القديمة ولا حتى حسب تقسيمات (هيبارخوس) للأبراج.

فقد تم اكتشاف ظاهرة فلكية تسمى (الترنح) أو Nutation وهي دون الدخول في تعقيدات ومصطلحات قد تبدو مبهمة؛ ظاهرة تحدث بسبب دوران الأرض حول محورها وحول الشمس لفترات طويلة تؤدي إلى حدوث زحزحة لمواقع النجوم بمقدار درجة قوسية واحدة في السماء كل 71 سنة؛ ما نتج عنه تغيّر تواريخ الأبراج؛ ليس هذا فقط، بل وزيادة عددها إلى 13 برجاً؛ نعم لا تندهش فقد أصبحت الأبراج المتعارف عليها شيئاً ماضياً وزاد عددها، والبرج الذي زاد عليها هو برج (الحواء) أو (أوفيكيوس).

إذن فكرة الأبراج وموضوع التنجيم الذي استند عليها وعلى تواريخها القديمة من أيام (هيبارخوس) قد تم نسفها بزيادة عدد الأبراج بدخول برج (أوفيكيوس) إليها فترتيب الأبراج بعد أن كان يبدأ ببرج الحمل وينتهي ببرج الحوت وعددهم كان 12 برجاً؛ أصبح العدد 13 برجاً بزيادة برج (أوفيكيوس) وترتيبها الجديد هو (الحمل - الثور - الجوزاء - السرطان - الأسد - العذراء - الميزان - العقرب - الحواء - القوس - الجدي - الدلو - الحوت). أما عن التواريخ فقد تبدلت تبديلاً جذرياً وكذلك مدة بقاء الشمس في كل برج أو فترة إخفائها عن سكان الأرض لكل برج. وإذا كنت من هواة التعرف على الأبراج فانظر إلى الجدول لتعرف التواريخ الجديدة للأبراج الثلاثة عشر والتي تسبب زحزحة برج (أوفيكيوس) في تغييرها.

والمقام لا يتسع لدحض حجة استناد ما يسمى بالتنجيم على ترتيب وفكرة الأبراج؛ وفي الختام يجدر القول إن الأبراج هي حقيقة ووجودها في السماء حقيقي وتوجد سورة قرآنية اسمها (البروج)، ولكن الاعتقاد بالأبراج وبأن لها تأثيراً على حياتنا هو الشيء غير المنطقي بعد أن اكتشف العلم الحديث تغيير وتبدل بدايات ونهايات الأبراج، وأنها ستتغير وتتبدل مرة أخرى جزئياً كل 71 سنة؛ وكلياً كل 2225 سنة، ولا ندري وقتها من سيكون غير (أوفيكيوس) هو السبب في التغيير.

ترتيب البرج	اسم البرج	التاريخ القديم	التاريخ الجديد
1	الحمل	20 مارس - 20 أبريل	18 أبريل - 13 مايو
2	الثور	20 أبريل - 21 مايو	13 مايو - 21 يونيو
3	الجوزاء	21 مايو - 21 يونيو	21 يونيو - 20 يوليو
4	السرطان	21 يونيو - 22 يوليو	20 يوليو - 10 أغسطس
5	الأسد	23 يوليو - 22 أغسطس	10 أغسطس - 16 سبتمبر
6	العذراء	23 أغسطس - 22 سبتمبر	16 سبتمبر - 30أكتوبر
7	الميزان	23 سبتمبر - 22 أكتوبر	30 أكتوبر - 23 نوفمبر
8	العقرب	23 أكتوبر - 21 نوفمبر	23 - 29 نوفمبر
9	الحواء - Ophichus	البرج جديد	29 نوفمبر - 17 ديسمبر
10	القوس	20 يناير - 22 ديسمبر	17 ديسمبر - 20 يناير
11	الجدي	20 يناير - 22 ديسمبر	20 يناير - 16 فبراير
12	الدلو	20 يناير- 19 فبراير	16 فبراير - 11 مارس
13	الحوت	19 فبراير- 20 مارس	11 مارس - 18 أبريل

استعمار الفضاء ضرورة للمستقبل



إشراقة عادل الطيب: السودان

يعد علم الفلك من أقدم العلوم الطبيعية حيث بدأ مع الملاحظات الأولى للسماء التي أجراها أسلافنا الأوائل من البشر. لعشرات الآلاف من السنين، كان البشر مفتونين بأنماط النجوم في السماء فوق الأرض، ولاحظوا أن القمر يتغير من الليل إلى الليل وكذلك موقعه بين النجوم ولاحظوا أيضاً وجود مجموعات من النجوم في السماء تشبه الحيوانات والبشر، وقاموا بتكوين قصص حول ما اعتقدوا أنهم رأوه.

في الواقع، تعود أقدم السجلات من الملاحظات الفلكية إلى بلاد ما بين النهرين منذ ما يقرب من خمسة آلاف عام، مع ملاحظات لاحقة قام بها الصينيون والبابليون واليونانيون القدماء. يسعى البشر إلى شرح عالمهم بنماذج (داخلية)، من أقدمها أن شؤون البشر والعالم تتحكم فيها مواقع النجوم والكواكب مثل تحديد موعد زراعة محاصيلهم وتحديد الأزمنة والتقاويم ومعرفة الاتجاهات. على الرغم من أن علم التنجيم يعد الآن علماً زائفاً، إلا أنه كان الدافع الأصلي لرسم خرائط النجوم وتخصيص الأبراج. الآن مع تقدم فهمنا للعالم، نجد أنفسنا ورؤيتنا للعالم أكثر تشابكاً مع النجوم حيث إن اكتشاف العناصر الأساسية التي نجدها في النجوم مثل الغاز والغبار من حولها، هي نفس العناصر التي تتكون منها أجسامنا ما أدى إلى تعميق الاتصال بيننا وبين الكون. لا يزال هناك العديد من الأسئلة التي لم تتم الإجابة عنها في علم الفلك، حيث تكافح الأبحاث الحالية لفهم أسئلة مثل: (كم عمرنا؟)، (ما هو مصير الكون؟) ومع تقدم العلم يسجل علم الفلك أرقاماً قياسية حيث يحدد المسافات الأبعد، والأجسام الأكثر ضخامة، والأعلى في درجات الحرارة، والانفجارات الأكبر للنجوم والأجسام الفلكية. ولم يقتصر التطور التكنولوجي في مجال الفلك والفضاء على النجوم والمجرات والأجسام الفلكية فقط، بل انتقل إلى عالم الصناعات فمثلاً، في التصوير والاتصالات تم تطوير مستشعرات التقاط الصور للصور الفلكية، والمعروفة باسم سي سي دي وقد تم استخدامها لأول مرة في علم الفلك في عام 1976. وفي غضون سنوات قليلة جداً استبدلت الفيلم ليس فقط على التلسكوبات، ولكن أيضاً في الكاميرات الشخصية وكاميرات الويب للعديد من الأشخاص والهواتف المحمولة. وفي مجال الاتصالات، قدم علم الفلك الراديوي ثروة من الأدوات والأجهزة وطرق معالجة البيانات والإشارات. تمنح الإنجازات العلمية والتكنولوجية ميزة تنافسية كبيرة لأي دولة حيث تفخر الدول بامتلاكها أكثر التقنيات الجديدة كفاءة وتسابق لتحقيق اكتشافات علمية جديدة. ولكن ربما يكون الأهم هو الطريقة التي يمكن بها للعلم أن يجمع الدول معاً، ويشجع التعاون ويخلق تدفقاً مستمراً بينما يسافر الباحثون حول العالم للعمل في المنشآت الدولية. علم الفلك مناسب بشكل خاص للتعاون الدولي بسبب الحاجة إلى وجود تلسكوبات في أماكن مختلفة حول العالم، من أجل رؤية السماء بأكملها. منذ عام 1887م قام علماء الفلك من جميع أنحاء العالم بتجميع صور التلسكوبات الخاصة بهم ووضعوا أول خريطة للسماء بأكملها. وفي عام 1920 أصبح الاتحاد الفلكي الدولي أول اتحاد علمي دولي. بدأت رحلات الفضاء البشرية في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات من القرن الماضي، ودرس البحث المبكر حول المهمات المأهولة المحتملة إلى الفضاء التأثيرات المتوقعة للفضاء على البشر، مع مراعاة النساء أيضاً. أظهر البحث أن النساء قد يكن أكثر ملاءمة لبعثات الفضاء بسبب مجموعة من الأسباب البيلوجية مثل خفة الوزن مقارنة بالرجال. في المنافسة بين الاتحاد السوفيتي (اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية) والولايات المتحدة الأمريكية المعروفة باسم سباق الفضاء، اختارت كلتا الدولتين أول طياري الفضاء (المعروفين باسم رواد الفضاء في الاتحاد السوفياتي ورواد الفضاء في الولايات المتحدة الأمريكية) لبرامجهم من الرتب العسكرية وأول امرأة تطير إلى الفضاء هي فالنتينا تيريشكوفا على متن فوستوك 6 في 16 يونيو 1963، حيث أكملت 70,8 ساعة من الرحلة محققة 48 مداراً قبل العودة إلى الأرض. لم يرسل الاتحاد السوفياتي امرأة أخرى حتى عام 1982، عندما أصبحت سفيتلانا سافيتسكايا ثاني امرأة تدخل الفضاء وتوالت بعدها الرحلات حيث يمثل النساء نسبة 10٪ من رحلات رواد الفضاء. في مناقشات استكشاف الفضاء، كانت إحدى القضايا المثيرة للجدل هي ما إذا كان ينبغي للبشر استعمار الفضاء أم لا، وهو مشروع ملاحي للإقامة البشرية الدائمة خارج الكرة الأرضية باكتفاء ذاتي تام واستغلال الموارد الطبيعية في القمر والكويكبات القريبة من الأرض التي تكون فيها الطاقة الشمسية متوفرة بكميات كبيرة واستغلالها في بناء مستعمرات فضائية. خلال الحرب الباردة، كانت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في تنافس على أن يصبحا الأمة التي ترتاد الفضاء في نهاية المطاف. اعتقد الكثير من الناس في الستينات أنه في غضون هذا العقد، سيكون استكشاف الفضاء ممكناً. الآن مع تقدم التكنولوجيا اللازمة لصنع سفن فضائية أسرع وأكثر قوة، أصبح المشروع حقيقة واقعة أكثر فأكثر. يشك البعض في المشروع ويطلق عليه عمل خيال علمي، لكن استعمار الفضاء بدأ يُنظر إليه على أنه ضرورة حاسمة للمستقبل البشري. وسيوفر السعي نحو الاستعمار مزيداً من الأبحاث والتجارب المباشرة على المجرات الأخرى والثقوب السوداء والنجوم التي لا يمكن الوصول إليها بعيداً عن الأرض. قد نتمكن أخيراً من تتبع أصول الكون، وربما حتى اكتشاف أشكال أخرى من الحياة. مع الاستعمار، سنكون قادرين أيضاً على معرفة المزيد عن التعرض المطول للحياة في بيئات خالية من الجاذبية، بالإضافة إلى الدور الذي تلعبه الجاذبية في نمو أجسامنا. علاوة على ذلك، يمكن أن تساعدنا جيولوجيا الكواكب الأخرى في فهم تكوين كوكبنا بشكل أفضل. سنكون قادرين على جمع المزيد من البيانات عن الأرض نفسها، والدراسة من منظور آخر، وهو أيضاً فرصة بارزة للعلم. وأصبح هناك تنافس كبير بين الدول والشركات للاستثمار في الفضاء وبناء المستعمرات خصوصاً في كوكب المريخ، ويعد الملياردير إيلون ماسك مؤسس وصاحب شركة سبيس إكس من أكثر رجال الأعمال المهتمين بالاستثمار في الفضاء وبالأخص كوكب المريخ حيث إن لديه خطة لإنشاء مستعمرة على سطح المريخ بحلول عام 2050.

من التنجيم إلى استعمار الفضاء



أنور أحمد عثمان: السودان

يعد علم الفلك من أقدم العلوم الإنسانية جميعها منذ العصور الأولى في التاريخ وبداية ظهور الإنسان، وكانت البشرية تنظر للنجوم أحياناً بعين الرهبة والخوف، وأحياناً بعين الاستئناس والتضرع والمحبة، فكثير من قدماء المصريين والفراعنة عبدوا الشمس (الإله (أتون) قرص الشمس وجعلوه رمزاً لهم وبعض ملوك الرومان والإغريق والصينيين صنعوا من الكواكب أسماء آلهتهم مثلاً: كوكب المشتري (جوبيتر) كبير الآلهة وكوكب المريخ (مارس) إله الحرب وكوكب (فينوس) (أفروديت)، آلهة الجمال.. وهكذا.

وأيضاً تسمية الأيام بأسماء الكواكب Sunday - يوم الشمس moonday - يوم القمر saturday - يوم السبت friaday يوم الجمعة وهكذا.

وبعض الناس اتخذ في قديم الزمان هذه الكواكب والنجوم كنذر شؤم وكوارث وأفراح أيضاً، فكان ظهور نجوم معينة يعني أوقات حصاد ودفء وشتاء، وظهور غيرها يعني أمطاراً وخريفاً، وغيرها ربيع، وغيرها جدب، وجفاف، وهكذا.. وبعضها يعتبرونه نذير شؤم وكارثة مثل رؤية شهاب أو مذنب وجاء ذكر ذلك فيما قول الشاعر أبو تمام عندما ذكر ظهور المذنب هالي في فتح عمورية وتشاؤم المنجمين وتخويفهم للجيوش حينها من رؤية المذنب في السماء حين قال:

وخوفوا الناس من دهياء مظلمة
إذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب

وبعد دخول العصور الوسطى بدأت البشرية تتطور قليلاً لتنظر للنجوم والكواكب وعلم الفلك بأكمله نظرة إيجابية قليلاً، وتستبعد التنجيم وتتعلم التوقيت من مواعيد الشمس في الشروق وتوقيت الغروب، والليل والنهار والعام والسنة وأيضاً تتعلم من منازل القمر والأهلة معرفة الشهور والأسابيع، ومعرفة المواقيت والشعائر، والخسوف والكسوف. فالعرب قديماً كانت شعائرهم وأوقاتهم وحساباتهم تعتمد على الشمس والقمر، فنشأ علم الحساب الشمسي والنجمي والقمري والميلادي والعربي والهجري.. إلخ.

بداية الكون.. السر الغامض

كيف بدأ الكون؟ وكيف تكونت المجموعة الشمسية وتطورت؟ سؤال مازال العلماء يبحثون عن إجابة وافية عنه حتى الآن. توسعت معرفة الإنسان تدريجياً للكون بإيمانه بآيات الله تعالى حول الخلق والمخلوقات، وعلى الرغم من الاستقراء بالبحث العلمي واستقراء الوثائق والآثار وتكرار التجارب، لكن هذه الأسئلة مازالت تحير عقل الإنسان دون إجابات شافية تروي غليله، كيف بدأ الكون؟ ما هي حدود الكون؟ كيف تكونت المجموعة الشمسية؟ ما هو عمر الأرض؟ وكيف بدأت الحياة على البسيطة؟ وتوصل العلماء بعد بحوث مضنية عميقة



إلى افتراضات أن الأجرام تبتعد عن بعضها البعض بنسب متفاوتة. ما يجعل هذا الكون في امتداد دائم لا نهائي وأن المجموعة الشمسية تكونت تحت تأثير نجم عابر ضخم مرَ بالقرب من الشمس وانتزع لساناً طويلاً من مادتها وبقي هذا اللسان من المادة يدور حول الشمس ثم انفجر إلى قطرات من النار واتخذت هذه القطرات أماكن الكواكب الحالية الموجودة حول الشمس وبردت تدريجياً وبرزت عبر مليارات السنين مكونة الكواكب ثم التوابع ومنها الأرض والقمر. هذه الفرضية تعرف باسم نظرية الانفجار العظيم ثم نظرية سوبر نوفا، ومن الثابت لديهم أن الأرض والقمر كانتا جزءاً من الشمس وانفصلتا عنها، والمجموعة الشمسية جزء من مجرة درب التبانة دلالة على النظام النجمي والمجري الذي ننتمي إليه. والمتأمل في هذا الكون الهائل الواسع الفسيح يعرف أن مجموعتنا الشمسية وكرتنا الأرضية ما هي إلا كحبة رمل في صحراء شاسعة مترامية الأطراف بلا حدود.

ما هي الأرض؟

الأرض هي خامس أكبر كواكب المجموعة الشمسية، وثالث الكواكب من حيث البعد عن الشمس الذي يبلغ 93 مليون ميل أو 150 مليون كيلو متر، أي ما يعادل وحدة فلكية واحدة. تدور الأرض حول نفسها من الغرب إلى الشرق بسرعة تعادل 1670 ك/ ساعة وحول الشمس بسرعة تعادل 107 ألف كيلو متر في الساعة، وهي سرعة هائلة جداً ومخيفة إذا قارناها بسرعة طائرة مثل طائراتنا التي نسافر بها والتي تسير بمعدل 800 إلى 1000 ك/ الساعة أو طائرة مثل طائرات ناسا الفضائية التي تسير بسرعات أكثر من 1000 ك/ الساعة ولكننا في الأرض لا نشعر بهذه السرعة الهائلة التي تسير بها الأرض لضخامة حجمها ولتعادل جاذبيتها مع جاذبية الشمس والقمر التي تجعلنا نشعر أننا ثابتون. تسمى دورة الأرض حول نفسها باليوم والذي يعادل ما يقارب 24 ساعة ودورانها حول الشمس وتسمى بالسنة أو العام الذي يعادل 365 يوماً تقريباً. يبلغ قطر الأرض نحو 7918 ميلاً، وتحيط بها أغلفة مغناطيسية وطبقات جوية مهمتها تصفية الأتربة والغبار الكوني وإشعاعات



الشمس الضارة القادمة من أعلى، وأيضاً تعمل هذه الأغلفة على تثبيت مقدار نسب الغازات الصالحة للمخلوقات الأرضية كالأكسجين والهيدروجين والنتروجين وثاني أكسيد الكربون وخلافه. ومتوسط درجة حرارة الأرض نحو 17 درجة مئوية. وتبلغ نسبة الماء في الأرض نحو 71 % من مساحة الأرض. ويبلغ عدد سكان الأرض نحو 7500 مليار نسمة وعدد الدول المسجلة في الأمم المتحدة 193 دولة وتوجد بعض الدول غير مسجلة في الأمم المتحدة.

ارتياد الفضاء

بدأ الإنسان التفكير جدياً في ارتياد الفضاء بعد عصر النهضة مباشرة وبعد الثورة التي أحدثها (جاليليو غاليلي) باختراعه للتلسكوب عام 1609 وأيضاً بعد إثبات أغلبية العلماء أن الأرض كروية وتدور حول الشمس، وأن الشمس ثابتة وليس العكس. وتعدلت النظرة إلى الفضاء الخارجي وتطورت، وبدأ الإنسان يتساءل ماذا يوجد خارج الأرض؟ ولماذا لا نستطيع السفر خارج الأرض لنستكشف ماذا يوجد هناك.. نعم ماذا يوجد هناك؟!

ولكن.. كيف الوصول إلى خارج الأرض؟ الحل كان عند العالم الروسي (سويد فسكي) عام 1903 عندما وضع نظرياته وحساباته عن الفراغ خارج الأرض، وجاذبية الأرض، وكيفية الانطلاق من الأرض للفضاء.

وأيضاً نظريات الألماني (فهرنر براون) الذي وضع أسس الطيران والارتفاع مع تطبيق نظريات (ألبيرت آينشتاين) وجاذبية (نيوتن).

وبدأ التحليق نحو الفضاء كأول قمر صناعي روسي عام 1957م تم إطلاقه خارج الأرض ثم عام 1958 و1961م بواسطة الروسي (يوري قاقارين) ودورانه حول الأرض، وأيضاً فالتينا ترتشكوفا الروسية، ثم أمريكا بإطلاق (اكسبلورل) الأول والثاني في بداية الستينات، ثم إطلاق مجسات فضائية عام 1959م ثم 1962م بالقرب من كوكب الزهرة و1974 و1979م ثم مجسين فضائيين لكوكب عطارد وكوكب المريخ، ثم توالت الرحلات



لاستكشاف قمرنا تابع الأرض. وانطلقت رحلات أبولو المأهولة عام 1968م ثم أبولو 11 عاماً 1969 بهبوط أول إنسان على سطح القمر، ثم بناء المحطات الفضائية الضخمة في الفضاء الخارجي مثل (سكاي لاب وساليوت والمحطة الفضائية الدولية) في السبعينات والثمانينات والتسعينات من هذا القرن ومازالت.

غزو الفضاء بالأقمار الاصطناعية

تسابقت الدول والحكومات لاستغلال الفضاء وحشد أكبر عدد من الأقمار الاصطناعية سواء للأغراض السلمية أو العسكرية.

يوجد الآن في الفضاء الخارجي نحو 7500 قمر اصطناعي، هذه المعروفة فقط وتوجد أقمار اصطناعية غير معروفة، وتمتلك الولايات المتحدة الأمريكية أغلب الأقمار المعروفة وتليها الصين ثم روسيا ثم إسرائيل وإيران والهند والاتحاد الأوروبي وكندا وأستراليا وغيرها. ومن الدول العربية: السعودية والإمارات ومصر والجزائر والمغرب وقطر وتونس والعراق ومن الدول الأفريقية جنوب أفريقيا ورواندا والكنغو وكينيا. وتبلغ أهمية الأقمار الاصطناعية باستخداماتها السلمية للكرة الأرضية وسكانها من البشر مثل التعليم عن بعد، الترددات التلفازية والراديوية، الاتصالات بأنواعها المختلفة، الإنذار المبكر للحرائق والفيضانات والتصحر والزلازل والبراكين، مراقبة حالات الطقس والسحب والأمطار والبوصلات وتوجيه السفن والطائرات، ومراقبة مهددات الأرض من المذنبات والكويكبات والعواصف الشمسية والشهب، ودراسة الفضاء الخارجي واستكشاف الكواكب والمجرات، ثم تأتي أهمية الأقمار الاصطناعية لبعض الدول للتجسس العسكري والدفاع بإطلاق الصواريخ العابرة للقارات والهجوم وغيرها.

مازال الإنسان يحاول السيطرة على الفضاء الخارجي القريب ومن ثم الفضاء الخارجي البعيد في المستقبل ليصل إلى استعمار الكواكب القريبة والمجرات.. فهل يستطيع؟

الرصد الفلكي والتأمل في الكون



محمد يحيى الكناني: السودان

تعد علاقة الإنسان بالفلك والمجرات والتصورات علاقة أزلية منذ زمن بعيد، إذ تبدأ منذ هبوطه إلى الأرض، أحد أهم كواكب المجموعة الشمسية التي تتوافر فيها جميع سبل الحياة للكائنات الحية والنباتات، إضافة إلى اعتماد الإنسان على علم الفلك في جوانب عدة في حياته اليومية متمثلة في ظواهر الشروق والغروب، وتحديد أوقات الصلاة، والمناسبات الدينية، إضافة إلى حساب الشهور والسنين، بجانب علاقة الإنسان بالمجرات التي تكمن في التعرف على مكوناتها والتأمل فيها ومعرفة عددها وأنواعها من خلال دراستها بواسطة التلسكوبات الفلكية المتطورة والمسبارات الفضائية لكشف بعض سبل أسرار الكون الفسيح، كما أن هناك تصوراً خاصاً للإنسان

تجاه الفضاء، إذ يعرف الفضاء أنه يتداخل حول نفسه، وتفسير ذلك أن الإنسان لا يستطيع الخروج من الفضاء لأن مساره سينحرف به في المنحنيات الفضائية التي تختلف عن منحنيات الأرض البسيطة وتواجهه صعوبة في رسم المنحنيات لكن يمكن حسابها. ومن ضمن الأشياء التي ترتبط بنشاطات الإنسان وثقافاته وحياته العامة، الرصد الفلكي والتأمل في الكون، ورصد ومتابعة الظواهر الفلكية المؤثرة مثل الكسوف والخسوف وعبور الكواكب، وغيرها من الظواهر الفلكية، ونلاحظ أنه وخلال هذه الحقبة الزمنية ظهرت بعض المفاهيم والمعتقدات الخاطئة التي صاحبت ظهور علم الفلك والتي كادت أن تكون جزءاً منه لولا صحوة العلماء والمؤرخين حيث صار هناك خلط بين التنجيم وبين علم الفلك، وسوف أتطرق لبعض المفاهيم التي توضح مفهوم علم الفلك واختلافه عن التنجيم الذي عادة يشكل لغطاً كثيراً بين العامة حيث يظن البعض أن هناك علاقة بين التنجيم والأبراج وطوالع النجوم، أي منازل القمر، وفي الواقع لا توجد علاقة علمية بين علم الفلك والتنجيم (Astrology) وهو ليس بعلم كما يدعي البعض بل إنه ضرب من الخيال والتكهن يستخدم المعلومات الفلكية ويربطها بالأحداث والوقائع. ويعد هذا وهماً من قبل المنجمين وبعض السحرة. حيث كان بعض المنجمين يزعمون أن للكواكب روحانيات وملوكاً يستخدمونها، وكانوا يستعينون بها في سحرهم (المؤلف نجم البداية في شرح الخفايا، مايكل يوسف سلوانس) كما تعرف الأبراج (Zodiacs) بأنها مجموعات نجمية تظهر في السماء ليلاً، وقد اصطلح تعريفها بأنها شريط وهمي على سطح الكرة السماوية يحف مدار الأرض حول الشمس ولا يزيد عرضه عن 18 درجة وتمر الأرض بمنتصف هذا الشريط الدائري. أطلق القدماء عليها أسماء بناء على شكلها في السماء والذي يأخذ أشكالاً شبيهة ببعض أنواع الحيوانات أو أبطال خلدهم التاريخ أو القصص أو الأساطير القديمة، وتعد الأبراج كخريطة سماوية بل ساعة كونية يستفاد منها في معرفة بداية طلوع بعض الكواكب وكذلك معرفة منازل القمر والحسابات الفلكية وذلك لمرور القمر بها ومكث الشمس في كل منزلة فترة زمنية معينة. والمنازل هي جزء من الأبراج وعددها 28 منزلة، ويعرف طالع النجم: أنه النجم أو المنزلة التي تطلع من الشرق ويليها غارب النجم: وهو النجم أو المنزلة التي تغرب في الغرب في الوقت الذي يطلع فيه الطالع مثل نجم الثريا، ونجم الشرطين، ونجم البطين.. إلخ وعددها 28 وتسمى عند العامة بعين الفصول الأربعة، المتوسط: يكون على رأس الراصد يقع بين الطالع والغارب ويستفاد من طوالع النجوم في معرفة بداية الشهور العربية، إذ من الشمس نعرف الأيام ومن القمر نعرف عدد الشهور والأعوام، أما علاقة الفضاء والإنسان: لا يوجد غلاف جوي في الفضاء، ومن ثم لا يمكن انتقال الصوت هناك. ولا يوجد طقس مثل الذي نعرفه في الأرض، فالفضاء مليء بالإشعاعات الضارة والجسيمات التي تتحرك بسرعات عالية، وهو يبدأ من حيث يتلاشى الغلاف الجوي تقريباً، ولكننا لا نعرف أين ينتهي.

لقد سافرت السفن الفضائية من الأرض إلى أبعد الكواكب في مجموعتنا الشمسية ولكن حتى الآن لم تكتشف النجوم البعيدة في أعماق الفضاء وهي تبعد عنا ملايين الكيلومترات. المجرات لوحة زاهية يتابعها الإنسان، ومن خلال الأرصاد الفلكية قد يوجد العديد من المجرات الأخرى التي تشبه مجرتنا في بعض الأشياء، وتضم المجرة تجمعاً هائلاً من النجوم، وبعض المجرات تبعد عنا كثيراً لدرجة أننا لا نستطيع رؤيتها كاملة، ولكننا نستطيع رؤية عدد قليل منها، فالذين ينظرون من جنوب خط الاستواء يمكنهم أن يروا مجرتين تبدوان كنقطتين بيضاويتين يطلق عليهما اسم سحابتي ماجلان الكبرى والصغرى. أما الذين ينظرون من شمال خط الاستواء فإنه يمكنهم رؤية مجرة أخرى في كوكبة (برج) المرأة المتسلسلة أي المرأة ذات السلاسل، ويعد هذا البرج أبعد شيء يمكن رؤيته بالعين المجردة. وهناك ملايين من المجرات الكونية الأخرى، أقرب من هذه المجرات تبعد عن أرضنا نحو مليوني سنة ضوئية. أما المجرات البعيدة فهي قد تبعد عنا ملايين السنين الضوئية. وفي الحقيقة يعتقد العلماء أن كل ما توصلوا إليه من رصد ومعلومات عن الفلك ما هو إلا جزء صغير بالنسبة للكون! أما بالنسبة إلى اكتشاف الفضاء ودور الإنسان في ذلك الصرح فقد سلط الإنسان برنامجاً خاصاً بالفضاء واستخداماته حيث تلعب تقنيات استكشاف الفضاء دوراً مهماً في دعم العمليات العسكرية المتمثلة في التجسس والمراقبة، وذلك باستخدام أقمار اصطناعية صغيرة مكعبة تسمى كيوبسات ونانوسات وميكروسات للأغراض والأهداف الحربية، إضافة إلى البالونات الجوية عالية الارتفاع حيث تستخدم في عمليات الاستطلاع العسكري لكشف الأهداف والعدو. أما في الجانب السلمي فقد شهدنا تطورات ملحوظة من جانب الدول الكبرى حيث أطلقت الولايات المتحدة الأمريكية عدة مسبارات ومركبات فضائية إلى المريخ، وكذلك روسيا والصين وأخيراً الإمارات العربية المتحدة التي أطلقت مسبار الأمل إلى الفضاء ليصبح أول مسبار عربي يشارك في اكتشاف الفضاء. علاوة على ذلك نجد سباق الفضاء التجاري والاقتصادي من قبل بعض الشركات الداعمة لبرنامج الفضاء وعلى سبيل المثال لا الحصر نلاحظ ظهور شركات تختص بجانب اقتصاد الفضاء وذلك بعمل مركبات فضائية تساعد في نقل الرواد إلى الفضاء لجلب مزيد من المعلومات ومساعدة وتشجيع الباحثين على البحث عن سبل أخرى لحياة خارج الأرض. ومن أشهر رجال الأعمال الملياردير الأمريكي إيلون ماسك داعم شركة Space X لمعدات الفضاء واستكشافه، الذي أعد برنامجاً خاصاً بغزو الفضاء، وذلك بصنعه لمركبات فضائية تساعد في ارتياد الفضاء واستكشافه، ومعرفة ما حوله من مجرات. وتعد المجرات هي الفضاء نفسه إضافة إلى الفراغ البين نجمي.

التكنولوجيّات الرقمّية في استكشاف الفضاء


رياض العمري: تونس

لطالما نظر الإنسان إلى الفضاء وتمنى في نفسه الأماني فمن الناس من تمنى رؤيته عن قرب ومنهم من تمنى استكشافه ومعرفة أسراره ومنهم من تمنى غزوه وحيازة كنوزه. أما اليوم فكل ذلك أصبح ممكناً بوجه أو بآخر بفضل قفزات علمية كبيرة كان معظمها فيزيائياً معلوماً لدى العديد ولكن غير ممكنة التحقيق لغياب التكنولوجيا التي تترجم النظريات إلى حقيقة.

منذ أوائل القرن العشرين ووصولاً إلى الحروب العالمية صارت التكنولوجيا هدفاً ومطلباً للعديد من الدول حتى كانت الحرب الباردة التي كانت بمثابة قفزة نوعية في وقت وجيز لأحدث التكنولوجيات المستخدمة في غزو الفضاء واستكشاف أسراره الفلكية وإن كان البعض يعتبرها منتجاً ثانوياً لحرب التسلح بين معسكر الغرب بقيادة الولايات المتحدة ومعسكر الشرق بقيادة الاتحاد السوفييتي البائد.

من جهة الفيزياء يعد الفضاء هو كل ما يوجد خارج غلاف الأرض ويعرف عند الفيزيائيين بالمجال ما بين المجرات أو ما بين الكواكب (interstellar space) وهو مجال المجرات والأقمار والنجوم وكل منها يسبح في فلكه المحدد.

من أولى الخطوات وأهمّها في فهم الفضاء واستكشافه الشروع في تحديد هذه المسارات والأفلاك بدقة الرياضيات. وفي هذا الخصوص يمكن أن نعتبر قانون إسحاق نيوتن المعروف عن الجاذبية العماد الأساسي لهذه المهمّة، وهو إلى الآن يعتبر من أدق النظريات وصفاً في تحديد مسارات الكواكب والأقمار، والسبب في ذلك هو أنه اعتمد الكتلة كمصدر للقوة الجاذبة، وعليه فإن نفس القوة التي تسقط الأشياء على الأرض هي نفسها التي تجعل القمر يدور حولها وأما مساره وعدم انجذابه كلياً حتى يلتصق بالأرض فهو نتيجة سرعته الأولى التي بها اقترب من الأرض والحديث عن بقية الكواكب قياس، فالمبدأ نفسه ينطبق على سائر التوازنات بين الكواكب وكل شيء في الكون بميزان.

لكن تكنولوجيات استكشاف الفضاء تواجه تحديات متنوعة: وأول هذه التحديات التكنولوجية كان في تحقيق الفكرة الأساسية التي بها تمكن الإنسان من مغادرة الأرض: ولذلك تساءل المهندسون والفيزيائيون عن إمكانية تمكين الصواريخ من التحرك عكس الجاذبية وبسرعة كبيرة حتى تضمن الخروج من الغلاف الجوي.

وقد وجد العلم في هذا الخصوص خطة علمية ذكية: قوامها الاعتماد على الذكاء الصناعي في توقع ظروف الفضاء الخارجي، فتكنولوجيا أساليب المحاكاة كانت الحل الأنسب والأقل تكلفة، إذ إن جل قوانين الفيزياء ونماذج الميكانيكيات متواجدة فيها ومترابطة فيما بينها لتحديد حجم وسرعة المحركات وحتى مدى قدرتها على تحمل حرارة الاحتكاك بالغلاف الجوي وتحليل الأعطاب وإيجاد البدائل لمسائل كانت عائقاً دون تطوير أكبر وتكلفة أقل.

لتكنولوجيا أساليب المحاكاة مجالات كثيرة وأبرز أساليب المحاكاة في غزو الفضاء ما يعرف بديناميكية السوائل الرقمية (CFD أو Computational Fluid Dynamics) التي أصبحت أبرز الطرق المعتمدة عند الإدارة الوطنية للملاحة الفضائية في الولايات المتحدة المعروفة اختصاراً ناسا NASA. كما أنَّ هذه التكنولوجيا واسعة الاستخدام في مراكز الأبحاث ذات الصلة بعلوم الفضاء ومنها مركز البحث الفيدرالي الألماني لعلوم الفضاء والجو، واستخدامه كان مجاله أساساً في تصميم محركات الطائرات والصواريخ التقليدية والحديثة.

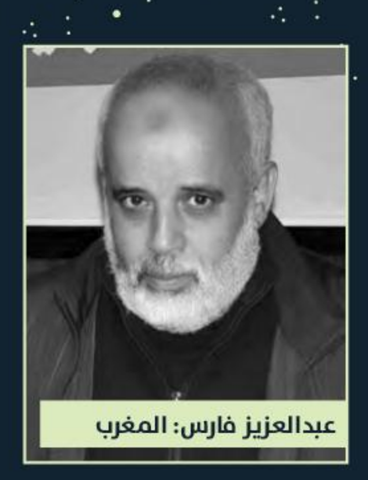
تلك المحركات المستخدمة في الصواريخ تعتمد الكهرباء المولدة في البلازما للدفع بالصاروخ إلى مدى أبعد وبسرعة أعلى، أما الصواريخ الحاملة للركاب أو رواد الفضاء عادة فهي تخضع لمعايير سلامة أكثر صرامة ودقة من أي وقت مضى، ولذلك هي تحتاج إلى دراسة أكثر تأنياً. ويمكن أن نلاحظ التركيز على العديد من التجارب والقصد منها هو تحديد مدى تطابقها مع المعايير الدولية لسلامة رواد الفضاء.

ومن العلامات المميزة لهذه التجارب المحددة لديناميكا السوائل في صلتها بغزو الفضاء ما تستهلكه ناسا NASA في كل تجربة إقلاع من كميات مياه وهي في حدود نصف مليون غالون من الماء العذب للحد من شدة الحرارة المنبعثة من محركات الدفع للحفاظ على سلامة المعدات المساعدة على الإقلاع وللحد من موجات الضغط الهائلة المتولدة عن دوران المحركات والحرارة أيضاً.

وقد استعملت أساليب المحاكاة أيضاً للحد من عدد التجارب عن طريق تصميم نماذج رقمية دقيقة لمحاكاة الإقلاع وتصميم معايير السلامة دون اللجوء إلى التجارب التي أصبحت عبئاً على NASA في توفير كمية المياه العذبة الهائلة في ظل نقص الموارد وتغير المناخ وتبعات هذا التغيير على البيئة التي تتم فيها عمليات الانطلاق والاستكشاف.

إن غزو الفضاء لم يعد مجرد حركة فيزيائية تتم في فضاء كوكب الأرض خروجاً إلى فضاء أرحب، بل أصبح أساساً عملية انتقال رقمي من تكنولوجيات تقليدية إلى تكنولوجيات رقمية شديدة التطور والتأثر بمجالات الذكاء الصناعي، ولذلك تلعب العلوم الهندسية والصحيحة دوراً مركزياً في غزو الفضاء، لأن الفضاء نرحل إليه بالعقل أولاً ثم بأجسام الرواد، فالقياسات الدقيقة والتصاميم الحاسوبية المحاكية للواقع هي التي تجعل الرحلة إلى الفضاء يوماً بعد يوم خطوة إنسانية راسخة لاستكشاف الكون وإثبات وجود هذا الكائن الذي علمه الله الأسماء كلها وفتح له مجال استكشاف الطبيعة بالاعتماد على سلاحه الجبار، الذكاء الصناعي المنبثق عن ذكاء طبيعي يختزنه عقل الإنسان.

العرب والسيادة على الفضاء الخارجي



عبدالعزيز فارس: المغرب

يمكن الجزم بأن العالم العربي ما يزال في بداية الطريق حين يتعلق الأمر بعلم الفلك وتطبيقاته، فمنذ 1967، تولى وزراء الإعلام العرب مهمة النظر في الإمكانات التي تتيحها الأقمار الصناعية في اتجاه استغلالها إقليمياً في خدمة المعلومات العربية. وإذا كانت رغبة العرب في الوصول إلى تقنيات الفضاء قد نشأت في وقت مبكر، إلا أن الطموح العربي فيما يتعلق بعلوم الفضاء لم يأخذ مجراه الطبيعي إلا في بداية القرن الحادي والعشرين حين تضاعفت البرامج الوطنية، سواء في مجالات الاتصالات السلكية واللاسلكية أو في مجال مراقبة الأرض.

إن استشعار أهمية الفضاء في السلم كما في الحرب دفع العرب إلى أن يجدوا لهم موطئ قدم على رقعة الشطرنج العالمية، ويبرز الفضاء اليوم مجالاً للصراع يتم فيه التعبير عن علاقة القوة بين الدول، فمعركة التحديث التي تخوضها الدول العربية تتطلب تحقيقاً فعلياً للسيادة على الفضاء باعتبارها مكوناً مؤثراً في الأنشطة الأرضية سواء كانت مدنية أو عسكرية، ونخص بالذكر الملاحة عبر الأقمار الصناعية، والاتصالات والتلفزيون، والأرصاد الجوية، والاستكشافات العلمية، ومراقبة الظواهر الطبيعية، وتحقيق الأمن الإقليمي والدولي، بل إن السيادة المستقلة على الفضاء من شأنها أن تمنح الدولة التي تحتفظ بها مكانة مميزة في التسلسل الهرمي للدول، ولذلك نجد في السنوات الأخيرة إطلاقاً لبرامج فضائية من قبل دول جديدة لم تكن إلى زمن قريب لاعباً أساسياً في هذا الميدان. وفي هذا الصدد تضاعف الاهتمام العربي بالإنتاج العلمي المتعلق بعلم الفلك، ونخص بالذكر دولاً محددة كالإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية وجمهورية مصر العربية والمملكة المغربية، فهذه الدول حققت في السنوات الأخيرة تطوراً لافتاً وقفزة مهمة في طريق امتلاك سيادتها على الفضاء الخارجي. وكان إنشاء المراصد والمختبرات إسهاماً بارزاً في خلق دينامية علمية مساعدة على الإنتاج العلمي المتخصص. وكما هو معلوم، يحتاج علم الفلك اليوم إلى آليات وتقنيات حديثة للرصد. وتعتبر دول الخليج وبخاصة المملكة العربية السعودية أكثر الدول العربية قدرة على توسيع قاعدة الاستثمار في علم الفلك وتطبيقاته بأسلوب يمكن الأمة العربية من قاعدة رصدية مهمة وموارد بشرية ذات تكوين رصين في هذا المجال، ولعل الجغرافيا تقضي بأن تكون المملكة العربية السعودية بحكم الإمكانيات والطموحات، قادرة على احتواء المجال الجوي العربي تحقيقاً للسيادة العربية المطلقة على الفضاء الخارجي، وكل ذلك من شأنه أن يؤدي إلى انتشار عمليات نقل التكنولوجيا الفضائية ونشر المعرفة والمهارات وامتلاك تقنية الأقمار الصناعية وإدارة الأنظمة، وهذا المعطى بالذات، هو ما جعل الحكومات العربية توسع قاعدة الاستثمار في البحث العلمي والتطوير في قطاعات إستراتيجية مثل الطاقة والدفاع وأنشطة الفضاء والأمن السيبراني.

إن تحول الفضاء إلى ميدان للتنافس واستعراض القوة، يجعل الاستعمال العسكري للفضاء ضرورة ملحة لكل دولة أرادت تحقيق السيادة الأمنية في عالمنا المعاصر، وهكذا بدت القدرات المرتبطة بالسيطرة على الفضاء معبراً نحو تحقيق الأهداف الإستراتيجية للدول العظمى، ولذلك يبدو أن المسيرات المتطورة والطائرات النفاثة والقوة الصاروخية الضاربة قد أحدثت ثورة في المجهود الدفاعي ورسخت مفهوم السيطرة على الأجواء في الإستراتيجيات العسكرية المعاصرة، فالتسيير اليومي للأقمار الصناعية التي تعزز المشاريع المدنية أو العسكرية، ومراقبة الفضاء لضمان السيطرة الميدانية، كل ذلك أضحى ضرورياً لتحقيق السيادة على الفضاء الخارجي.

كما أن الفضاء تحول إلى مكون أساسي يتغيا استخدامه دعم العمليات أرضاً وبحراً وجواً. إن التحذير المبكر والاستشعار عن بعد، والاتصال السلكي واللاسلكي، والتحكم والسيطرة، كل ذلك يساعد على تحسين التحكم في الفضاء والاستخبار الإستراتيجي المحقق للتفوق الميداني.

وقد انتبهت الدول المتطورة إلى أهمية ترسيخ ثقافة الفضاء علمياً وأدبياً، وشجعت على ظهور مؤلفات علمية وأدبية تعنى بكل ما له صلة بالحياة خارج كوكب الأرض.

وبالنسبة للعالم العربي، من المهم جداً أن نتوقف عن استخدام عبارة عصر الفضاء فيما يتصل بإذاعة بعض البرامج الفضائية أو حتى بإطلاق قمر صناعي عربي، فنحن لم ندخل عصر الفضاء عندما نشتري قمراً من شركة أجنبية ونكلف شركة أجنبية ثانية بإطلاقه ومتابعته، وإذا حدث وتعطل فلن نعرف إلا عندما تخبرنا الشركة الأجنبية بذلك، لأننا ببساطة لم نشارك في تصنيعه، ولو بنسبة ضئيلة. وهكذا تلجأ الدول العربية في الغالب، للحصول على ما تريد، إلى الاستيراد، وفي عالم تقنيات الفضاء لا يصلح هذا الأسلوب مهما بلغت الأموال المنفقة في هذا الصدد، فهذه صناعة لا تشترى، وقد يمكننا شراء قمر صناعي بتكلفة كبيرة، ولكن لا يمكننا شراء أسرار صناعته، وهو ما نريد.

وينعكس هذا الواقع السلبي على إسهام العرب في التأليف العلمي والأدبي المرتبط بالفضاء، فأحسن الكتب في هذا المجال حالياً ليست عربية.

دراما حرب النجوم السينمائية وبرنامج التسلح الأمريكي



حسن رياض: المغرب

على مر العصور استند الكثير من زعماء العالم على تأثير وقوة الأفلام السينمائية لتحقيق أهدافهم، على سبيل المثال، في أثناء الحرب العالمية الثانية استخدم كل من هتلر وستالين الأفلام كوسيلة دعائية ونجحا في تحقيق ذلك. تمتلك السينما القدرة على تغيير آراء الناس ووجهات نظرهم، فالأفلام الجيدة دائماً ما تؤثر في المُشاهِد ويتفاوت هذا التأثير بحسب الفيلم والشخص، وبشكل خاص، لابد للناس أن تتأثر بالأفلام نظراً لأن الهدف الرئيسي من الفن السينمائي هو تماماً التأثير في المتلقي وإيصال رسائل محددة. وتعتبر الأفلام الأمريكية نموذجاً بارزاً للطريقة التي تؤثر بها السياسة الأمريكية في كافة المجالات على المجتمع وعالمنا الحديث الحالي، بعضها ذو تأثير سلبي وبعضها الآخر إيجابي، نظراً لتطور صناعة الأفلام بشكل واسع واستحواذ الأفلام على مساحة كبيرة من حياتنا اليومية، ولعل سيطرتها على الفضاء من أهم الأفكار التي تروج لها. وقد استغلت الولايات المتحدة الأمريكية نجاح ملحمة حرب النجوم واقعاً تجاوز قاعات السينما ليؤكد قوتها على مستوى الفلك والفضاء العالمي.

السياق التاريخي لبداية حرب النجوم خيالاً وواقعاً

قبل أن تسمى مبادرة ريغان بـ(حرب النجوم)، كانت هناك سلسلة سينمائية تحمل المسمى ذاته، (حرب النجوم) (Star Wars) بدأت سنة 1977م، وهي سلسلة أفلام أوبرا فضاء ملحمية، من ابتكار جورج لوكاس، السلسلة الرئيسة مكونة من ثلاث ثلاثيات أي تسعة أفلام، إضافةً إلى أفلام ملحقة. و(حرب النجوم) تعدت كونها سلسلة أفلام، بل أنتجت كتباً ومسلسلات تلفزيونية وألعاب كمبيوتر وفيديو، وعرض آخر أفلام هذه السلسلة في نهاية عام 2019م، وحقّق أعلى الإيرادات.

بالطبع الولايات المتحدة الأمريكية دولة السينما بامتياز، هكذا تذكرنا (حرب النجوم) بالسلسلة السينمائية، والمشروع العسكري الإستراتيجي للرئيس رونالد ريغان، ففي التاسع من نوفمبر عام 1989م، سقط (جدار برلين)، في حادثة تاريخية كانت مقدمة لانهيار الاتحاد السوفييتي، وجاءت بعد سلسلة طويلة من الأحداث عجلت بالوصول إلى هذه اللحظة، كان أبرز الفاعلين فيها الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان.

ريغان كان قد تنبأ في خطابه الشهير (إمبراطورية الشر) عام 1983م، بانهيار الاتحاد السوفييتي، وكان يعتبر محاربته مسألة أخلاقية تتوجب المضي قدماً في سياسة جديدة أكثر تشدداً من سياسة سلفه جيمي كارتر الذي ألقى عليه باللائمة في إضعاف قوة الولايات المتحدة في العالم.

ريغان الذي هزم كارتر في انتخابات عام 1980م، شكك في أول مؤتمر صحفي له في 1981م، بعد تنصيبه في شرعية الاتحاد السوفييتي، وبعد ذلك بعامين (1983م) وصفه بأنه «إمبراطورية الشر... ومركز الشر في العالم الحديث»، في خطابه التاريخي الشهير، وتنبأ ريغان في الخطاب بسقوط الاتحاد السوفييتي: «أعتقد أن الشيوعية هي فصل آخر حزين وغريب في تاريخ البشرية، يتم الآن كتابة الصفحات الأخيرة له». وعندما أراد التأكيد أنه يخوض حرباً أخلاقية في العالم حذر من (تصنيف الطرفين أنهما على خطأ... أن تصف سباق التسلح بأنه سوء تفاهم كبير وبالتالي أن تزيل نفسك من الصراع بين الصواب والخطأ والخير والشر).

آمن ريغان بضرورة تعزيز قوة الولايات المتحدة في العالم، فأعلن عن إستراتيجية جديدة تتمثل في زيادة الإنفاق العسكري لتحديث وتطوير القوات المسلحة، كان برنامج الإنفاق العسكري الضخم حينها الأكبر في الولايات المتحدة أثناء السلم.

ظهر مصطلح (حرب النجوم) أثناء الحرب الباردة، وهو اسم أطلق على مبادرة الدفاع الإستراتيجي لعسكرة الفضاء والسيطرة على علم الفلك وجعله أمريكياً بامتياز.

إذن في عهد الرئيس الأمريكي الهوليودي رونالد ريغان الذي عمل كمعلق رياضي، وممثل سينمائي قبل انخراطه بالعمل السياسي، وخلال فترة رئاسته، شهد الاقتصاد الأمريكي دفعة قوية ظهرت في انخفاض نسبة كل من التضخم والبطالة، وارتبط اسم ريغان على الصعيد الخارجي، بإطلاق هذا البرنامج الهادف لإحباط أي هجوم قد تتعرض له الولايات المتحدة أو إحدى حليفاتها بالصواريخ البالستية، حيث جاء هذا البرنامج في إطار سياسة كاملة وضعها الرئيس ريغان لجر الاتحاد السوفييتي إلى سباق تسلح مهلك، وهو ما نجح به ريغان فعلاً، بحيث يعتبر مهندس تفكيك الاتحاد السوفييتي والإجهاز على المعسكر الاشتراكي.

ورصد له وقتها ميزانية قدرها 26 مليار دولار، ووضع هذا المشروع في أقصى درجات السرية. وقد جعلت وسائل الإعلام مبادرة ريغان شغلها الشاغل والخبر الأول، ثم في مرحلة أخرى، دفن في الظل وأمسى كما لم يكن.

من أهم عوامل نجاح هذه الملحمة المرتبطة بحروب الفضاء الخارجي

معظم أفلام الخيال العلمي التي عرضت قبل سلسلة أفلام حرب النجوم وبعدها، كانت في معظمها قصصاً مكررة لا تحتوي أفكاراً جديدة، فمعظم أفلام الخيال العلمي تتمحور حول الزومبي وأكل الناس لبعضهم أو غزو الفضائيين للأرض كأفلام الرجل الخارق (سوبر مان) أو تحكم الآلات بالبشر... إلخ.

بينما جاء (حرب النجوم) حاملاً معه العديد من القصص والأحداث في حبكة متقنة، قصص الأبطال، حروب الفضاء، السفن الفضائية، التقدم التقني والأسلحة العجيبة، صراع الخير والشر، الكائنات الفضائية والفضائيون بمختلف أشكالهم... إلخ، كما لعب الطاقم التقني دوراً مهماً في نجاح الفيلم وفي مقدمتهم جون ويليامز مؤلف موسيقى السلسلة، ذاك المؤلف الأسطوري الذي فاز بخمس جوائز أوسكار وترشح لـ 45 منها، بالإضافة لأربع جوائز غولدن غلوب وإحدى وعشرين جائزة غرامي. وقد كرس التفوق الأمريكي الذي ظهر جلياً بعد بداية النظام العالمي الجديد ونهاية القطبية الثنائية، فقد أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية منقذة العالم بامتياز بل منقذة البشرية جمعاء.

كما أن الفيلم بقي حياً حتى بعد انتهاء عرضه في صالات السينما عن طريق ألعاب الفيديو، القصص المصورة، سيوف الضوء التي تميز بها الفيلم، قطع التذكارات وغيرها، بالإضافة إلى أن مؤلف الفيلم كان حريصاً على إبقاء الباب مفتوحاً لأحداث جديدة وتساؤلات عديدة، أثارت شغف المشاهد لمعرفة أحداث أي جزء جديد سيصدر.

وأخيراً نشير إلى أن فكرة ريغان لم تمت وبخاصة مبادرة الدفاع الإستراتيجي لعسكرة الفضاء الأمريكية، فقد ذكرت وسائل الإعلام الأمريكية في 30 أغسطس (آب) 2019م، أن الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب أعلن تشكيل قيادة عسكرية للفضاء، ستكون مسؤولة عن ضمان هيمنة الولايات المتحدة، التي تهددها الصين وروسيا، في هذا المجال العسكري الجديد، رغبة منه في تأمين الجاهزية في حال نشوب (حرب النجوم) أي الحرب مع أعداء أمريكا والغرب والعالم من وجهة نظر أمريكية وبالتالي السيطرة المطلقة والدائمة على مجال الفضاء.



الإبداع ..وهبوب العصر (5)

عبدالله ثقفان: الرياض

تحولت الهبوب في هذا العصر لرياح عاتية.

كل شيء أصبح مشكلة.

العقلية تعيش حياة مقلقة.

الكل يقول شعراً.

الكل يكتب نثراً.

الكل مثقف.

افتقدنا للكاتب الرمز.

افتقدنا للمثقف الرمز.

العلم أصبح مبعثراً.

والثقافة أصبحت مشكلة، بل كما قال تيري إيغلتن في كتابه (الثقافة): إنها أمر أشد خطورة بكثير مما نعتقد، وهي أشد خطورة مما يعتقد الناس، فأقنعتها أصبحت متعددة ومتلونة، منها السلبي ومنها الإيجابي.. والسلبية فيها أكثر من الإيجابية في عصر يوحي بكل ذلك، ومن سلبيتها أنها أصبحت سلاحاً من أسلحة العولمة. [1]

إن (الثقافة) في هذا العصر أصبحت (كالموضة)، ألعوبة يلعب بها من يشاء، ولذلك فهي تظهر وتبهر ثم تختفي فجأة، وكأنها ألعاب أطفال (تومض مرة ثم تنطفي)، وهنا لم نجدها تلقى التقدير المستحق كالثقافة التي كان جيل ما قبلنا يتداولونها، تلك التي تنطلق بثبات وبعلم، وترسخ في العقول، ولذلك تخرج فيها العلماء الذين أثروا المكان واحتلوا المكانة.

إننا إن نظرنا لثقافة عصرنا الحاضر فسنجدها متواضعة، بل لحقها دمارٌ هائلٌ مع ظهور التكنولوجيا الحديثة التي دمّرت كل شيء، حتى تعدّت على الأخلاق والعادات والتقاليد، وذلك بسبب تحوّل العالم إلى شبه قرية واحدة، وتحكم العولمة وآثارها في كل ذلك، وهي آثار بطبيعة الحال سلبية أكثر منها إيجابية. (انظر كتاب: فخ العولمة - الاعتداء على الديموقراطية والرفاهية).

إن من يّدّعي الثقافة في هذا العصر لن يملك [2]:

- عملاً تراكمياً من العمل الفني والذهني.

- ولا صيرورة يحصل بها على الارتقاء الذهني.

- ولا شعوراً بالتمسك بالعادات والتقاليد المجتمعية، بقدر ما يحاول النفور منها، بل محاولة الطعن فيها، وشتم من ينتمي إليها.

- التبعثر المفهومي للثقافة ومن ينتمي إليها.

وإذا كنا كمجتمع نعاني كل ذلك، بل نشعر به، فكيف (بالمبدع)؟ إنه يعاني من رياح عاتية لا يستطيع السلامة منها، بل لا بد من معايشتها، ولذلك فهو يعيش قلقاً بيناً، وهذا الأمر قد جعلنا نفتقد للقصيدة الرمز، وللشاعر الرمز، وللكاتب الشمولي.

كما افتقدنا اللغة الجزلة التي تحمل المعاني الفضيلة التي تبني ولا تهدم، حتى وإن حصلت فهي نادرة بين غث أشبه بالبحر المتلاطم الأمواج.

إن المبدع في العصر الحديث، وهو أمام كل ذلك؛ أصبح يعاني، وهو مع هذا التطور الحضاري والمادي، يعاني مزيجاً من الرهبة والإعجاب [3].

الرهبة، من التأثيرات الكارثية لهذا التطور وتهديده بجرف القيم والأخلاق، والإعجاب بما يحصل من بساطة في المجتمع وتعدي المعرفة الحدود، والتعرف على كثير من المعارف والعلوم من خلال ضغطة زر عبر الشبكة الذكية التي تربط العالم.

ولكن مع ذلك يشعر بقلق دائم، خصوصاً إذا كان مبدعاً حقيقياً، إذ ترنو به نفسه ليبحث عن ركن يأوي إليه ليجد فيه من الالتزام الديني والأخلاقي والمجتمعي ليعيش في مجتمع متكامل متحاب متماسك.

إنني أعتقد أن تلك أمنية قد تتحقق فيما إذا التزمنا بثوابتنا أمام هذه التيارات العاتية الآتية من الشرق ومن الغرب، وبخاصة التي تسعى بل تحث الخطى لإضاعتنا وضياعنا، فالثقافة الحديثة موسومة ببدائل فاشلة عن العقل والروح والعلم، ونرجو ألا تتحقق في مجتمعنا، وإن كانت بوادرها قد ظهرت وللأسف، ومن هنا، فإن كل ما يحفظنا التمسك بديننا وتقاليده، فهو خير دين (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ)، والتمسك بعاداتنا وتقاليدنا التي لا تضعف ديناً ولا تزرع كفراً، قدر ما تحث على الخلق الرفيع الذي يتماشى مع الحق ويقف ضد الباطل.

المراجع:

(1-2) انظر: كتاب الثقافة. تيري إيغلتن. ترجمة وتقديم لطيفة الدليمي، الصفحات على الترتيب: 9،29، 35. الكتاب صدر عن مدى للإعلام والثقافة والفنون (بغداد وبيروت ودمشق)، ط1، 2016م.

(3) انظر: الغلاف الأخير لكتاب المقدّمات التاريخية للعلم الحديث. توماس جولد شتاين. تصدير إيزاك أسيموف. ترجمة أحمد حسان عبدالواحد، صدر ضمن سلسلة (علم المعرفة) رقم 296، 2003م.



فيدريكا بيستونو:

القوة الاقتصادية تدير السياسة والثقافة

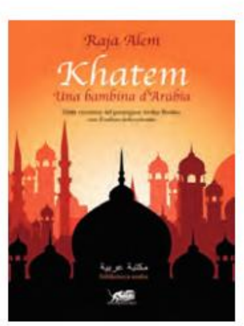


حوار/ حمد الدريهم: الرياض

منذ سنوات تواصل المترجمة والباحثة الإيطالية د. فيدريكا بيستونو رفد الثقافة الإيطالية المعاصرة عبر ترجمة الأعمال الأدبية العربية إلى الإيطالية مثل: (خاتم) لرجاء عالم، و(تمر الأصابع) لمحسن الرملي، و(العطر الفرنسي) لأمير تاج السر.. وغيرها من الأعمال، التقيتُ بها لأحاورها حول واقع الترجمة العربية إلى الإيطالية، وواقع العلاقة بين الثقافتين، وطقوسها في الترجمة، بالإضافة إلى قضايا أخرى.. فإليكم الحوار:











حدثينا عن بداياتك الأولى مع اللغة العربية، بعد كل هذه الأعوام، ما الذي بقي من هذه الذكريات؟

- بدأت دراسة اللغة العربية كشخص بالغ، وقد حصلت بالفعل على درجة الماجستير وعملت مدرسة في المدرسة الثانوية. أتذكر أول دورة للغة العربية في جامعة روما، مع مدرسة جيدة جداً، ثم غادرت إلى اليمن، حيث مكثت لمدة عام لتعلم اللغة العربية، ثم سافرت كثيراً إلى سوريا ومصر وتونس والمغرب والأردن لتعلم اللغة العربية، ثم تابعت دراسة الدكتوراه، والترجمة في الجامعة.

بعد تجربة سنوات عديدة في ترجمة الأعمال العربية إلى اللغة الإيطالية وتجربة العيش في دول عربية مختلفة، كيف تصفين العالم العربي؟

- في رأيي، لا يوجد عالم عربي، هناك بلدان عربية كثيرة، لكل بلد عربي أدبه وتاريخه وجغرافيته ونظامه السياسي، وكل هذا ينعكس على الأدب، لا يوجد أدب عربي معاصر، هناك العديد من الآداب بقدر عدد البلدان، يقدم كل أدب موضوعات مختلفة تشير إلى ما عاشه شعب البلد، إن رواية بلد عانى من الحرب والدمار لا يمكن أن تشبه رواية بلد عاش في سلام.

هل من طقوس معينة تقومين بها أثناء عملية الترجمة؟

- لا أتحدث عن الطقوس ولكن عن مراحل عملية الترجمة، أقرأ الكتاب أولاً لمعرفة

ما إذا كان يعجبني، بعد ذلك، عندما أجد الناشر، أقرؤه مرة أخرى لتحديد المشكلات وتحديد كيفية ترجمته، على سبيل المثال، قد تحتوي الرواية على اقتباسات من نصوص أخرى، أو كلمات يصعب ترجمتها لعدم وجود مرادف باللغة الإيطالية، حل هذه المشكلات الأولية، أرى ما إذا كانت هناك ترجمات إلى لغات أوروبية أخرى لمعرفة كيف حل المترجمون الآخرون مشكلات النص، ثم أتابع الترجمة والمراجعة الفعلية إلى الإيطالية.

كيف تصفين تلقي القارئ الإيطالي للأدب العربي، لاسيما لروايات الأدب السعودي التي قمت بترجمتها إلى اللغة الإيطالية؟

- لسوء الحظ، لا يزال الأدب العربي في إيطاليا موجهاً إلى جمهور محدد من المتخصصين، أيضاً لأنه يتم نشره بشكل أساسي من قبل دور نشر صغيرة لا ينشرونه بشكل كاف، أما الرواية السعودية فهي تلقى كثيراً من الاهتمام في إيطاليا، لأن المملكة العربية السعودية للإيطاليين رائعة وغامضة للغاية، ربما لأن السياحة الجماعية لم تصل بعد ولأن الجمهور لا يزال متأثراً برؤية استشراقية، لذلك يثير الأدب السعودي الفضول ويقرؤه الإيطاليون، خصوصاً ما كتبته النساء.

بالرغم من الحضور العربي الإسلامي في صقلية قبل قرون، إلا أنها لم تمتد كثيراً وتتعمق في الواقع الثقافي الإيطالي بعكس بعض الثقافات مثل الإنجليزية والفرنسية؛ ما الأسباب برأيك؟

- في ثقافة صقلية، لا تزال هناك العديد من آثار الحضارة العربية والإسلامية، اللغة العربية تركت آثاراً في لهجة بعض مناطق صقلية، حيث تركت الثقافة العربية آثاراً في بعض التقاليد الصقلية، حتى طعام صقلية يشبه الطعام العربي، في مكتب التحرير لدينا كاتبة من صقلية وهي قررت أن تنطلق من الثقافة الصقلية لبناء جسر ثقافي بين العالمين.

في العصر الحديث، من يتأمل علاقة الشرق - أعني بالشرق هنا العالم العربي تحديداً - بالغرب، يجد أنه في كل فترة تتحور الأسباب، لكن تبقى ذهنية التوتر حاضرة بقوة. هل ذهنية التوتر المتجذرة دليل على صدق قول الشاعر الإنجليزي روديارد كبلينغ: «الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا»؟ وكيف يمكن أن نستغل بعض الفترات المضيئة للعلاقة بين الشرق والغرب حتى تكون هي المتن والأصل في العلاقة بينهما؟

- هذا سؤال سياسي وليس أدبياً، المواجهة بين الشرق والغرب صعبة وليست مستحيلة، المصالح الاقتصادية وراء الخيارات السياسية، لقد غير الغرب بالكلمات فقط النهج الاستعماري مع شرق وجنوب العالم، لسوء الحظ، فإن القوة الاقتصادية تدير السياسة والثقافة أيضاً، وهذا هو سبب صعوبة انتشار الأدب العربي في أوروبا، إنها معركة ثقافية وسياسية لعدد قليل جداً من الناس، الذين يعملون بجد ولكن نتائجهم سيئة.

كيف تصفين واقع ترجمة الثقافة العربية إلى الإيطالية؟ وكيف ترين مستقبلها؟

- واقع الترجمة الأدبية من العربية في إيطاليا صعب للغاية، ينشر كبار الناشرين عدداً قليلاً جداً من الروايات العربية، أولئك الذين ينشرون هي دور نشر صغيرة، إن لديهم القليل من المال للترويج للكتب المنشورة، لذلك فإن هذه الأعمال غير معروفة. المترجمون إما يتقاضون رواتبهم غير مدفوعة الأجر أو يتقاضون رواتب قليلة جداً، لذا فهم يترجمون كتاباً أو كتابين ثم يغيرون وظائفهم. تتم ترجمة العديد من الروايات من قبل شباب عديمي الخبرة، وبالتالي فإن الترجمات غالباً ما تكون غير جيدة، القلائل الذين يترجمون من أجل حب الترجمة يجب أن يكون لديهم عمل آخر، لهذا للأسف، يجب علينا نحن المترجمين أن نرفض ترجمة الأعمال الجميلة والممتعة، لأن الناشرين لا يريدون دفع رواتب الكتاب والمترجمين، فهم يريدون الثراء من عمل الآخرين، حقيقة محزنة للغاية، لهذا السبب يجب على الدول العربية الغنية تقديم بعض المساعدة المالية لترجمة أعمالهم.

هل هناك عمل أدبي استوقفك كثيراً أثناء ترجمته وكانت له حكاية خاصة لا تُنسى؟

- أحببت كل الروايات التي ترجمتها، لا أترجم عملاً إذا لم أحبه، على وجه الخصوص، أحببت (القوقعة) لمصطفى خليفة، و(خاتم) لرجاء عالم، و(العطر الفرنسي) لأمير تاج السر.

قبل أشهر أطلقتم موقع (شواطئ عربية) rivearabe الذي يُعنى بالأدب العربي المكتوب بالإيطالية، كيف تصفون تلك التجربة؟

- نعم، إنه موقع مخصص للأدب العربي، المترجم إلى الإيطالية، ولكن أيضاً إلى ذلك الذي لم يترجم بعد، والذي يرغب المترجمون الإيطاليون في ترجمته.



ذاكرة التاسعة صباحاً

عبدالله بيلا: مكة المكرمة

أسمِّيه سجناً
يسمونه في زوايا المدارسِ فصلاً
المسمَّى المهمُ هنا
لا الأساميْ
سأمنحه الآنَ تسميةً لائقةْ
فليكن وطناً تائهاً
نهَراً مالحاً
غابةً شاردةْ
وليكن قفصاً للعقولِ
-كما يتبدَّى ليَ الآنَ-
ثلاجةً للجثثْ.
***
هل يفكر طلابك المُوثَقونَ
بحبلِ الروتينِ المُملّ
ببعضِ الذي ستفكرُ فيهِ؟
وهل خلقوا مثلَك الآنَ
أسماءهَم والصفاتِ
وهاموا بعيداً هناكَ
كما تشتهي اللحظةُ الممكنة؟
مِقبضٌ يخنقُ البابَ
مِن ثقبهِ اندلقَت فكرةٌ خائبةْ
كلما حركتْ مقبضَ البابِ كفّ
تساقطَ شَعرٌ لذاكرةٍ زائفة
ونمَت ألفُ ذاكرةٍ تتحرَّى السقوطَ
على مقبضِ البابِ
تفتحُهُ وتعيدُ ابتكارَ الأساميْ
تقلِبُ الفصلَ رأساً على عقِبٍ
وتُديرُ الحوائطَ حولكَ
تدفعُها وتدورُ.. تدورُ بها
ثم تنسى تفاصيلَها
كلما خفَتت دورةٌ
داهمتك ملامحُ طلابكَ الخافتة
أنت تعرفهم جيداً
غير أنَّ الخريفَ تمدّد في شجرِ الذاكرةْ
وها هـي أسـماؤهم سـقطت ورقاً
سابحاً من شجيرةِ روحكَ
لكنها خدشَتْ فيك ذاكرةً ثاقبة.
***
وها أنتَ تخلعُ غيبوبةَ القلبِ
تفتحُ عينيكَ
حتى ترتِّب فوضى العوالِم حولكَ
ينحسرُ المدُّ
ترجعُ كلُ الحوائطِ صوبَ بداياتها
وتجرحُ فيها النوافذُ
أضواءَها النازفةْ
***
ربما يستفزك هذا الشعاعُ الضبابيُ
يغسل أحلامَ عينيكَ
حتى تشِفَّ ملامحُ طلابكَ الخافتة.
***
كلُّ شيءٍ يعودُ إلى مبتداهُ
خُطاكَ ...
الطريقُ إلى الفصلِ..
أُحجيةُ البابِ..
ذاكرةُ المقبضِ الخزفيةُ..
طلابُكَ الراحلونَ إلى آخر الفاصلةْ..
وانتهتْ هذه الحصةُ القاتلةْ.
(نص من مجموعة: أربع وعشـرون ذاكرة لقصيدة واحدة)

يوسف نوفل:

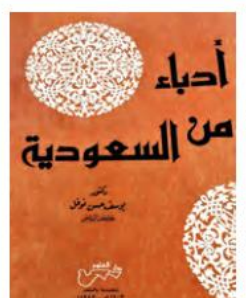
خمس سنوات ثرية قضيتها في الرياض

حوار / خليل الجيزاوي: مصر

الدكتور يوسف حسن نوفل، مواليد أول أكتوبر عام 1938، في مدينة بورسعيد شمال القاهرة، ليسانس كلية دار العلوم بجامعة القاهرة عام 1964، والماجستير عام 1969، ودكتوراه الدراسات الأدبية عام 1973 وموضوعها (روايات محمد عبدالحليم عبدالله)، شاعر وناقد وأستاذ أكاديمي، يعد من أبرز نقاد الأدب العربي الحديث، وهو العميد المؤسس لكلية التربية ببورسعيد خلال الفترة 1986 - 1988، وعضو المجمع العلمي المصري والرئيس الفخري لاتحاد كتاب مصر، والحائز على عدة جوائز، منها خمس جوائز تسلمها من الأديب يوسف السباعي عام 1965 وذلك من المجلس الأعلى للفنون والآداب، في فروع: الشعر والقصة القصيرة والمسرحية، وجائزة الإبداع في نقد الشعر من مؤسسة يماني الثقافية، وجائزة جامعة عين شمس التقديرية في الآداب، وجائزة التميز من اتحاد كُتّاب مصر، وجائزة كفافيس الدولية. عمل رئيساً لأقسام اللغة العربية في: كلية البنات جامعة عين شمس، وكلية التربية بقناة السويس، وكلية الآداب جامعة الملك سعود بالرياض بالسعودية، وكلية الآداب بجامعة الإمارات، وعمل وكيلاً للدراسات العليا والبحوث بكلية البنات جامعة عين شمس، وأصدر خمسة دواوين شعرية : كلمات حب عام 1975، كما تهاجر الطيور عام 1980، ومرايا المتوسط عام 1984، والبحر أنثاه البحيرة عام 1990، وبرديات أبي الهول 2011، وأصدر دراسات كثيرة في حقل النقد الأدبي العربي: الصورة الشعرية واستحياء الألوان، الصورة الشعرية والرمز اللوني، والحوار في المسرحية العربية، القصة والرواية بين جيلي طه حسين ونجيب محفوظ، قضايا الفن القصصي، ديوان الشعر في الأدب العربي، رؤية النص الإبداعي، تطور لغة الحوار في المسرح المصري المعاصر، وحصل أخيراً على جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام 2022 من وزارة الثقافة المصرية، حول مسيرته الشعرية والنقدية التي امتدت أكثر من خمسين عاماً.. فكان لنا معه هذا الحوار:











عملت بكلية الآداب جامعة الملك سعود بالرياض لمدة خمس سنوات.. كيف تفاعلت مع الحركة الأدبية بالمملكة العربية السعودية؟

- أنعم الله علي بالإعارة من جامعة عين شمس إلى كلية الآداب جامعة الملك سعود بالرياض لمدة خمس سنوات متصلة وتفاعلت فيها تفاعلاً واسع النطاق مع الحركة الأدبية بالمملكة العربية السعودية وكتبت عدة مقالات نقدية في المجلات السعودية وكنت مشاركاً فاعلاً بالندوات الأسبوعية والشهرية في النادي الأدبي بالرياض، وجمعت هذه القراءات النقدية وضمنتها كتابي: قراءة في ديوان الشعر السعودي، الذي صدر عن النادي الأدبي بالرياض عام 1981، ومن الناحية الأكاديمية شرفت بثقة الجامعة فكلفتني وكيلاً لقسم اللغة العربية بكلية التربية حتى انتهاء إعارتي، وشرفت بمزاملة قامات علمية ونقدية كبرى مثل الدكتور حسن ظاظا، والدكتور شكري عياد، والدكتور أحمد كمال زكي، كما شرفتني



جامعة الملك سعود فنشرت لي أطروحتي للدكتوراه عن محمد عبدالحليم عبدالله في طبعتها الأولى.

وكيف قرأت المشهد الشعري والسردي في مدن المملكة العربية السعودية خلال هذه السنوات؟

- قرأت المشهد الأدبي بعامة وصادقت والتقيت بالأدباء المبرزين في فنون القول من: شعر وسرد ونقد سواء أكانوا في الحياة الأدبية العامة أم في المحيط الأكاديمي، وقد أثمر ذلك التفاعل نشر أربعة كتب لي هي: قراءة في ديوان الشعر السعودي- النادي الأدبي بالرياض عام 1981، مفكرون في السعودية- دار الأصالة عام 1981، في الأدب السعودي رؤية داخلية- دار الأصالة عام 1982، أدباء من السعودية- دار العلوم أدباء عام 1983، وهذه الكتب هي: مفكرون في السعودية عام 1981، ولعلي لا أبالغ إن قلت إن من بين هذه الصداقات ما هو مستمر حتى الآن مع إن إعارتي لجامعة الملك سعود انتهت عام 1983، بل إنني قرأت منذ أيام للأديب الكبير حسين بافقيه تعليقاً كريماً على نيلي الجائزة التقديرية فشكرت له ذلك بكل الاعتزاز المتبادل، ولا غرو فهو جزء من الحياة الأدبية بالمملكة، ومن الحق أقرر أن إبداعاتهم لا تقتصر على الأدب والنقد الحديث فحسب، بل تضيف إلى ذلك دراساتهم العميقة لتراثنا العربي القديم في فنونه المتعددة ومن بين ذلك تحقيق التراث ونشره حتى فاز كثير منهم بجائزة الملك فيصل العالمية تلك الجائزة الكبرى التي تحتل المكان الأبرز بين الجوائز الدولية على الإطلاق، ولقد رصدت هذا الحراك الكبير للحركة الأدبية السعودية بحضور الندوات وكتابة المقالات والكتب التي صدرت لي خلال فترة عملي وإقامتي في مدينة الرياض والتي استمرت طوال خمس سنوات.

ما دور أساتذتك بكلية دار العلوم جامعة القاهرة خلال فترة الستينات في صقل موهبتك الشعرية، وتكوين مشروعك النقدي المبكر؟

- أبادر فأقرر وأؤكد وأعترف أنني مدين لأساتذتي العظام في كلية دار العلوم جامعة القاهرة بكل ما منحني الله من نعم؛ علمية أكاديمية، وفنية أدبية شعرية ونقدية وقصصية، ويضيق المقام هنا عن حصرهم وهم أجل وأعظم من النسيان يكفي أن أذكر شيخ محققي التراث الأستاذ عبدالسلام هارون، وشيخ اللغويين الدكتور إبراهيم أنيس، وشيخ النقاد د. محمد غنيمي هلال، وشيخ الدارسين والباحثين الدكتور أحمد هيكل، وشيخ المؤرخين الدكتور ضياء الدين الريس، والدكتور بلبع وغيرهم، ومعهم كانت الندوات ولقاءات الدكتور محمد مندور والشعراء المشهورين آنذاك، ومعهم وبهم كان حصولي على جوائز أسابيع شباب الجامعات في القصة والشعر، وحصولي على جوائز المجلس الأعلى للفنون والآداب والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية على مدى خمس سنوات كنت فيها طالباً بمرحلة الليسانس أو مرحلة الماجستير، حتى أنني فزت في ليلة واحدة بخمس جوائز في الشعر والقصة القصيرة والمسرحية ذات الفصل الواحد والمقال والبحث الموجز سلمني إياها الأديب الوزير يوسف السباعي ولدرجة أن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية نشر لي -وأنا بعد طالب بالجامعة- بحثي الفائز بالجائزة الأولى في كتاب (العرب في صقلية وأثرهم في نشر الثقافة الإسلامية)، ومن هنا فإني مدين في شعري في دواويني الخمسة لهؤلاء الأساتذة وبخاصة الشاعر الدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة الأسبق.

كيف يرى الشاعر قبل الناقد مستقبل الثقافة العربية؟

- أنت الآن يا صديقي العزيز تذكرني بكتاب الدكتور طه حسين (مستقبل الثقافة في مصر) الذي كان قد أعده في شكل تقرير لوزارة المعارف العمومية قبل ثورة 1952 ثم وسعه وطوره في كتاب، وما أشبه الليلة بالبارحة! إن الواقعين: الماضي والحاضر متشابهان، نحن في أزمة ثقافية وتعليمية حقاً تحتاج إلى لجان متخصصة وعلماء متخصصين حرصاً على ثقافتنا الموروثة والمعاصرة، هذه الرؤية ليست بعين الشاعر فحسب، بل بعين الغيور والمحب لحضارته العربية القومية والناقد والأكاديمي والمعلم الذي حمل الطباشير في التعليم، الإعدادي والثانوي والجامعي وما بعد الجامعي في الماجستير والدكتوراه منذ ستينات القرن الماضي حتى الآن.



شقاء

عبدالكريم النملة: الرياض

بين منعرجات النفس يسكن، ينتظر، يترصّد، ألوذ عنه.. أتلهى، أظنني غافلته ونجوت، فيصبُّ فجأة في قلبي أرتال الخوف والتوجس، يجتاح روحي ويوعدني بالآتي الساحق، أهبط من علياء آمالي إلى أرض غاياته وأنساق بين يديه كحمل مُطيع، خلفي يسير، يقتات ظلي، يصفع نظراتي الممتدّة نحو السماء.. نحو البحر، يعيد نظراتي إلى محجر عينيّ، كي أطلقها ثانية بمعيته، حتى أنني لا أبالغ حين أراه يمكث في مستقر نظراتي المتأملة بشوق ولذة لنتف السحاب الخريفي، بل يحرص على أن يلصق بمخدتي قبل أن أنام، أسمعه يتثاءب بين ضلوعي لينام معي، وحتى حين ينهض الصباح من النوم أجده ماكثاً في زاوية مخدتي، أتساءل في نفسي لماذا أنا؟ لماذا غيري ينعم بحياته، أستدير نحو ماضي أحداثي، أسائلها عنّي ماذا أحدثتُ في طريق سيري نحو الغد، ماذا اقترفتُ من ذنب يتوعدني أو إثم أشقى به الآن؟ أفتش في كل أنحائي القديمة فلا أجد إلا بياضاً ناصعاً، فلماذا لا يفقه هذا المتربص بي؟

أي شر يملؤه فيختار أعذب أوقاتي ليملأها ضجيجاً مرعباً، أي سواد يصبغه فيصب في لقمتي ونشوتي.

أمشِد أوقاتي، أطمئنها أن يوماً ما سيغادرنا وسننعم من جديد بحياتنا، وأننا يجب أن لا نعتاد حضوره بصمت وانقياد، يجب أن نصدّه ما أمكننا الجهد والوقت.

مساء أمس قررت أن أهزمه، غسلت يومي وطيّبت مسائي بالمسك والعطر، جلبتُ أحواض الزهر والورد وحوّطت بها مجلسي، ضمّختُ جدران البيت بشذى الورد، أشعلتُ فتيل البهجة وصنعت طقوس الحفلة، مطعم فاخر، أصدقاء رائعون، وموسيقى عذْبة، في غمرة لهونا توجست، تلفّتُ أبحث عنه فلم أجده، تعجّبت من غيابه وهو الذي لا يغيب البتة، كان أصدقائي يعبثون برقص وغناء ويتلذذون بالأكل والسهر، لكنني شقيت بهذا الغائب المُرجف، كيف غاب وهو يراني في سعادة وابتهاج، هذا وقت غنيمته، صمتّ انشراحي وازداد قلقي ورجف قلبي، ماذا عساه يخبئ بغيابه هذا، لماذا يغيب وأنا أترقّب حضوره منذ شرعت في إعداد هذه السهرة، لماذا خشي أن أهزمه فغاب؟

تسلّلت خفية من بين ضحكات أصدقائي، تركتهم يكملون سهرهم ومزاحهم، ويأكلون أطايب الطعام، حدّثت نفسي أنه ربما أرادني وحيداً في غرفة مظلمة أمضغ أحزاني وأجترّ تليدها كعادتي معه، دخلت غرفتي، أطفأت الأنوار، جلست في مقعدي حزيناً مترقّباً، لحظة واصطكّت ضلوعي ببعضها، حتى ضاق خروج نفَسي، نزّ العرق بكثافة فوق جبهتي وسقطت قطراته على عينيّ، شعرتُ أن نهايتي أزفت، لم يبق إلا أن أُحمل إلى قبري، لم يكن حضوره كالمرات السابقة عابراً بكآبة ووعد مخيف، بل أتى هذه المرّة مرحباً بانقيادي وخضوعي إليه.



التنمية المستدامة..

نحن والعالم



سعود بن سعيد المتحمي*: الرياض

ينظر إلى التنمية على أنها قدرة الأمة على تحسين حياة مواطنيها، ويرتبط هذا التحسين بجوانب عدة تتضمن جوانب اقتصادية مثل: توفير الوظائف، وزيادة الناتج الإجمالي للأمة.. وغير ذلك؛ وجوانب اجتماعية مثل: نشر المعرفة، وتأمين السكن، وتوفير الخدمات الصحية.. وغير ذلك أيضاً. وللتنمية بُعد زمني، يجب أن يكون لا نهائي؛ فالتنمية يجب أن تكون مستمرة ولا تتوقف، وأن تتوافر لها الشروط اللازمة لذلك؛ لأن مستجدات الحياة ذات طبيعة لا نهائية أيضاً، ولا بد للتنمية من أن تستجيب لها. على هذا الأساس، يأخذ التعبير، الذي يبرز ذلك، أهمية متزايدة في شتى أنحاء العالم؛ وهذا التعبير هو (التنمية المستدامة)، وهو موضوعنا في هذا المقال. يشمل المقال إلقاء بعض الضوء على بدايات طرح الموضوع في القرن الماضي، ثم النظر إلى الاهتمام الأمريكي به، واستعراض أهداف التنمية المستدامة SDGs التي أصدرتها الأمم المتحدة عام 2015، وصولاً إلى إبراز رؤية السعودية 2030، وتوجهاتها التنموية. ويدعو المقال أخيراً إلى تعاون الجميع، محلياً وعالمياً، على تفعيل التنمية المستدامة، وتحسين حياة الإنسان أينما كان.



مقدمة

أصدرت الأمم المتحدة عام 1987 تقريرها الأول حول (التنمية المستدامة Sustainable Development: SD). وحمل التقرير عنواناً يقول (مستقبلنا المشترك Our Common Future)، من منطلق حقيقة أن هذه التنمية يجب أن تحظى باهتمام الجميع، لما فيها من فوائد مشتركة للجميع أيضاً. وعرف التقرير باسم (تقرير لجنة برندتلاند Brundtland)، وبرندتلاند هي رئيسة اللجنة التي أعدت التقرير، واسمها الكامل هو (غرو هارليم برندتلاند Gro Harlem Brundtland)، وكانت رئيسة لوزراء النرويج أكثر من فترة، وقد تجاوزت حالياً الثمانين من العمر.

قدم (تقرير برندتلاند Brundtland) تعريفاً للجزئية الأولى من التنمية المستدامة على أنها (تنمية تستجيب لمتطلبات الحاضر)، أي أنها تستجيب ليس فقط لمتطلبات ثوابت الحاضر، بل لمتطلبات متغيراته أيضاً، وما أكثرها، وما أكثر تسارع إضافاتها في هذا العصر، حيث يختلف الحاضر بين عشية وضحاها، وتتجدد المتطلبات على الأجيال القائمة دون انقطاع. وأكمل التقرير الجزئية الأولى من التنمية المستدامة بجزئية ثانية ترتبط بنظرة مستقبلية، وتهتم بالأجيال القادمة.

ترى النظرة المستقبلية، للجزئية الثانية، من تعريف التنمية المستدامة؛ بأن الاستجابة لمتطلبات الحاضر، يجب أن تأتي (دون الحد من قدرة الأجيال القادمة على الاستجابة للمتطلبات الخاصة بهم). والمقصود بهذه الجزئية هو تمكين الأجيال القادمة وتأهيلهم، كي يكونوا قادرين على الاستجابة لمتطلباتهم، أي متطلبات المستقبل. ويحتاج اكتسابهم لهذه القدرة إلى المحافظة على بيئة نقية تحيط بهم، إضافة إلى حماية ثروات الطبيعة من أجلهم. وهكذا نجد أن للتنمية المستدامة بُعدين: يهتم أولهما باحتياجات أجيال الحاضر، ويركز ثانيهما على متطلبات أجيال المستقبل.

يطرح هذا المقال نظرة الولايات المتحدة الأمريكية إلى التنمية المستدامة، ويقدم أهداف الأمم المتحدة للتنمية المستدامة، ويهتم برؤية السعودية 2030 في هذا المجال، ويلقي المقال الضوء أخيراً على آفاق المستقبل وضرورة تعاون جميع الأفراد والمؤسسات والدول، بل العالم بأسره، على تحقيق تنمية مستدامة للجميع، تعود بالفائدة على الجميع.

النظرة الأمريكية

قام (مجلس الرئيس الأمريكي الخاص بالتنمية المستدامة USA President's Council on SD)، بإعداد تقرير حول هذه التنمية، طرح فيه ثلاثة أعمدة شملت موضوعات يجب الاهتمام بها ليس من أجل الأجيال الحالية فقط، بل من أجل أجيال المستقبل أيضاً. وتشمل هذه الأعمدة: المجتمع، وكذلك الاقتصاد، إضافة إلى البيئة. جاء ذلك عام 1996، أي بعد حوالي عقد من الزمن على تقرير (مستقبلنا المشترك) الذي أعدته (لجنة برندتلاند Brundtland). وفيما يلي عرض للدور المأمول من كل من الأعمدة الثلاثة، من أجل تحقيق التنمية المستدامة.

- عمود المجتمع، وغايته تأهيل الإنسان، والاستجابة لمتطلباته.
- عمود الاقتصاد، ويهتم بحماية المصادر الطبيعية، وتمكين الإنسان وتحفيزه، والاستفادة من إمكاناته.
- عمود البيئة، ويسعى إلى المحافظة على البيئة.

ويعطي الجدول (1)، من أجل كل من الأعمدة، العناصر الرئيسة الخاصة بدوره. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأعمدة المطروحة ومضامينها ليست مستقلة عن بعضها بعضاً، بل هي متكاملة لا تنفصل.

الجدول (1): أعمدة النظرة الأمريكية إلى التنمية المُستدامة (مجلس الرئيس الأمريكي للتنمية المُستدامة SD: 1996)

المُجتمع	الاقتصاد	البيئة
- التعليم - الصحة / توفير الغذاء - المُشاركة - تدعيم الوحدات الاجتماعية	- المصادر الطبيعية - الوظائف - الحوافز - الأسعار: المُنتجات والخدمات - العرض والطلب	- خدمة البيئة - الهندسة الخضراء

أهداف الأمم المتحدة للتنمية المستدامة

أولت منظمة (الأمم المتحدة United Nations: UN)، في مطلع الألفية الثالثة، اهتماماً خاصاً للتنمية على مستوى العالم بأسره، وأصدرت عام 2000، ما يعرف (بأهداف التنمية الألفية Millennium Development Goals: MDGs)، وأعطت لهذه الأهداف بعداً زمنياً حتى عام 2015، كي يتم تحقيقها. وكي تستمر التنمية دون انقطاع؛ أصدرت المنظمة عام 2014، (أهداف التنمية المستدامة: SD Goals SDGs)، وأعطت لها بعداً زمنياً تالياً حتى عام 2030، كي يتم تحقيقها. وتضمنت هذه الأهداف (17 هدفاً)، يمكن النظر إليها من خلال خمسة أبعاد رئيسة، لكل بُعد منها دور في التنمية المنشود، وفيما يلي عرض لهذه الأبعاد.

- بُعد المتطلبات الأساسية للإنسان، ويهتم بتقديم العناية الأساسية التي يحتاجها الإنسان.
- بُعد تمكين الإنسان وتأهيله وتفعيل نشاطاته ودوره في التنمية.
- بُعد العدالة والمسؤولية، ويتطلع إلى تحقيق العدالة في المجتمع، والتوازن في الحياة الشخصية.
- بُعد البيئة، وحماية الحياة بكل أشكالها، والتأكيد على حماية الإنسان، والاهتمام بالمدن والمجموعات المستدامة.
- بُعد التعاون، وإقامة الشراكات على مستوى الدول وعلى مستوى المؤسسات، من أجل تحقيق التنمية لما فيه صالح الجميع.

ويطرح الجدول (2) أهداف التنمية المستدامة المرتبطة بكل من الأبعاد الخمسة. وكما هو الحال في عدم استقلالية الأعمدة المطروحة في النظرة الأمريكية؛ فإن أهداف منظمة الأمم المتحدة للتنمية المستدامة، في أبعادها المختلفة، متكاملة لا تتجزأ.

ويلاحظ وجود جوانب توافق بين توجهات أهداف الأمم المتحدة للتنمية المستدامة من جهة، وتوجهات أعمدة النظرة الأمريكية للتنمية المستدامة من جهة أخرى، ويلاحظ أيضاً وجود بعض الاختلافات. وترتبط جوانب التوافق في تأهيل الإنسان وتمكينه من العطاء والإسهام في التنمية، وفي تأمين البيئة المناسبة للاستمرار في ذلك مع الأجيال المتجددة. أما نواحي الاختلاف، فتكمن في اختلاف النظرة، بين المجالين الوطني والعالمي من جهة، وفي بعض تفاصيل تحليل العوامل اللازمة لتحقيق الاستدامة، من جهة أخرى.

الجدول (2): الأهداف العالمية للتنمية المُستدامة SDGs (الأمم المُتحدة: أهداف 2015 لعام 2030)

مُتطلبات الإنسان الأساسية	تأهيل الإنسان وتفعيل نشاطاته	العدالة والمسؤولية	البيئة	التعاون
- القضاء على الجوع - القضاء على الفقر - العناية الصحية	- جودة التعليم - عمل لائق ونمو اقتصادي - الصناعة والابتكار والبنية الأساسية - المُساواة بين الجنسين - الحد من عدم المُساواة	- المسؤولية في الإنتاج والاستهلاك - السلام والعدل والمُؤسسات الراسخة	- مياه نظيفة - طاقة مُتاحة - شؤون المدن والمُجتمعات المستدامة - شؤون الأحوال المناخية - شؤون الحياة تحت الماء - شؤون الحياة البرية	- شراكات لتحقيق الأهداف (الشؤون: المالية، والتقنية، وبناء الإمكانات، والتجارة، وقضايا أخرى)

رؤية السعودية 2030

تتمتع المملكة بأهمية كبيرة على مستوى العالم، فهي ليست فقط أكبر منتج للنفط في العالم، بل إنها تتميز، عبر تاريخها الطويل، بعمق عربي وإسلامي كبير، وتنعم بموقع جغرافي وسطي بين قارات العالم القديم، ناهيك أيضاً عن امتلاكها قوة استثمارية رائدة. على هذه الأسس أطلقت المملكة رؤيتها التنموية نحو العام 2030، وهو ذات العام الذي استهدفته أهداف الأمم المتحدة للتنمية المستدامة سابقة الذكر.

شملت رؤية السعودية 2030 ثلاثة محاور رئيسة هي: المجتمع الحيوي، والوطن الطموح، والاقتصاد المزدهر. وسوف نطرح فيما يلي تطلعات الرؤية في كل من هذه المحاور. فإذا بدأنا بمحور المجتمع الحيوي، نجد أن الرؤية تتطلع إلى التالي:

- التأكيد على القيم الراسخة للمجتمع السعودي، وعلى الالتزام بها.

- تعزيز البيئة العامرة للمجتمع السعودي، وتفعيل استدامتها، وذلك بجوانبها المختلفة التي تمكّن المواطن من حياة كريمة وسعيدة.

- الاهتمام بتمتع المجتمع السعودي ببنيان متين، تلقى الأسرة والمواطن فيه الخدمات الاجتماعية والرعاية الصحية اللازمة.

وفي محور الوطن الطموح، نجد أن تطلعات الرؤية تشمل ما يلي:

- تطوير العمل الحكومي باتجاه حكومة فاعلة شفافة، تحافظ على الموارد الحيوية، وتتمتع بكفاءة الأداء، وحسن الاستجابة للجميع.

- تمكين روح المسؤولية لدى المواطن على كل من: مستوى المجتمع، ومستوى العمل، إضافة إلى الحياة الشخصية.

وفي محور الاقتصاد المزدهر، نجد أن تطلعات الرؤية تتضمن التالي:

- تأمين فرص مثمرة للجميع في التعليم، وفي العمل ونشاطات الأعمال، مع الاهتمام باستقطاب الكفاءات.

- إيجاد استثمار فاعل يعنى بالقدرة الاستثمارية، والقطاعات الواعدة، ويهتم بتخصيص الخدمات الحكومية حرصاً على كفاءتها.

- تفعيل القدرات التنافسية في إطار تطوير بيئة الأعمال، وتأهيل المدن الاقتصادية، وتأسيس مناطق مناسبة، ورفع تنافسية قطاع الطاقة.

- تعزيز الاستفادة من موقع المملكة، كمركز دولي رئيس للاستثمار العالمي.

ويبين الجدول (3) العناصر الرئيسة لتطلعات الرؤية سابقة الذكر، وذلك لكل من المحاور الثلاثة، كما يعطي أيضاً العناصر المتفرعة عن كل عنصر رئيس. وكما في السابق، لا بد من الإشارة هنا إلى حاجة التنمية إلى تكامل جميع طموحات الرؤية ومضامينها، واعتمادها على بعضها بعضاً.

الجدول (3): محاور رؤية السعودية 2030

(صدرت عام 2015 مستهدفة التنمية حتى عام 2030)

الاقتصاد المزدهر	الوطن الطموح	المجتمع الحيوي
- فرص مُثمرة: التعليم من أجل العمل، المُنشآت الصغيرة والأسر المُنتجة، الفرص للجميع، استقطاب الكفاءات. - استثمار فاعل: تنمية القدرة الاستثمارية، إطلاق القطاعات الواعدة، تخصيص الخدمات الحكومية. - تنافسية جاذبة: تحسين بيئة الأعمال، تأهيل المدن الاقتصادية، تأسيس مناطق خاصة، رفع تنافسية قطاع الطاقة. - موقع مستغل: منصة لوجستية للاستثمار، تكامل إقليمي ودولي، دعم الشركات الوطنية.	- حكومة فاعلة: الشفافية، المُحافظة على الموارد الحيوية، التفاعل مع الجميع، الكفاءة في الإنفاق والتوازن المالي، المرونة. - مواطنة مسؤولة: المسؤولية في الحياة، وفي الأعمال، وفي المُجتمع.	- قيم راسخة: المبادئ الإسلامية، الهوية الوطنية/خدمة ضيوف الرحمن. - بيئة عامرة: الثقافة والترفيه، الحياة الصحية، تطوير المدن، استدامة البيئة. - بنيان متين: الأسرة، شخصية الأبناء، الخدمات الاجتماعية، الرعاية الصحية.

تتوافق طموحات رؤية السعودية 2030، في كثير من عناصرها، مع أهداف الأمم المتحدة للتنمية المستدامة، ومع النظرة الأمريكية أيضاً. لكنها في ذات الوقت تتمتع بخصوصية، في عناصر أخرى، تفرضها صفات المملكة الخاصة. وتعمل المملكة حالياً على تحقيق طموحات رؤيتها المنشودة. ولعل من أمثلة ذلك، صدور برنامج تنمية القدرات البشرية، الذي يعمل على تأهيل مواطن قادر على التنافس عالمياً. ولا شك أن هذا الاهتمام بالإنسان يعطي ثقة بتحقيق الطموحات، لأن الإنسان هو العنصر المحرك للتنمية والمفعل لاستدامتها.

آفاق المستقبل

لا شك أن التعاون على المستوى الوطني، وكذلك على المستوى الدولي؛ ضرورة لكل من التنمية الوطنية، والتنمية العالمية أيضاً. صحيح أن هناك دائماً تنافساً على مستوى الأفراد، والمؤسسات، والدول، لكن هذا التنافس يجب أن يكون منضبطاً، في إطار من التفاهم الإيجابي بين الأطراف المتنافسة. فبيئة هذا التفاهم، والتعاون في إطار هذا التفاهم، مطلوبة، مع ما سبق ذكره في هذا المقال، لتحقيق استدامة التنمية، واستفادة الجميع منها.

---

* الأمين العام لمؤسسة الملك عبدالعزيز ورجاله للموهبة والإبداع (موهبة).



هادي الحسيني: النرويج

قصائد للروح العاشقة

ندامات

أحياناً أشاهد البحر وهو يغفو
على تخوم المدينة
أشعر به مثل طفل
يبحث عن ملاذ
الجبال تنظر إليه بشغف
من عليائها
وأضواء المدينة تبعث في داخله
سرَّ الحياة
مثل جسدٍ يوشك أن يموت
فيحيا
ذلك هو البحر.
الفنارات تعلو قاماتها
وتصبو لسكونه المطلق
الظلام يتبدَّد
في ليل البحر
أيُّها البحر:
لماذا تركت ندامات حبيبي
على شاطئك المطرَّز بالقُبل
قبل عقدين من الألم؟

***

عاصمة القلب

مرَّاتٍ أكتبُ اسمكِ
على راحة يدي
وأرسم قلباً مُضرَّجاً بالعشق
أذيِّلُهُ بتاريخ أوَّلِ لقاءاتنا.
مازالت الروحُ تتبعُ آثارَ خطواتكِ،
ومرَّاتٍ أتحدَّثُ مع الريح
وأسألها عن الهواءِ الذي يدخل
رئتيكِ
فأحسدُهُ لهذا الصفاء
مرَّاتٍ أتصوركِ مثل إله مطلق
حين يمُرُّ طيفُكِ
لم تُخلقِ مِن طِينٍ
ولا من نار
من الماء كلّ شيء حيّ.
وفي الحربِ كنتِ
دائماً تمرقين مثل حمامةٍ
غادرتْ عُشَّها لتنثرَ السلام
ومرَّاتٍ أسألُ قلبي عنكِ
حين أدخلُ عواصمَ دُول استباحتْ
أحلامَنا
كان قلبي يردِّدُ باستمرار:
المرأةُ عاصمة القلب
وبوصلته..

***

غياب

في غيابكِ المّر
على الروح
لا أجيد كتابة الشعر
على بحور الفراهيدي
لكني أنثرُ كلماتي
في كل زوايا قلبكِ
(كما نثرت فوق العروسِ الدراهمُ)..

***

كبرياء

أجلسُ وحيداً في بلادٍ
لا يدخُلها ضوء الشمسِ
أتصفحُ صوركِ القديمة
التي أحتفظ بها منذ التقينا
قبل حربين أو أكثر
أتصفحها صورةً بعد أخرى
بينما قلبكِ المبتسم
يحدثني عن الشوق
فأذوب بوجده
وينتابني الحنين إليكِ
أبكي،
يكسرني الكبرياء
ومن بعيدٍ جداً
وأنتِ توقدين شموع القلب
كنتُ أشم رائحة عطركِ
التي أعرفها أكثر منكِ
تسكنني العبرات
وتنالُ مني
كلما طال
الغياب..

***

أسأل عنكِ

كلما أسألُ عنكِ الريح
تقتلع عواصفها الأشجار
لتمحو آثار خطواتنا
خطواتنا التي مشيناها
في الطرق الموغلة بالعشقِ،
الريحُ مثل خريفٍ بائس
خالٍ من الألوانِ..
أسألُ عنكِ
في عيون النسوة المعذبات
بلوعة الحبّ
وفي القلوب الحائرة.
أسأل عنكِ
الطيور وهي تحلق
في سماءٍ عاشقة
مازال طيفكِ يأتيني حائراً
في أوقات يتجلى فيها
حزني الطويل
فيستيقظ الشوق بكامل
لهفته الموحشة
حين يغلبني وسن الأيام
منذ فراقكِ الذي أصبح
طعنةً داخل الروح،
أسألُ
عنكِ
مازلتُ
أسألُ عنكِ..

***

ذكرى

ثلاثون جرحاً بقلبي
عالية العشق
تطوق مدارات الروح المنسية
تنزف تلك الجراح
تنزف بهمسٍ
ومنذ ثلاثين عاماً ونيّف
أحبس آلامها
في داخلي
وحين يخدشها الحياء
تتفتح مثل ذكرى
معطرة بالشغف
وكلما مضى الزمان بعيداً
تتجدد وتخضَّر
داخل القلب..



الأجيال الثلاثة لمدرسة فرانكفورت



عادل الثامري: العراق

قاد تقليد (مدرسة فرانكفورت) في البداية ماكس هوركهايمر وتيودور أدورنو، ثم يورغن هابرماس الذي شكل تقاعده عام 1994م، نهاية حقبة وظهور جيل جديد في النظرية الاجتماعية النقدية، بقيادة أكسل هونيث. على الرغم من أن معايير الجيل الواحد ليست أقل إشكالية من معايير مدرسة فرانكفورت ذاتها فهناك قضية شائكة حول من يدخل ومن يخرج، أو ما إذا كان أعضاء الجيل الجديد قد تخلوا عن الإرث لدرجة أنهم لا ينتمون إليه، هذا التغيير يسمح لنا بمتابعة بعض المنعطفات في النظرية النقدية.



غلاف النظرية التقليدية

غلاف جدل التنوير

ماكس هوركهايمر

من السهل تحديد الجيل الأول من مدرسة فرانكفورت، حيث إن جميعهم تقريباً قد عملوا من أجل اسم معهد البحوث الاجتماعية في فرانكفورت، في البداية بقيادة كارل غرونبرغ، لكن المعهد اكتسب شخصيته المعروفة بإدارة ماكس هوركهايمر ومعه تيودور أدورنو ووالتر بنيامين وإريك فروم وأوتو كيرشهايمر وليو لوفينثال وهربرت ماركوز وفرانز نيومان وفريدريش بولوك. بلغت ذروة هذه المرحلة عند نشر كتاب هوركهايمر وأدورنو جدلية التنوير (1944).هنا، تصبح النظرية النقدية نقداً للعقل الفعّال. بالنسبة لهوركهايمر وأدورنو، لم يعد العقل (والعلم) يحتفظان بصلتهما بحرية الإنسان، وتحولا، عندما أصبحا أداة (أدوات)، إلى قوة للهيمنة والقمع. كان فكر ماركس نفسه، وليس فقط تشوهاته الأرثوذكسية، مذنباً في بعض الأحيان بالحتمية التكنولوجية. وفي الولايات المتحدة، قدم ماركوز بعض الإسهامات المهمة في النظرية النقدية في خمسينات وستينات القرن العشرين، وربما كان كتابه إيروس والحضارة (1955) هو الربط الأكثر نجاحاً في المدرسة بين ماركس وفرويد. طوّر ماركوز جدلية الحضارة التي ربطت العمل والندرة الاقتصادية بالقمع الاجتماعي والنفسي. ومع ذلك، كان قبول ماركوز لغريزة الموت أمراً مثيراً للجدل. جاءت نقطة التحوّل ونهاية عصر الجيل الأول عام 1970 مع وفاة أدورنو (1969) وبولوك (1970)، وابتعاد فون فريديبورغ (ليصبح وزيراً للتعليم)، وهوركهايمر (الذي تقاعد)، وهابرماس (الذي غادر إلى شتارنبرغ في عام 1971).

ومع سبعينات القرن العشرين بدأ الجيل الثاني مع يورغن هابرماس، الذي أسهم، من بين أمور أخرى، في فتح حوار بين ما يسمى بالتقاليد القارية والتقاليد التحليلية. مع هابرماس، تحولت مدرسة فرانكفورت إلى العالمية، وبدأت تؤثر بشكل كبير في المقاربات المنهجية ضمن السياقات والتخصصات الأكاديمية الأوروبية الأخرى. في هذه المرحلة، تبنّى ريتشارد برنشتاين، وهو فيلسوف عاصر هابرماس، أجندة بحثية للنظرية النقدية وساعد كثيراً في تطويرها في الجامعات الأمريكية بدءاً من المدرسة الجديدة للبحوث الاجتماعية في نيويورك. وهابرماس هو الشخصية البارزة في الجيل الثاني من النظرية النقدية، قام هابرماس بإجراء تعديل في الجوانب الرئيسية للنظرية النقدية، وبخاصة نقد العقل الفعّال، وقدم إسهامات كبيرة في نظرية نقدية للديمقراطية. اعترض كتاب هابرماس الأول، التحول البنيوي للمجال العام (1962)، على قراءة الجيل الأول لإمكانات الليبرالية في خلق الحرية. صوّر هابرماس صعود مجال المجتمع المدني في أوروبا الحديثة المبكرة على أنه مجال عام للمناقشة الحرة للشؤون السياسية. في حين أن هابرماس وافق بعبارات عامة على نقد العقل الفعّال، إلا أنه لم يساوِ بين الترشيد وإعادة التأهيل. جادل هابرماس بأن العقل الفعّال له دور مشروع ولم يكن قمعياً بطبيعته، كما أن الاعتماد على الخبرة التقنية يستبعد عناصر الحوار العام والمناقشة.

كانت نظرية الفعل التواصلي (1981) أول بيان منهجي لنظرية هابرماس للمجتمع، حيث استبدلت المصالح المعرفية بنظرية اجتماعية تفسيرية واسعة النطاق تميز بين شكلين أساسيين من العمل الاجتماعي: الأداتي والتواصلي. الأول هو العمل الموجه نحو النجاح. والثاني هو العمل الموجه نحو التفاهم المتبادل. وتركز مراجعة هابرماس لماركس على الصراع بين أشكال الفهم الذاتية وتأثير ضرورات النظام على الحياة الاجتماعية. في المجتمعات الحديثة المعقدة، أصبحت بعض الوظائف، مثل الاقتصاد، منفصلة عن التنظيم الأخلاقي والسياسي من أجل تحقيق إعادة الإنتاج الاجتماعي بكفاءة. كان لـ(قلق الجيل الثاني بشأن التراجع) والحاجة المحسوسة إلى حصن ضد التقاليد الاستبدادية وكراهية الأجانب المتجذرة في ألمانيا ثلاثة تأثيرات بارزة: أولاً، من الواضح أنه يساهم في تركيز الجيل الثاني القوي على المبادئ الدستورية وحقوق الإنسان والقانون، وبخاصة منذ منتصف 1980، ثانياً، أضافت قدراً كبيراً من الحرارة إلى مواجهات هابرماس خلال الثمانينات، مع ما بعد الحداثة، والتي كان يميل إلى رؤيتها بكونها ليست مجرد خطأ ولكنها خطيرة أيضاً، لأنها تهاجم



تيودور أدورنو



هربرت ماركوز



إريك فروم

المورد الأساسي في كتابه: العقل التواصلي، الذي يمنعنا من الانزلاق مرة أخرى إلى البربرية.

نشأ الجيل الثالث من المنظرين الناقدين، إما من طلاب أبحاث هابرماس في الولايات المتحدة وفي فرانكفورت، أو عبر تقارب عفوي بين العلماء المتعلمين بشكل مستقل، لذلك، يتكون الجيل الثالث من علماء النظرية النقدية من مجموعتين. تمتد المجموعة الأولى لفترة زمنية واسعة، مما ينفي إمكانية إنشاء أي حدود حادة. يمكن القول إنها تشمل أيضاً علماء مثل أندرو فينبرغ، وهو أحد طلبة ماركوز، أو أشخاصاً مثل ألبريشت ويلمر الذي أصبح مساعداً لهابرماس بسبب الوفاة المبكرة لأدورنو في عام 1969، وتتألف المجموعة الثانية من الجيل الثالث في الغالب من علماء أمريكيين تأثروا بفلسفة هابرماس خلال زياراته للولايات المتحدة. ضمن الجيل الثالث من مدرسة فرانكفورت، هناك شخصية واحدة فقط تقترب من المحافظة على مشروع النظرية النقدية الاجتماعية في نطاقها الكامل لهابرماس، ألا وهو أكسل هونيث.

وعلى الرغم من أنه لم يكن تلميذاً لهابرماس لكن الأخير عينه في عام 1984 لمدة ست سنوات أستاذاً مساعداً، وخلال تلك الفترة، عملا معاً. عاد هونيث إلى فرانكفورت لتولي كرسي هابرماس في الفلسفة الاجتماعية في عام 1996. خلال هذه الفترة، عمل هونيث بجد لدعم البنية التحتية للنظرية النقدية في فرانكفورت، خصوصاً كمؤسس مشارك لقسم (العلوم الإنسانية)، وكقوة دافعة وراء العديد من سلاسل الكتب في النظرية الاجتماعية النقدية، ومضيف للعديد من الزوار المؤثرين لقسم الفلسفة في فرانكفورت، وكعضو في المجلس الاستشاري لمعهد الدراسات الاجتماعية. ومع ذلك، لم تتح الفرصة لهونيث بعد لتجميع فريق من الباحثين تحت إدارته، وهو أمر قد يكون حاسماً ليتمكن من دمج مجموعة معقدة من المشاريع التي تشكل النظرية الاجتماعية النقدية اليوم.

تبرز ثلاثة مواضيع في عمل هونيث كثيمات مركزية في نهجه، وهي مواضيع نموذجية للجيل الثالث: (1) مفهوم التاريخ والمجتمع القائم على النضال من أجل الاعتراف من قبل المجموعات الاجتماعية، (2) وضع سياق للأسس المعيارية في الهياكل العميقة للتجربة الذاتية، (3) اهتمام أكبر بـ(الآخر من العقل). تمثل هذه الموضوعات الثلاثة أيضاً نقاط تناقض مهمة مع هابرماس والجيل الثاني. ومع ذلك، عند تسليط الضوء على التناقضات فيما يلي، من المهم عدم المبالغة في تضخيم هذه التناقضات، لأن هابرماس وهونيث يشتركان في القناعة الأساسية بأن المؤسسات الاجتماعية التي تحمي أشكالاً غير مشوهة من الذاتية يجب أن تستند، جزئياً على الأقل، إلى المبادئ العالمية.

أعضاء الجيل الثالث من مدرسة فرانكفورت هم طلبة هابرماس مثل لوتز وينغرت وجوزيف فروشتل ومارتن لوف بير وراينر فروست، وطلبة ألفريد شميدت مثل هوكي برونخورست، وميشا بروملك وماتياس لوتز باخمان، وغونزيلين شميد نوير، وطلبة ويلمر مثل كريستوف مينكي ومارتن سيل، وطلبة أبيل ماتياس مثل كيتنر وفولفغانغ كولمان، بالإضافة إلى أولريش بيك وهيلموت دوبيل وغونتر فرانكنبرغ وكلاوس غونتر وهانز جواس وجيرترود كوخ وانغيبورغ ماوس وهيرتا ناغل دوسيكال وبرنهارد بيترز. ويمكن أن ننظر إلى اهتماماتهم البحثية على أنها تتبع نفس منوال الموضوعات الثلاثة المحددة في عمل هونيث.

يمثل التركيز على حقوق الإنسان والنظرية الديمقراطية تطوراً جديداً آخر، يعطي القانون دوراً أكثر بروزاً في تطوير الأسس المعيارية من ذلك الذي قدم له هابرماس، على الأقل في منشوراته قبل الزمن التي ظهر فيها الجيل الثالث على الساحة. مهما كانت تأثيرات الأفكار الفرنسية والأنجلو أمريكية على الجيلين الثاني والثالث من مدرسة فرانكفورت، ومهما انتقلت النظرية الاجتماعية النقدية من جذورها الألمانية اليهودية إلى كونها تقليداً عابراً للحدود الوطنية، فمن الواضح أن النظرية الاجتماعية النقدية الألمانية لا تزال حية وبصحة جيدة، وما زالت تعيش في موطنها فرانكفورت.



نحو تشكيل مجتمع معرفة عربي

مروة حسونة : مصر

يتشكل مجتمع المعرفة نتيجة للتغيير المجتمعي المدفوع بالابتكار التكنولوجي والتحول المؤسسي، والذي لا يتعلق بالابتكارات التكنولوجية فحسب، بل يتعلق أيضاً بالبشر وتطورهم الشخصي وإبداعهم الفردي وخبرتهم ومساهماتهم في توليد المعرفة. وأحد الأدوار الأساسية للمؤسسات في مجتمع المعرفة يكمن في ضمان نقل مصادر المعرفة وتطويرها عبر الأجيال. ومجتمع المعرفة هو ذلك المجتمع الذي يقدّر الدور المؤثر للمعرفة، ويعترف به وبمساهماته في السعي لتحقيق التنمية المستدامة. وهو المجتمع الذي يحفز أفراده، ويشاركهم المعرفة، ويتيحها لهم جميعاً، حتى يمكن استخدامها في حل المشاكل التي تواجه البشر، والإسهام في الارتقاء بجودة الحياة، وتحسين حالة الإنسان. فمجتمع المعرفة هو المجتمع الذي تقوم جميع النشاطات فيه على توظيف المعرفة وتوزيع تطبيقاتها وإنتاجاتها المستحدثة للاستفادة منها في تطور البشرية، واكتساب المعرفة. لاسيما إنتاجها، فهو المعيار الأساس لتقدم الإنسانية.

ويقاس حق الجمهور في المعرفة على أساس كمية المعلومات التي يمكن أن تصل إليه ونوعيتها، من خلال الصحافة والإعلام ووسائل الاتصال الحديثة. وحق الإنسان في المعرفة، وحرية الرأي، والتعبير؛ هو أحد الحقوق التي نص عليها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام 1948م في المادة (19)، ونص عليه العهد الدولي للحقوق السياسية والمدنية الصادر في عام 1966م، وقد تبلور في إعلان المبادئ الصادر عن القمة العالمية لمجتمع المعلومات (بناء مجتمع المعلومات.. تحدٍّ عالمي في الألفية الجديدة). ويشكل الإعلام النواة الأولى التي يحصل من خلالها الجمهور على الأخبار والمعلومات بجميع صياغاتها التحريرية.

لقد شهدت شبكة الإنترنت، وهي من وسائل تكنولوجيا الاتصال الحديثة؛ نمواً ملحوظاً في أوائل عقد التسعينات من القرن الماضي، وتطورت شبكة الويب العالمية، وشكل الإعلام البديل جزءاً من هذا النمو والتطور، باعتباره من نواتج الـweb، وهو المصطلح الذي يشير إلى الجيل الثاني من الخدمات المقدمة عبر شبكة الإنترنت مثل: مواقع التواصل الاجتماعي والتدوين وموقع ويكيبيديا.

ويرى (بيل غيتس) رئيس مجلس إدارة شركة مايكروسوفت أن قطاع تكنولوجيا المعلومات في المنطقة العربية سيوفر ما يزيد عن 210 آلاف فرصة عمل جديدة في السنوات المقبلة. وبذلك فإن أهم ما أحدثته الثورة التكنولوجية التي هي بمثابة الثورة الثقافية الرابعة؛ أنها جعلت الثقافة أمراً ممكناً للجماهير.

نحو مجتمع معرفة عربي

وضع تقرير التنمية الإنسانية للدول العربية 2003 رؤية إستراتيجية لإقامة مجتمع المعرفة في العالم العربي، وتتضمن الرؤية أربعة أبعاد هي:

1 - إطلاق حريات الرأي والتعبير والتنظيم، بما لها من ضمانات قانونية سليمة فهي المفتاح لأبواب الإبداع، ولحيوية البحث العلمي والتطور التقني والتعبير الفني والأدبي.

2 - النشر الكامل للتعليم الراقي، مع التأكيد على التعليم المستمر مدى الحياة.



3 - توطين العلم وبناء قدرة ذاتية في البحث في النشاطات المجتمعية، ولاسيما الإعلام، كي تكون اللغة العربية عنصراً قوياً في كتلة إعلامية عربية تتنافس بصورة فعالة.

4 - التحول نحو نمط إنتاج المعرفة في البنية الاجتماعية والاقتصادية بعد خمسة أعوام من صدور تقرير التنمية الإنسانية العربية، وقد عقد (مركز الدراسات السياسية بالشرق الأوسط)، حلقة نقاشية حول التقرير المعنون بـ(الألفية الجديدة للمعرفة)، (تقارير التنمية البشرية العربية لبناء مجتمع المعرفة 2003-2008 خمس سنوات مضت).

وركز على إخفاقات العالم العربي التي تمثلت في ثلاثة نواقص، هي: تراجع الحكم الصالح القائم على الحرية وحقوق الإنسان، عدم تمكين المرأة العربية، وتراجع المعرفة عربياً.

وتعكس منظومة اكتساب المعرفة في مجتمع ما خصوصياته التاريخية والثقافية، ويتقارب النموذج المعرفي في العالم العربي مع اتجاهات عدة ترتبط كل منها بعوامل ودوافع اجتماعية وسياسية وأيديولوجية، وتعكس هذه الاتجاهات قصوراً في العقل العربي بقدر ما تعكس سمة اجتماعية سياسية بالغة الأثر على العلم والثقافة، تسببت في دخول (العمل السياسي) على العمل الفكري الثقافي وعلى تلقيه.

يعد التعليم والاتصال الجماهيري والتكنولوجيا من العمليات الاجتماعية الأهم (لمنظومة إنتاج المعرفة ونشرها) في البلدان العربية، وهي فرضيات أساسية فى قياس المعرفة والإبداع، وعلى الرغم من أن الاتصال من آليات نشر المعرفة إلا أنه لايزال يعاني من قصور مما يجعله دون المستوى المطلوب في بناء مجتمع المعرفة. وتتسم الصحافة العربية بالتقييد الشديد، وانعدام الحرية في التعبير عن الرأي، فهي تخضع للتهديد والإغلاق، ولايزال العديد منها مملوكاً للدولة، وبالطبع لا نتجاهل الصحوة في مجال الاتصال الجماهيري في السنوات الأخيرة، التي حدثت بظهور الفضائيات، مما يبشر بالحرية في مجال الاتصال والمنافسة.



الزمّار



وحيد غانم: العراق

انبعث قبالة محلي الصغير عصر أحد الأيام، ضئيل الحجم طوته هبّة غبار ونفايات، بينما تقصّت عيناه القلقتان وجودي قبل أن يراني، تنفّس عميقاً وبدون مقدمات طلب مني تعليمه العزف على الناي. لم يعجبني شكله لكن كساداً طويلاً أقنعني فاشترطت عليه شراء ناي من مجموعتي المعروضة.

لا أعرف لم اختارني في زقاق ازدحم بمحال الفرق الشعبية وبائعي الآلات الموسيقية وسرادق المناسبات، شعراته النافرة فوق أذنيه الصغيرتين وصلعته اللامعة، أوحت بمنظر رجل ناهز الخمسين، أخبرني ببساطة أنه يعيش مع أم مسنّة صمّاء، وقد هام الاثنان بأشباح الأفلام الغنائية القديمة التي طبعت مزاجه بهالات رمادية.

لم نكن نسمع نغمة عزف ولا دوزنة أوتار إلا بعد أن يرفع أذان الليل في جامع قريب، يعلو ضجيج السيارات وغبار أضويتها فوق كل شيء: مسامعنا وعتبات الحجر وأطر الخشب العتيق، سلاحف الأعواد وخصور الكمنجات، لم يبرح النفوس خوف أعقب تفجير أحد محال الفرق الشعبية. وجّه المتعصّبون إنذاراً بحظر فتنة الغناء والموسيقى.

كنت شخصاً صعب المعشر، لازمتني خيبة بعد صعود خلّاني إلى الفرق الكبيرة في عواصم العالم، في الأفلام القديمة ثمة صاحب فرقة شعبية بائسة ينتظر رزقه في دكانته، سئماً وهازئاً يحرّك مذبّة من شعر ذيول الخيل، لكنه طيّب القلب، قلبه عامر بالنوطات العذبة التي نسيها ملحنون عظام، فسّر المتدرّب حالتي بهذا الشكل وتحمّل تقلبات مزاجي، ليس لي علم بمدى شبهي بشخصيات الأفلام القديمة، خصوصاً في العشرة الأخيرة من الشهر عندما يتبخّر الراتب التقاعدي، لدي ذكريات موسيقية وركام آلات قديمة فحسب. جرعة من أم الليل في المحل قبل إغلاقه أقنعتني بإرجاء موعد مرانه حتى تلك الساعة.

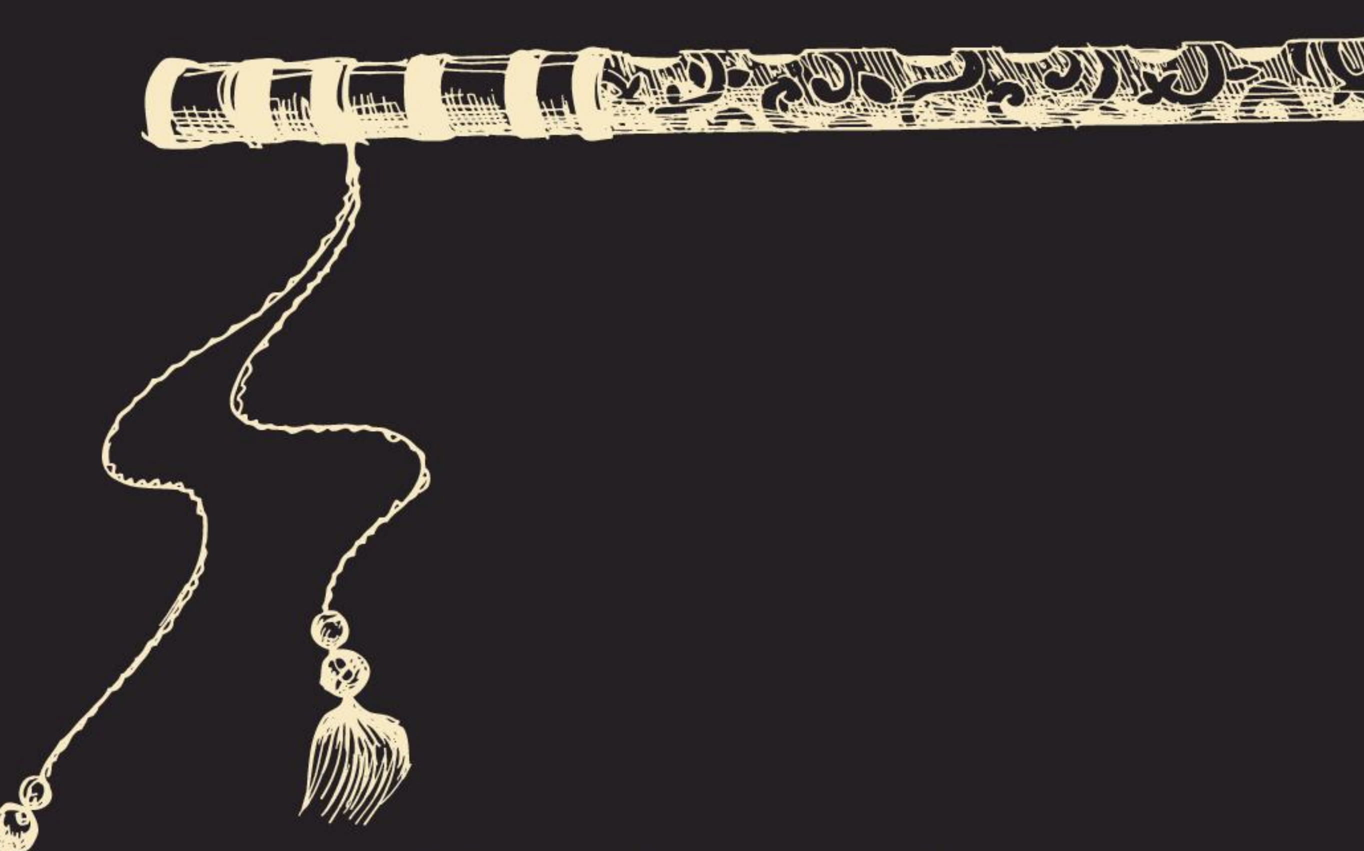
دفع أتعاب شهره الأول، لكني تأكدت بعد ثلاثة أسابيع من عدم قدرته على تعلّم العزف، أحمل تعصّباً لمهنتي، إنما منعتني فلوسه من طرده. كانت أصابعه ميتة: بمقدور صبي تعلم العزف على الناي خلال سبعة أيام. هو نفسه شك بقدرته فسألني متطلعاً إليّ بعيني أرنب «ما رأيك أستاذ؟».

«ربما تحتاج مزيداً من الوقت!».

عليه أن يمرّن جسده كله على إيقاع توزنه ثقوب القصبة مع النفَس العميق الذي يطلقه، لكن نشازات انبعثت لا متناهية، أثارت تهكّم عازفي الفرق الأخرى، ممن يصادف وجودهم، فحاولوا مران أصابعه وليّها وضغطها بقسوة على قصبة الناي، حطّموا أصابعه، وهتفوا مقهقهين «قد تصبح عازفاً كبيراً لو تخلصت من تشنّجات القولون!».

اشترى رضاي إذ أبدى استعداداً لحمل آلة العود، حينما أتسلل للمشاركة في إحياء حفل خاص، بدا فرحاً محتضناً الآلة بحبّ، دون أن يكترث للعالم المنقسم من حوله: المتعصّبين الذين يدعوننا تحقيراً بالقرج، (تسمية ملاصقة للغجر ويراد منها التحقير) وحسبوا أنفاسنا علينا، والمتقبّلين لعملنا باعتباره شيئاً طبيعياً، وجزءاً من عالمهم الذي اعتادوه وتلاشى في الغبار، وهناك آخرون لا يبدون رأياً، يكتفون بالنظر والابتسام، لذلك تجنبت حمل العود بشكل علني، في سنّي تلك بدأت أشعر بخجل حمل آلة موسيقية رافقتني منذ صباي، وقد نزل الرجل من السماء ليتكفّل بالأمر، كان يسبقني حاملاً العود، مطمئناً الى عنايته الفائقة به، «العود أمّ الناي ولو أن هذا من أب آخر، أب ريفي حزين!» يقول بسعادة، فأرده «لا تتفلسف! تعلم أولاً!».

أمضى ثلاثة أشهر دون أن يطلق نغماً



صحيحاً مـن نايه، شـيء ما ينزلق من رأسـه وتفقـده أصابعـه، وكان الشـتاء حـط رحالـه ففقـد أيضـاً نفَسـه، أصبح الهـواء شـفافاً وحاداً تجرح شفراته الأنف ولا يمكن تجميعه في الصدر، لكنه لم يفقد بُشره وهو يفرك يديـه بحـرارة، مردّداً بدهشـة «اليوم شـفت أحـد المجانين يعـزف على ماصول (باللهجة الدارجة مزمار أو ناي) من أنفه!».

مللته وأردت إخباره بأنه لن يصبح عازفاً أبداً، لكن تفجيراً آخر استهدف محل فرقة شعبية رماني بعيداً عن نشازاته، كانت محاولة أشد لمنعنـا مـن العـزف، لـذت بالبيـت بينما هرب البعض إلى الصحراء.

لـم ينقطـع المتـدرّب عـن الحضـور والانتظار قبالـة المحـل، وهو يدسّ قصبتـه في جيب سترته وعلى رأسه طاقية صوف، كما صوّره البعـض لي، يتلبّـث على الرصيف الآخر، مثبّتاً نظـره علـى لافتة المحـل، ربما لفتته صورة غـرابٍ مـن حروف سود وضعـه الخطّاط في زاويتهـا، كان يشـعر بفخـر أن يكـون عازفاً، ولما عدت بدأ التدرّب بسعادة وحمل عودي القديم.

لكـن يبـدو أنـي تسـبّبت بما جـرى لـه بعـد ذلـك، ففـي ليلـة بـاردة وهـو يسـبقني إلـى قاعـة أعـراس تعـرّض لـه بعـض الرجال فأبرحـوه وهشـموا آلـة العـود على رأسه، كانـت إصابتـه خطيـرة، أملـت بنجاتـه مـدركاً فـي اللحظة نفسـها صعوبـة حالته، أمضى ثلاثـة أيـام فـي العنايـة الفائقـة، ثـم نقـل إلـى ردهـة الباطنية، لم أكـن أعرفه جيداً أو تربطنـي به علاقـة واضحة، ربمـا تقبلته لأنه بـلا وجـود، كمثـلٍ قديـم يُذكر ثم يتلاشـى، بعـد أيـام ارتأيـتُ زيارتـه آخر الليـل، أعـرف شرطياً جـرّب الغنـاء فـي شـبابه سيسـمح لي بدخول المستشـفى، استغرب الشرطي قدومـي في سـاعة متأخـرة، قال لي وهو يشـعل سـيجارة، داسـاً مسـبحته السـوداء في جيبه «لازم شغلة حرجة؟».

وقهقـه «أمثالـك لا يمرضـون. حياتكم كلها طرب!».

بـدا وجـوده غريبـاً لا يفصح عـن طبيعته بعد سـنوات وسـنوات. سـألته «وأنـت، بعـدك تغنّي؟».

صمـت يقطعـه وقـع خطـى ممـرّض خفـر، تحـت نظري طيّـات من الضمـادات تلفّ رأس المتدرّب، فلا تبرز إلا شـعثات شـعره وأنابيب مغذيـات ودم، وفـي الخلـف نافـذة عتيمة تركـت إحـدى درفاتهـا موارِبة، فنَسّـم منها تيـار هـواء بـارد حـفّ جسـده المهشّـم. سـيحتفظ برمـق مـن حـرارة ونبـض سـاعات عصيبة. أرحت جسـدي على كرسي بلاستك، وأطلـت النظـر إلـى أصابعـه دون سـبب. لـن أسامحه على خسارة عودي.

ولـم أنتبـه لأنفاسـه، قصبـة نـاي لـم تغـرّد فـي الشـتاء، راودنـي النعاس سـاعة الفجر فقـرّرت المغـادرة، لكنـي رأيت طائراً أسـحم يقـف فـي النافـذة، ربمـا كان غرابـاً ينـدر ظهوره.

أخرجـت نايـاً مـن جيـب سـترتي الداخلـي ووضعتـه علـى صدره ثم أثقلتـه بيده، كانت بـاردة، لقـد فـارق الحيـاة فـي لحظـة مـا، تراجعـت خطوة، وفي تطلعـي إليه، ممدّداً هنـاك، تخايـل وجـه الشـرطي فـي ثغـرة ما من وعيي، كان مغنّياً رائعاً في شبابه، ربما ذكّرنـي الطائـر بـه، امتلـك حنجـرة مواويـل رخيمـة قاهـرة معذّبـة، لا يفسـدها صـوت الهـواء فـي الكاسـيتات، وعندمـا يصفـو مزاجـه يغـدو صوته أعـذب من نـاي أبح، ثم تركـت الغرفـة مفكّـراً بإعـلام الطبيـب الخفر عن موته.

وقـف الغـراب فـي النافـذة، ضامـاً جناحيـه، متطلعـاً إلـى المتـدرّب بنظـرة تبـدو مرحـة، رأى أصابعـه تـدبُّ متلمّسـة النـاي، تحرّكـتْ بتـأنٍ قبـل أن تلتقطـه وتقرّبـه مـن فمـه، ابتسـم بعذوبـة، متطلعـاً عبـر وهـج ليلـيّ مغبّـرٍ داخـل دكانتـي دون أن يلمـح أحـداً، أرسـل نغمـاً جميـلاً منسـاباً، نغمـاً أليفـاً، لاحق خطاي، أنين أبح لم تفسده برودة المكان.



حسن ظاظا
كشكول الفكر وثقافة الحضارات

محمد رضا نصر الله: الرياض

في مناسبة ثقافية بالقاهرة تحدث أحد أساتذة الأدب بجامعتها، بأن د. حسن ظاظا ليس مصرياً أصيلاً! مشيراً إلى المقابلة التلفازية الوحيدة في برنامجي (هذا هو) التي بثتها mbc سنة 1995، مع أستاذ الأدب العبري والفكر اليهودي، الذي ذهب للدراسة فيهما إلى الجامعة العبرية بالقدس سنة 1944م، قبل قيام دولة إسرائيل سنة 1948م، وقد حصل فيها على درجة الماجستير حول (أثر المناهج الإسلامية في تأليف العلوم الدينية عند اليهود).

والعجب أنه ذهب بتوصية من آبا إيبان! الذي ترجم بعض روايات توفيق الحكيم الأولى، حين كان يعمل في القاهرة ضابط اتصال بين المستعمر البريطاني، والجماعات اليهودية في العالم العربي، استعداداً لتهجيرها إلى إسرائيل، قبل توليه منصب وزير خارجية الدولة العبرية.

وحسن محمد توفيق ظاظا، عالم مصري، من أشهر المختصين في اللغة العربية واللغات السامية، ولد عام 1919، وتوفي عام 1999م، تخرج في جامعة القاهرة بليسانس في اللغة العربية واللغات السامية عام 1941م، وحصل على الماجستير في الأدب العبري والفكر اليهودي من الجامعة العبرية بالقدس في فلسطين عام 1944، نال دكتوراه الدولة في الآداب من السوربون بجامعة باريس، بدرجة الشرف الأولى عام 1958، ومن أعماله: اللسان والإنسان، الساميون ولغاتهم، كلام العرب، الفكر الديني اليهودي، الشخصية الإسرائيلية، أبحاث في الفكر اليهودي.

وقد حل في الرياض أستاذاً في جامعتها -منتصف السبعينات الميلادية- مع نخبة مختارة من الأكاديميين المصريين، شرفت بأن أتتلمذ على أيديهم، وكان حظي أن أحضر محاضراته في فقه اللغة، وإذ شدتني ثقافته الموسوعية المبهرة طلبت منه سنة 1983، أثناء عملي مشرفاً على إصدار جريدة الرياض الثقافي (الرياض الأسبوعي) أن يطل على تلامذته وعارفيه بمقالة أسبوعية.

تلكأ أول الأمر متذرعاً، بأنه لم يعتد الكتابة إلى الصحف، ولعله تحفز للكتابة وأنا أتعهد له بصرف مكافأة مجزية، وهذا ما تم حيث لم يتوقف بعدها مع توقف الإصدار الأسبوعي، مستمراً بما سميته مداعباً في إرسال (صك) مقاله (الكشكول) الذي اعتاد تقديمه ملفوفاً للنشر كل خميس في جريدة الرياض.

وقد راق له العمل في الجامعة، والحياة في مجتمع الرياض، رغم اقترانه بفرنسية، وقد حظي لأريحيته وظرفه، بشبكة هائلة من العلاقات العامة، تقدمها صديقنا المفكر د. راشد المبارك، الذي رعاه حق الرعاية حتى أخريات حياته، حيث توفي في المدينة التي أحبها، ودفن في مقبرة (النسيم) في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة 1419 هجرية 1999م.

الأصل والنشأة

سألته مع بداية الحوار حيث قلت: دكتور حسن، نحن نعلم -أنا شخصياً في الأقل وبعض الأصدقاء- أنك من أرومة كردية، وقد كان أبوك وجدك أو جدك بالأحرى كردياً صارماً وله موقف مع الخديوي، من هنا نريد أن نتعرف على فسيفساء المجتمع المصري والتركيبة الإثنية الموجودة في هذا المجتمع الذي احتضن العديد من الإثنيات والعناصر القومية.

أجابني قائلاً: يحار اللبيب في الأثنولوجيا المصرية، لأنها مجموعة من أعراق وعناصر تبدأ من خط الاستواء وتنتهي قرب القطب الشمالي، فيها الأكراد الذين هم ظاظا، وهم قبيلة كردية تقيم وما زالت في تركيا



إلى الآن ويناصبها الأتراك العداء. وفيهم -أيضاً- من قبط مصر الذين أسلم منهم عدد كبير جداً. وفيهم النوبيون القادمون من جنوب مصر أو حتى من جنوب وادي النيل، وهم عدد كبير جداً، وفيهم المغاربة كثير جداً، وكانوا عند أول مجيئهم خصوصاً بعد الاحتلال الفرنسي للشمال الأفريقي يقيمون في أحياء خاصة بهم، منها حارة المغاربة في الإسكندرية، وحارة الفحامين في القاهرة، إنما مع طول الإقامة ومع الاختلاط بالشعب المصري اندمجوا وأصبحوا جزءاً لا يتجزأ من المصريين، وأصبحوا مصريين وجزءاً لا يتجزأ من هذه التركيبة الإثنية للشعب المصري.

وعن نشأته وولادته يقول: أنا ولدت في شهر 6 عام 1919، في حي الدرب الأحمر القريب جداً من حي الأزهر، وفي غرفة كان ينالها رصاص الإنجليز من ثلاثة أركان لأن الركن الرابع كان متصلاً بغرفة أخرى، ولدت في وسط أزيز الرصاص، وفي وسط غطرسة المستعمر في مصر، بعد هذا كان جدي -رحمة الله عليه- قد نذر إن ولدت ابنته -وهي أمي- ولداً أن يدخل الأزهر، وفُرض عليَّ هذا النذر، فأرسلت إلى الكتّاب لأحفظ القرآن، وحفظته فعلاً، وكان معلمي هناك هو الشيخ محمد شلبي، وهو جد الصديق والناقد الكبير الدكتور شكري عيّاد، وكان يساعده ابنه الشيخ عبدالفتاح شلبي الذي اشتهر بعد ذلك فأصبح نقيب شعراء الشعب في مصر، ونشرت له وزارة الثقافة عملاً جليلاً جداً هو كتابه (السيرة النبوية) بالزجل. بعد هذا دخلت المدرسة، وكان جدي قد اختلف مع أبي في مسائل تربيتي، حيث كان مقرراً أن أدخل القسم الابتدائي في الأزهر، فأدخلني أبي المدرسة الابتدائية الحكومية في التعليم المدني، وكانت الصعوبة الكبيرة هي اللغة الإنجليزية، لأن الأزهر لا يدرس اللغة الإنجليزية، وكنت أعدّ نفسي للأزهر، فكان في استعدادي الداخلي عدم الاكتراث بمعرفة لغة أجنبية، ومن سخرية المقادير أن قضي عليَّ بعد هذا أن أتعلم وأن أقرأ وأن أكتب بأكثر من لغة أجنبية، فهذا شيء من قبيل: وتقدرون فتضحكُ الأقدار.

وكما هو معروف أن الدكتور حسن ظاظا هو خلاصة لبعض الجينات المتناقضة، جينات جده الذي كان جاداً وحاسماً وشخصية والده الذي كان ميّالاً لأن يكون فنّاناً بسيطاً! وخلاصة القول إن شخصيته تجمع هذه المفارقات عبر تخصّصه الدقيق في دراسة اللغات، واللغات السامية والعبرية تحديداً، واهتمامه بالفن التشكيلي مثلاً والآداب والشعر!

المحطة الجامعية

يقول حسن ظاظا في سياق حديثه: جامعة القاهرة في ذلك الزمن كان من يدخلها يجد فرصة يظل طول حياته يُحسد عليها، وعندما دخلتها كان أساتذة التاريخ والفلسفة والأدب من الأسماء اللامعة، فكان طه حسين للأدب والنقد الأدبي، وأحمد أمين للتاريخ والأدب العباسي وتاريخ الحضارة العربية، والشيخ مصطفى

عبدالرازق للفكر والفلسفة الإسلاميين، والدكتور عبدالوهاب عزّام للأدب المقارن الفارسي والعربي، ولطفي السيد باشا كان مدير الجامعة في ذلك الوقت، وكان كثير التجوّل في كليات الجامعة وخصوصاً كلية الآداب بالذات، وكان يحلو له أحياناً أن يظهر فجأة في وقت الامتحان الشفوي في اللغة العربية أو في الفلسفة الإسلامية.

الاستشراق والمستشرقون

يرى الدكتور حسن ظاظا: أن المستشرق واحد من ثلاثة: إما جاسوس، وإما مبشّر بدين آخر غير الإسلام، وإما رجل محب للعلم فعلاً. هؤلاء الثلاثة موجودون بكثرة في الدول النامية أو الدول التي كانت نائمة وليست نامية في هذا الوقت، كان هؤلاء الثلاثة ممثلين في مصر، مثلاً اثنين من المستشرقين يهود وهما أوغست ميلر وجولد سيهر صاحب التآليف الشهيرة عن الفقه والشريعة الإسلامية وتاريخ القرآن وأشياء كثيرة، والثاني هو ناشر أدق نشره عن مخطوط كتاب طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، وهما جاءا حبّاً في العلم حقيقة، وكانا يهوديين نمساويين أو بلغاريين، وما كان لدولهما مصالح استعمارية في مصر أبداً، لكنهما كانا ذكيين دخلا مصر فلبسا الثوب والعباءة والعمامة وتقدّما وسجّلا نفسيهما طالبين في الأزهر ومسلمين من ألبانيا والبوسنة أو من الجهات هذه، وواحد منهما الذي هو جولد سيهر سمّى نفسه الشيخ إسحاق الزركشي. و(جولد سيهر) بالألمانية معناها المذّهب المزركش بالذهب، فترجم اسمه إلى الشيخ إسحاق الزركشي. ومولر تقدّم وسمّى نفسه الشيخ امرؤ القيس بن الطحان، لأن (مولر) تعني طحّاناً بالألمانية، وامرؤ القيس (أوغست) أي القوي الشديد. وميلر وهو طالب في الأزهر حقّق كتاب طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة وطبعه في حي الأزهر بالقاهرة. وقال: وقف على طبعه وتصحيحه الفقير إلى الله المنان امرؤ القيس بن الطحان، الذي هو أوغست ميلر، والطبعة موجودة في الأيدي إلى الآن، وهي نادرة، ولكنها موجودة.

وحول اتهام رموز الثقافة العربية بأنهم تلامذة المستشرقين يوضح حسن ظاظا: أن الاستشراق نبش عن كنوز الثقافة الإسلامية، وعندما يأتينا مستشرق مسيحي ويترجم المعلقات ويكتب مقدمة مثلاً، وفي هذه المقدمة كلام لا يعجبني لأنه لا يعيش معيشتي ولم يعتقد اعتقادي ولا دخل في نظام اجتماعي مثل نظامي، فهذا معذور، وليس في ذلك شيء مريب، لكن بعضهم يخطئ عمداً، وهؤلاء عندما يكتبون في السيرة النبوية -مثلاً- أو في نزول القرآن أو غير ذلك، مثل مرجوليوث ومنهم كازمسكي وهو مستشرق يهودي يجيد العربية والعبرية والفارسية، وكان يشغل كبير كتّاب السفارة الفرنسية في طهران، فالرجل ترجم القرآن ترجمة بديعة جداً، إنما ما كتبه عن الإسلام هي كتابة متعصّب، مع أنه عاش سنين طويلة في المجتمع الإسلامي في طهران، لكن كانت كتابته كتابة متعصب أو كتابة منبوذ، يعني لم يستطع أن يدخل في صميم المجتمع الإسلامي جيداً. وتجد -مثلاً- وستنفلد عند الألمان، وهو لغوي في اللغة العربية، وله أيضاً دراسات في الإسلام، وهي دراسات عميقة جداً ومؤلفات كبيرة، إنما لا يخلو من تحامل تشعر فيه أنه تحامل الاستعماري على المرشّح للاستعمار، وهذا واضح جداً في كتاباته، أو مثل هنري جلاند الفرنسي الذي ترجم القرآن قديماً، وحاول أن يترجم ألف ليلة وليلة إلى آخره، فهذا الرجل كان مستشرقاً لكنه كان استعمارياً وصليبيّاً، والنموذج الإسلامي أمامه هو السلطان عثمان، وبقية المسلمين غير داخلين في حسابه، والسبب في ذلك أن السلطان العثماني كان بينه وبين أوروبا كلها معارك ومواقع وخلافات رهيبة جدّاً.

العبرية واللغات السامية

يوضح حسن ظاظا في سياق حديثه حول اهتمامه باللغات السامية قائلاً: سبب اختياري للغة العبرية والسريانية أن القائمين بها كانوا قلة جدّاً، كانوا اثنين فقط، واحد يدرس العبرية وهو بول كراوس، والثاني يوسف شخط ويدرس السريانية فقط، وأنا في نزعة معينة نحو الاختلاف، فقلت: أنضم إلى الطلاب القليلين، فكان عددنا في هذه الشعبة أربعة طلاب، وكنا كأننا أسرة مع الأساتذة، وكان عدد الآخرين أكثر من خمسين طالباً في هذا الوقت، فاهتممت بالعبرية والسريانية اهتماماً جيداً جداً، ووجدت في الأدب السرياني بالذات شعراً ونثراً كثيرين، وفيما وجدت من الأشياء التي تقرأ عندهم ترجمة سريانية قديمة لـ(كليلة ودمنة) مثلاً، وترجمات لشعراء كثيرين جداً هم من أروع الشعراء الذين يمكن أن نقرأ لهم، مثل يعقوب السروجي، ومار أفريم، وعبد يشوع الصوباوي، ولأبي الفرج بن العبري قصيدة بالسريانية اسمها قصيدة الحكمة، وهي في غاية الجمال، طبعت في روما قديماً. إلى جانب أن اللغة العبرية ما كنا نقرأ فيها إلّا التوراة، وهي الكتاب القديم الذي يؤمن به اليهود، فكنا نجد تشابهاً بين ما نقرأ فيها وما نقرؤه في القرآن الكريم، مثل قصة يوسف، وقصة الطوفان، وقصة خلق العالم، وقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، كل هذا موجود فيها، ومتى ما وُضِعْنَا على طرف الخيط نكون قد عرفنا كيف نتصرّف.

وعن بعثته يقول حسن ظاظا: كانت البعثة قبل قيام الدولة اليهودية بزمن، لأن الإنجليز كانوا قد وضعوا يدهم على أولوية استخدام خطوط المواصلات بالسكة الحديد في مصر، حيث كان هناك حوالي مليون جندي تحت الراية البريطانية لمواجهة رومل في العلمين، فكل هؤلاء احتاجوا إلى نوع من القوانين المقيّدة جداً للتنقل، فالطلاب الذين كانوا يذهبون لجامعة القاهرة ويأتون من الأرياف يجدون صعوبات شديدة من أجل مكان في القطار، لأنه كان محجوزاً من قبل الإنجليز، أو هناك مقاعد معدودة للمصريين، ففكرت الحكومة المصرية في افتتاح جامعة في الإسكندرية لتخفيف الضغط على المواصلات الذاهبة إلى القاهرة، وكتب طه حسين في هذا الوقت إلى الملك فاروق وعرض عليه الفكرة، فقال له الملك: إنه موافق بشرط أن يكون هناك مدرّس لكل مادة تدرس في الإسكندرية بدون احتياج إلى تنقلات وذهاب وإياب بين القاهرة والإسكندرية للانتداب، فوجد

كل شيء إلّا مدرس اللغة العبرية، فأرادوا أن يحدّدوا هذا، فسأل كراوس، فأجابه أنه مشغول وكذا، فقال له: إذن نعيّن ولو معيداً، فقال له: عيّن حسن ظاظا، ولكن كان عنده شخص ثانٍ من المقربين إليه، اسمه دكتور إسماعيل معتوق رحمة الله عليه، وكان عضواً في مجلس الشعب، وكان في التنظيمات الناصرية كلها بعد سقوط الملكية في مصر، فقال له: نعيّن إسماعيل معتوق، فقال له كراوس: إذا عيّنت فعيّن من تشاء، لكن إذا كان المعيّن غير حسن ظاظا فأنا غير مستعد للتعاون معكم، لأن هذا تلميذي وأنا أعرف ماذا درس، وأعرف حدود طاقاته وكذا، فقال له: طيب، بعد ذلك كيف نستطيع أن نتيح له أن يتم دراسته في تخصّصه، والغرب كله أوروبا وأمريكا مغلقة، وتعليم هذه اللغات غير متوفر لدينا؟ فقال له: أرسله إلى الجامعة العبرية. فراقت الفكرة لطه حسين، وكتب إلى وزارة المعارف بذلك، وردت الوزارة بأن هذا مستحيل، لأن فلسطين ليست من البلاد المدرجة على أسماء الجهات العلمية التي تُرسل إليها بعثات، فأعطاني هو مكافأة من الجامعة لمدة ستة أشهر أذهب فيها إلى فلسطين وأرى كيف أستطيع أن أدرس هناك ثم أعود بعد ذلك ويرى بعدها، فذهبت أطلب التأشيرة من القنصلية البريطانية التي هي كانت منتدبة لحكم فلسطين، فقال القنصل البريطاني: لا بد أن تأخذ إذناً من المنسق العسكري للقوات المتحالفة، وذهبت فوجدت نفسي أمام آبا إيبان (الذي أصبح فيما بعد وزير خارجية إسرائيل)، وكان مكتبه في القاهرة في شارع القصر العيني، وهو ضابط الاتصال بين الإنجليز والمتطوعين اليهود الذين جاؤوا من بولندا ومن كل هذه الجهات، وأنا لم أكن أعرف أنه يهودي أبداً، فذهبت وحييته بالإنجليزية فرد بالإنجليزية، وبعدها قدّمت الأوراق، فقال: أنت تريد أن تتعلّم في الجامعة العبرية؟ فقلت: نعم، قال: هل تحب اليهود أم تكرههم؟ لم يعجبني السؤال، فقلت: والله، أنا لا أعرفهم بعدُ، لكنني سأذهب وأقيم ستة أشهر وبعدها اسألني عندما أرجع عن انطباعي، إن كانوا أناساً طيبين فأشهد لك شهادة طيبة، وإن كانوا أناساً أراذل فأقول لك الحقيقة. فضحك وقال: ستسرُ جدّاً، ثم قال لي: أنا يهودي، وأنا مدرس في الجامعة العبرية في قسم التاريخ، وعندك هناك فلان الذي هو مسجل الكلية، اقصده وقل له: التقيت آبا إيبان، وهو يسلم عليك، ويقول لك: اعتنِ بأمري.

الجامعة العبرية

يخبرنا حسن ظاظا أن الجامعة العبرية أنشئت سنة 1924م، وعن ظروف نشأتها هي إنشاء الوكالة اليهودية في فلسطين بعد إعلان وعد بلفور وبعد احتلال بريطانيا لفلسطين على يد قوات من المتطوعين اليهود، وحتى المتطوعين المصريين فقد جمعوا من مصر بقيادة اللورد ألمبي، الذي كان هو قائد القوات البريطانية في مصر، وعبروا الحدود، وكان فيهم مجموعة من مشاهير الصهاينة، منهم جابوتينسكي الذي كان أستاذاً لمناحين بيجن، ومنهم ترومبلدور، وهو كان عقيداً عسكريّاً روسيّاً، له مواقع كثيرة جدّاً، وفقد إحدى ذراعيه في معركة روسية، فكان العرب في فلسطين يسمّونه (أبو ذراع).

ويضيف قائلاً: كان العصر الذهبي للجامعة العبرية في هذا الوقت، فالأسماء التي ما زلنا نسمع عنها الآن درّست في الجامعة العبرية بسبب أنهم فوجئوا بالنازية وبهتلر فكان أقرب مكان يهربون إليه هو تل أبيب، فالذهاب إلى أمريكا كان صعباً وإنجلترا كانت لا تقبل الهجرة إليها، وفي تل أبيب كانت الوكالة اليهودية التي ترحب بكل هؤلاء، فوصل هناك جوتهولد فايل وهو مستشرق كبير جداً وهو الذي قام بنشر (الإنصاف في مسائل الخلاف بين الكوفيين والبصريين)، وكان متبحّراً في الأدب التركي أيضاً، وقابلته هناك، وكان حينها كبيراً في السن، وكذلك جونتاين، وبانيت، وبراون، ماير، كل هؤلاء.

وكان المدير السياسي للجامعة البروفسور ماغنيس، وهذا كان مليونيراً أمريكيّاً كبيراً جدّاً، وتزوج ابنته هنري كسنجر، فنانسي كسنجر هي بنت البروفسور ماغنيس، وكانت تقال عنه أشياء في نظامنا لا نكاد نصدقها، مثلاً عندما يجد في سنة من السنين ميزانية الجامعة ناقصة مليون دولار مثلاً فإنه يتبرع بها من جيبه الخاص، وكان لا يتقاضى راتباً عن إدارة الجامعة السياسية.

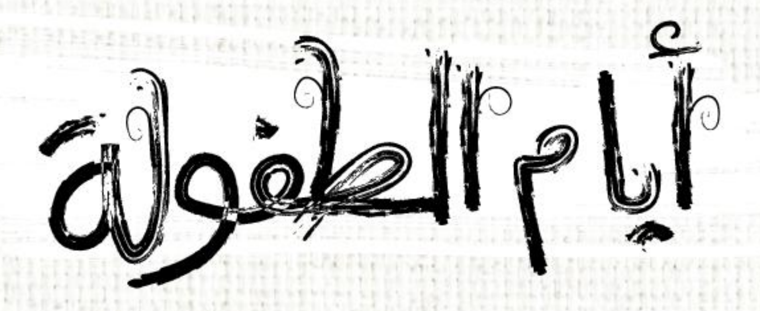
الدراسة في فرنسا

كانت رحلة حسن ظاظا إلى فرنسا بناءً على اقتراح من الدكتور عبدالرزاق السنهوري وزير المعارف وقتذاك، الذي رفض أن يعترف بشهادة الماجستير التي حصل عليها من جامعة القدس، في الوقت الذي عاد فيه إلى القاهرة كانت جامعة الدول العربية قد بدأت تؤسّس نفسها ودورها محاربة العدو الصهيوني والمحافظة على الأمن القومي العربي.

ويرى الدكتور ظاظا أنه مدين إلى الأستاذ إدوارد دورم، وهو أستاذ فرنسي غزير التأليف جدّاً، كان يدرس العبرية القديمة في معهد الدراسات العليا في السوربون، وقد ذهب إلى فرنسا لدراسة النحو العبري، وهناك تزوّج من فرنسية كاثوليكية وليست يهودية، وقد أنجب منها مالكاً وزينب.

الحديث مع الدكتور حسن ظاظا تشعب لكونه عالماً موسوعياً، إضافة إلى تخصصه بالدراسات السامية، حيث تطرق للحديث عن تاريخ اليهود وهجراتهم، وعلاقاتهم بالحضارات القديمة، مستشهداً بما ورد بالتوراة، منوهاً بتسامح العرب والمسلمين مع اليهود، وطبيعتهم بنكث الوعد من ضمن ذلك محاولة قتل الرسول صلى الله عليه وسلم مرتين، وتحدث عن طوائفهم مشيراً إلى الإسرائيليات، والتي يدور محورها حول أفضلية بني إسرائيل على أمم العالم كله، وأنهم يُكتب لهم النصر في الأول، وإذا ضربت عليهم الذلة والمسكنة فهذا إلى أجل محدّد ثم ينتصرون في النهاية.

وتحدث الدكتور ظاظا إلى ثقافة اليهود واللغة التي يكتبون بها، وامتد الحوار للحديث عن اليهود العرب وكيفية ترحيلهم وتسهيل تهريب أموالهم، لينتهي الحديث عن الصورة النمطية للشخصية اليهودية.



علي سليمان الدبعي: اليمن

لك يا زمان شجون — لك رونق الحب وعصر الجنون

لك في القلوب تاريخها — بسيطة بنا بضحك العيون

ملائكة الله كنا زمان — قلوباً نظيفة وحسن فنون

وكنا مصابيح ليالي الدُجى — وكنا حياةً وقطر الغصون

وفينا الصباح يكتمل بسمةً — وفينا المساء خفيف الجفون

وصخب الحياة عنواننا — وكنا الشقاوة ورمز السكون

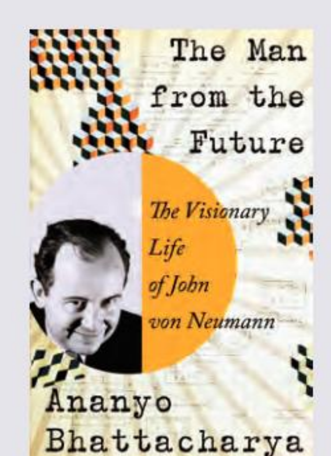
أيا زمان ماذا جرى؟! — أشختَ بنا أم شاخت سنون؟



رواية (رجل من المستقبل) وترسيم مسارات القنبلة الذرية

بقلم: جينيفر سالاي Jennifer Szalai

ترجمة: هويدا صالح: مصر



العنوان الأصلي للمقال*

The Man From the Future– Recounts the Life of a Restless Genius

يروي أنانيو بهاتاشاريا Ananyo Bhattacharya قصة رجل لعب دوراً أساسياً في تطوير ميكانيكا الكم والحوسبة والقنبلة الذرية في روايته (رجل من المستقبل The Man From the Future

كان عالم الرياضيات جون فون نيومان عبقرياً ولا يمكن إنكار ذلك، بصفته مؤلفاً مشاركاً لأحد الكتب المدرسية الأولى عن نظرية الألعاب، فقد اتبع نهجاً تحليلياً رائعاً لمجموعة من المواقف التي تضمنت الخداع في لعبة البوكر وتوقع الإبادة النووية.

ومع ذلك، لم يدع فون نيومان فهمه العميق للفيزياء والتفكير العقلاني يعيقان طريق شيء آخر كان من الواضح أنه مهم جداً بالنسبة له: حب قيادة السيارات، رغم اعترافه المبهج والساخر بأنه كان سيئاً فيها لأقصى درجة.

بعد مغادرة أوروبا في عام 1933، من أجل

حياة العلم في معهد الدراسات المتقدمة في برينستون، نيوجيرسي، فشل فون نيومان في اختبار قيادة السيارات مرات عديدة لدرجة أنه اضطر إلى رشوة الفاحص للحصول على رخصته. كل عام وجد ذريعة لشراء سيارة جديدة، ويفضل أن تكون ضخمة ككاديلاك. كان سيبدأ في التحدث إلى أصدقائه المتشككين في قدرته على القيادة «كنت أسير على الطريق» عندما تذكر حادثاً آخر من حوادثه، «كانت الأشجار على اليمين تمر بي بطريقة منظمة بسرعة 60 ميلاً في الساعة، وفجأة خطا أحدهم في طريقي، فسمعت دوياً!».

هذه واحدة من العديد من الحكايات الحية التي تم سردها في الرواية، والتي تقدم نفسها على أنها سيرة ذاتية لفون نيومان، ولكنها أكثر تكريساً لاستكشاف الأفكار والطروحات التكنلوجية التي قدمها.

كتب بهاتاشاريا «المساهمات الرياضية التي قدمها فون نيومان في منتصف القرن العشرين والتي تثير الدهشة بمرور الأعوام»، وربما هذا يعبر عن العنوان الممتاز لهذا الكتاب، «تفكير نيومان وثيق الصلة بالتحديات التي نواجهها اليوم لدرجة أنه من المغري التساؤل عما إذا كان مسافراً عبر الزمن، حيث يبذر بهدوء الأفكار التي كان يعلم أنها ستكون ضرورية لتشكيل مستقبل الأرض».

عندما كان فون نيومان على قيد الحياة، قبل أن يتم اختبار تأثير أفكاره بالكامل، لم يميزه تألقه كمسافر عبر الزمن، ولكن ككائن فضائي -أحد ما يسمى بسكان المريخ-، وهو لقب أُطلق على المهاجرين من اليهود المجريين، بما في ذلك إدوارد تيلر، الذي عمل في مشروع القنبلة الذرية السرية في لوس ألاموس.

بطبيعة الحال، جاء فون نيومان الملهم فكرياً بنظرياته الخاصة حول «الظاهرة المجرية»، (المصطلح المختصر للإنجازات العلمية لفون نيومان ومواطنيه)، وقرر أن لها علاقة بالمزيج النمساوي المجري من الليبرالية والإقطاع الذي سمح لليهود ببعض سبل النجاح مع إبعادهم عن مناصب السلطة الحقيقية. قال فون نيومان إن هذا أثار «شعوراً بانعدام الأمن الشديد»، مما جعله ورفاقه المريخيين يعتقدون أنهم بحاجة إلى «إنتاج ما هو غير عادي أو مواجهة الانقراض».

كان رأيه هذا تقييماً قاتماً واستبطانياً من شخص ربما توقع الحرب العالمية الثانية في أوروبا، ولكن يُذكر أيضاً باعتباره «رجلاً مبتهجاً ومتفائلاً يحب المال ويؤمن بشدة بالتقدم البشري»، على حد تعبير أحد أصدقائه مدى الحياة.

بهاتاشاريا، صحفي علمي حاصل أيضاً على درجة الدكتوراه في الفيزياء، لا يتعمق كثيراً في هذه التناقضات الظاهرة في شخصية نيومان. نتعرف من خلال استعراض سريع لحياة فون نيومان عبر العقود الثلاثة الأولى من حياته أنه ولد في بودابست عام 1903، وكان معجزة في الرياضيات عاش حياة مميزة في الغالب قبل أن يصل إلى برينستون، حيث سرعان ما انطلق تأثيره في العالم الحقيقي.

نشأ فون نيومان عندما لم تكن الرياضيات تعتبر مهنة (عملية). درس الكيمياء أيضاً، كرشوة لوالده المصرفي الاستثماري -كانت الأعمال المصرفية قد أصبحت مجالاً خاضعاً للرياضيات-.

بعد وصوله إلى الولايات المتحدة، أمضى ما يقرب من ربع قرن في معهد الدراسات المتقدمة، حيث كان من بين جيران مكتبه ألبرت آينشتاين وكورت جودل من نيوجيرسي، كان فون نيومان يسافر عبر البلاد للتدريس والاستشارات، وبالأخص في لوس ألاموس.

يقتبس بهاتاشاريا من تقرير وضعه فون نيومان للبحرية الأمريكية، يوضح بالتفصيل كيف أن (زاوية السقوط) يمكن أن تجعل انفجار القنبلة أكثر تدميراً. ربما تم كتابة التقرير لجمهور عسكري، لكن يبدو أن فون نيومان متحمس للغاية بسبب منطقه الخاص لدرجة أنه يلجأ إلى علامات التعجب.

يُظهر بهاتاشاريا كيف أكسبت هذه المعاملة الصريحة بلا خجل (للأمور المشحونة أخلاقياً) فون نيومان سمعة الصقور، كما فعل في موقفه الداعم لمنطق (الحرب الوقائية). لقد دعا إلى القضاء على الترسانة النووية للاتحاد السوفييتي بهجوم مفاجئ «إذا قلت لماذا لا تقصفهم غداً، أقول لم لا تفعل ذلك اليوم؟» وهو الموقف الذي تراجع عنه لاحقاً، ومع ذلك، يقول بهاتاشاريا أيضاً إن فون نيومان، بصفته شخصاً كان «وسط أوروبا حتى النخاع»، يعتقد أن الناس سيعملون معاً من أجل مصلحتهم المتبادلة، والتي كانت جزءاً لا يتجزأ من مقاربته لنظرية الألعاب. إذن من كان نيومان حقاً؟ هل هو ينتمي إلى أوروبا الوسطى المتفائلة أم المحارب البارد العنيد؟

لقد كان، على حد تعبير بهاتاشاريا، «شخصية معقدة»، تحفل الرواية بلمحات محيرة من الغرابة والتعقيد البشريين، ولكن يبدو أحياناً أنها تركز بشدة على تفسير ذلك المستقبل، في سرده مصير أفكار فون نيومان بعد وفاته بفترة طويلة، بسبب السرطان، في عام 1957، لدرجة أن الرجل نفسه توارى عن الأنظار.

المهارة التي يناقش بها بهاتاشاريا المفاهيم العلمية الكثيفة جعلتني أشعر بالتناقض، من ناحية يصف شخصية نيومان الرائعة التي تمنيت أن أعرفها أكثر، ومن ناحية أخرى، يركز باهتمام شديد على طريقة تفكير دماغ شخص، لاحظت ابنته ذات مرة أن «حب والدي الأول في الحياة هو التفكير».

إلى جانب ذلك، ربما وافق فون نيومان، الملهم القلق دوماً، على طريقة كاتب سيرته الذي يصفه بأنه :«مشغول بالعديد من الأشياء الأخرى، كان يتنقل، ويحاضر لمدة ساعة أو ساعتين حول الروابط بين المعلومات والقصور الحراري أو دوائر التفكير المنطقي، ثم ينطلق مرة أخرى، تاركاً الحاضرين في حيرة من أمرهم لمناقشة الآثار المترتبة على كل ما قاله لبقية فترة ما بعد الظهر».

* نُشر المقال بتاريخ 23 فبراير 2022، في نيويورك تايمز على هذا الرابط:

https://www.nytimes.com/202223/02//books/review-man-from-future-john-von-neumann-ananyo-bhattacharya.html

عندما تكون الرغبة "طريقاً للضياع"

بهية بوسبيت: الأحساء

غادر صالح بيت والده ليعيش بمفرده لأول مرة في حياته، بعد أن التحق بعمل حكومي في المنطقة الشرقية بشهادة الكفاءة المتوسطة، أمضى صالح قرابة السنتين في عمله، كان خلالها يزور أهله في العطل الرسمية، وفي أثناء ذلك كان يتابع دراسته الثانوية، وبعد تخطيه السنة الأولى من المرحلة الثانوية انتقل إلى مدينة جدة، وهناك اضطر أن ينزل في سكن جامعي يخص العزاب بحكم عمله، كان عمره آنذاك يتجاوز الـ 19 عاماً، في إحدى الليالي كان زملاء صالح في السكن مجتمعين يتعاطون الحشيش، كان شيئاً جديداً بالنسبة له، فلم يكن يدر بخلده أن ما يتعاطونه هو نوع من أنواع المخدرات، كان يعتقد أنه نوع من أنواع السيجار المستورد الذي لم يره من قبل، ومع مرور الأيام كثرت الجلسات وازداد عدد روادها. كان هناك سؤال يلح على صالح باستمرار ويتشوق لمعرفة إجابته، كان يسأل نفسه عن ماهية هذه السجائر التي كثر زبائنها؟ ومع كثرة التساؤل ازدادت رغبته في اكتشاف هذا السر الذي كان يظنه سراً غريباً حتى إنه لم يستطع كبح جماح رغبة حب الاستطلاع فتوجه بسؤاله إلى زملائه، وذات ليلة مشؤومة قال صالح متسائلاً: ما هذا الذي تتناولونه؟

قال أحدهم: إنه حشيش. وما الفائدة منه؟! سأل صالح باستغراب. أجابه بقوله: إنه يريح الأعصاب ويهب السعادة، وكما ترى إننا نتناوله ببساطة. نمت الرغبة بشكل أخطبوطي في نفس صالح فأحب أن يحيل الرغبة إلى تجربة حقيقية ليعيشها بنفسه.

كان يحدث نفسه قائلاً: ولم لا أجرب مثلهم وقد جربوا قبلي ولم يحدث لهم أي شيء؟! ولم يكن يعلم أنه يقود نفسه إلى طريق الضياع المظلم، ويحكم على نفسه بالذل والمهانة ويستنزف صحته. ويسعى إلى تدمير مستقبله بيده.

ولم يخل أنه بتناول الحشيش لمرة واحدة فقط ستجذبه عدة مرات، ومن ثم سيقع في كهفه المظلم الذي سيظل يتخبط فيه باحثاً عن وسيلة تقوده للخروج منه فلا يستطيع ذلك. أدمن الحشيش بالتدريج دون أن يدرك ذلك، فقد كانت قوة الرغبة والتجربة بمثابة الغشاوة التي حجبت عن عينيه رؤية الخطر المحدق به. أصبح البحث عن السم ومروجيه وتأمين المال للحصول عليه شغله الشاغل، أهمل دراسته وعمله وأصبح لا يحسن القيام بأي عمل من الأعمال إذا لم يأخذ حشيشاً فيتأزم نفسياً وجسدياً وفكرياً، استمر على إدمانه طيلة ثلاث سنوات حتى اكتشفته والدته ذات ليلة بعد ملاحظة تصرفاته الغريبة ورؤية آثار الإدمان عليه، وقد وجدت بعض الحشيش في أشيائه الخاصة، مما أكد ظنونها، فراحت توجه له النصح قائلة والأسى يقطر من صوتها: اسمع يا بني يا صالح، أنت تعرف أنك فلذة كبدي ونور عيني وأغلى ما عندي في هذه الدنيا، ما يسوؤك يسوؤني، وما يسعدك يسعدني، إن رأيتك مرتاحاً ارتحت أنا ونسيت كل آلامي، وإن رأيتك متعباً أو حزيناً نسيت راحتي وتحول فرحي إلى حزن وقلق وخوف عليك، وقد اكتشفت اليوم مع الأسف الشديد أنك وقعت في مصيدة الإدمان الذي هو أعظم بلاء ابتلي به الناس في هذا العصر، وهو آفة المجتمع وداء الموت الذي لا يرحم، إنه يا بني يظهر للشباب على أنه عسل شاف، وصديق وفي، ودواء ناجع، وراحة سحرية حتى إذا ما أقدم الإنسان على تجربته مرة واحدة جذبه إليه في وحشية وقسوة وأخذ يظهر له الحنو تارة، والمتعة تارة أخرى، فإذا طوقه من جميع الجهات، نشر سمومه في كل أجزاء جسمه، دون رحمة أو شفقة. إنه يا بني طاعون العصر الذي لا ينجو منه إلا من عرف ربه وحفظه، فعليك أن تسمع نصحي وتخشى الله فيّ وفي نفسك وتثوب إلى رشدك، وتحاول من هذه اللحظة تركه. ثم بكت بلوعة وحسرة كما لم تكن قد بكت في عمرها. قال والدموع تتراقص في عينيه وقد تأثر بحديثها ونصيحتها الغالية: أعاهدك يا أمي أن أتركه في أسرع وقت ممكن.

قالت: أتمنى أن تكون صادقاً في عهدك وأحذرك من الكذب علي وإن لاحظت أنك لم توف بعهدك فلن أتوانى عن إخبار والدك بالأمر وأنت تعرف والدك جيداً!

حاول صالح ترك الحشيش ولم يستطع واستمر على إدمانه تسع سنوات كان خلالها يتناوله في خفية وسرية تامة حتى تطور إلى إدمان الهيروين ولم يعد يستطع العيش بدونه، فكان دائم البحث عن مروجيه في أماكن مختلفة، حينما تلبسته الأمراض المستعصية نصحه بعض زملائه بالذهاب لمستشفى الأمل للعلاج. أدرك صالح بعد فوات الأوان أن العلاج والتوبة هما الطريق الوحيد للخلاص من أمراضه المتعددة ومن حياة البؤس والشقاء التي يعيشها، وبالفعل طلب إجازة من عمله واتجه إلى المستشفى والتوبة في قلبه وأمل الشفاء يداعبه.





رائد حركة الشعر الحديث في الإمارات

الشاعر المدني تقدّم على زمانه فعانى من الوحدة



| لاتدعْني في انتظاري، طاوياً جرحي وآلام انكساري، في جموع الناس أمضي، حاملاً حبي وبُغضي، كيف ترضى بانهياري |

أحمد أمين المدني، من (أشواق دامعة)

محمد حسن الحربي: الإمارات

عندما التقيناه في فندق بالشارقة في الثمانينات، كان الدكتور أحمد أمين المدني قد انتهى من أسفاره الكبرى الرئيسية منها، وتلك المتعلقة بالدراسة، ودائرة الضوء المعرفي والإعلامي التي اتسعت لتجعله واحداً من أبرز الشعراء في منطقة الخليج والجزيرة العربية، في ذلك الوقت المبكر من عقد السبعينات، التي وصل إليها صاعداً متوثباً، مترعاً بالثقة، وممتلئاً بالمعرفة والمكنة الأدبية، والآمال والأحلام والمبادرات، فلقد بدأ صعوده من العام 1958م، العام الذي كان يتهيأ فيه، بين من اصطفوا للتخرّج في جامعة بغداد العريقة، ليكون مجازاً في الشريعة، والقانون المقارن، والعلوم العربية، مروراً بجامعتي كامبريدج وأدنبره البريطانيتين، حيث درس الفلسفة الإسلامية، والسوربون الفرنسية التي درس فيها اللغة الفرنسية والحضارة. وتعد تلك المرحلة التاريخية -الخمسينات والستينات- مرحلة ذهبية في أوروبا الخارجة من الحرب العالمية الثانية التي أنهكت العالم، حاملةً بما سوف يكون بعدها من إرهاصات انتهت إلى تشكيل العالم الجديد، مما اعتبر فرصة فارقة، قل ما يجود بها الزمان، على شاب وضع قدمه لتوه على عتبة الباب الكبير للمعرفة والثقافة، ونسج العلاقات مع أسماء كبيرة، شكلت في وقتها أركان الفكر الحديث للعالم الجديد، فكر ما بعد الحرب العالمية الثانية. كل هذا، كان قد عرفه الشاب المتوثب، يدفعه الحماس والتعطش إلى المعرفة بشتى مجالاتها، وتدفعه أحلامه الكبيرة التي لا حدود لها.

فهم الحداثة ونظّر لها في المنطقة

في بداية عقد الثمانينات، حيث كان لقاؤنا به غرضه التعارف فقط، لذلك فقد خلناه لن يتعدى الدردشة الثقافية والصحفية، وحينذاك، كانت قد سبقته أخباره إلى الأوساط الثقافية والمنتديات الأدبية والفكرية والبحثية، والأهم إلى المكتبات العربية، على أجنحة عدد من مؤلفاته الأدبية كـ(حصاد السنين، 1968)، و(أشرعة وأمواج، 1973)، و(عاشق لأنفاس الرياحين، 1990)، وكانت قد لامست أشعاره في بواكيره الأولى، كلها أو بعضها، الحداثة الشعرية على أصولها، ومن جذورها، وليس عبر الترجمة العربية التي شوهت الكثير من دقائقها ومفاهيمها، عبر الخلط في تفاسير مصطلحاتها. ليصبح شاعرنا المدني بعد وقت مبكر وقصير، أحد رواد حركة التجديد الأدبي في الإمارات، وتحديداً في الشعر، بل رائداً في منطقة الخليج والجزيرة العربية، وعاملاً أساسياً في انتقال حركة التجديد وشعر التفعيلة، إلى الشباب، مسهماً بشكل فاعل في حداثة الشعر في الإمارات. إضافة إلى أنه مثل أحد أهم رواد الحداثة على المستوى العربي، في النصف الثاني من القرن الماضي، لينضم بذلك إلى مجموعة من الشعراء العرب، كالشاعر محمود درويش، أدونيس، يوسف الخال، نازك الملائكة، بدر شاكر السياب، على الرغم من اختلاف الناس في المنطقة العربية على مفهوم الحداثة في الشعر تحديداً، بين مؤيد ومعارض، وثالث بينهما، يؤيد الحداثة لكنه لا يقبلها بالكامل. ورغم جرأة الشاعر المدني، فيما أقدم عليه بثقة في صناعة الشعر الحديث، إلا أن بعض قصائده، وفقاً للنقاد، لم تخل من تلك الغنائية التي أضفت على أشعاره المبكرة جاذبية لا تقاومها الأُذن التي كان قد ألفها جيداً.

منهجه في كتابة البحث والتاريخ

في الثمانينات، التي جمعتنا به، كانت قد سبقته أيضاً بعض مؤلفاته البحثية، من بينها (التركيب الاجتماعي الديني، والشعر الشعبي في الإمارات، ودراسة في الأدب الأندلسي)، وربما هنالك أكثر من ذلك، قد يفاجئنا به مهتم بالشاعر ونتاجه غير المطبوع. وفي بحوثه التي نحت نحواً تاريخياً، كان ما يحسب له فيها، أنه يعتمد على تفاسير للتاريخ، لم نعد نعهدها لدى كتّاب التاريخ في الوقت الراهن، فهو على سبيل المثال، ينأى في بحوثه التاريخية عن تفاسير الجغرافيا والزمان بصفتهما مسرحاً للأحداث، وتزميناً للحدث، ليميل إلى تفسير التاريخ بصفته كائناً حياً كما البشر في تطوره وانحداره وضعفه، تماماً كما يمر الإنسان في أطواره الطبيعية، على أن هذا التفسير يتضافر مع تفسير آخر تلمسه فيما كتبه عبر مؤلفاته البحثية تحديداً، وهو التفسير العلمي للتاريخ، الذي تتداخل فيه الأحداث مع بعضها بعضاً، الحضارية والمادية والطبيعية، مما ينجم عنه نظرية شبه شمولية، وتلمس الجانب الأدبي في منهجه التاريخي، تلك الحركة الإنسانية، وتذوق تجلياتها في الأدب ومحوره الإنسان.

قلنا إنه كان قد انتهى من أسفاره الرئيسية تلك، التي انصرفت إلى اكتساب العلم والمعرفة، والانتشار والتألق، والتفاعل في أكثر من ساحة. أما رحلته الحياتية - المهنية، تلك التي كانت بالنسبة له محض ثانوية، هكذا كان ينظر إليها، إذ لم يكن يعيرها اهتماماً ذا بال، ونعني بها الوظائف التي تبوأها، وكانت مصدر عيشه الوحيد كما نعلم، وميدانها القطاع العام في دولة الإمارات، إذ بدأها مدرساً، ثم محرراً ومعداً للبرامج في إذاعة صوت الساحل من الشارقة، ثم أميناً للمكتبة العامة في دبي، فمترجماً لدى جهة حكومية، إلى جانب الكتابة المنتظمة إلى الصحف والمجلات، المحلية والعربية، في بغداد والقاهرة وبيروت وغيرها، ولا أستبعد أنه كان يكتب في الصحافة الأجنبية، وبخاصة البريطانية، وهذه مسألة نضعها هنا، كونها تحتاج إلى باحث يتحقق منها.

بحر معرفي بلا شواطئ

حينما التقينا، هو ونحن - مجموعة شباب - نتطلع إليه كقامة كبيرة، كان قد انتهى فعلياً، واكتفى من أمور كثيرة، كما أسلفت، فبدا لنا حكيماً معرفياً، وأديباً مُفلقاً في الشعر، وفي اللماحة والإبداع، بدا لغوياً من الدرجة الأولى، يقبض على ناصية العربية، إشارة ودلالة، وطرائق استيلاد عذوبتها، عارفاً بمواضع استخدامها المؤثرة في الشعر، وفي سياقات النثر، خارجاً بذلك على التقليد في الكتابة الأدبية والشعر تحديداً.

في ذلك اللقاء، تجلّى لنا الدكتور أحمد أمين المدني، بحراً معرفياً بلا شواطئ تحدّه. وكانت تلك الجلسة في فندق كارلتون الشارقة، الذي لا يزال في مكانه على شاطئ البحر، بمنطقة الخان.. كانت من الأهمية بمكان بحيث أتذكر الموضوعات التي طرحنا وتناقشنا بها، لكن ربما لاحقاً نعرض لها في مقام آخر مختلف، ونبسطها للإفادة.

لقد كان ذلك اللقاء هو الأول لي بالمفكر والأديب الشاعر المدني، برفقة زميل المهنة، وحرفة الأدب، الصديق عبدالحميد أحمد. كنّا وقتذاك، شباباً نتلمس دروبنا في الحياة، نتفحص أفكارنا وقناعاتنا، ونسعى جاهدين إلى تجويد عملنا في بلاط صاحبة الجلالة، الصحافة المكتوبة، ونجرب في نصوصنا الأدبية، القصة القصيرة تحديداً. وفي هذا السياق، تجدر الإشارة إلى أن الشاعر المدني كان، هو الآخر، من كتّاب مجلة

(الأزمنة العربية) الأسبوعية، التي كانت تصدر في الشارقة، صباح كل يوم أربعاء، في الفترة من 1978-1980 تقريباً. وكذلك كان عبدالحميد أحمد، أحد أعمدتها الرئيسيين، وآخرون كبار معه بالطبع، وعبدالحميد هو الذي عرّفني على الشاعر المدني، وحدثني عنه قبل اللقاء، لكني كنت قد قرأت له الكثير، من قصائد ومقالات، سواء المنشور منها في مجلة الأزمنة العربية، أو تلك في الصحف المحلية من بينها صحيفة الاتحاد اليومية.

كان لقاؤنا بالمدني، قبل انقطاعه بقليل، عن أي عمل في الخارج، إذ انقطع مختاراً عن كثير من الأمور والشؤون في الخارج، هذا الخارج الذي لم يستقر فيه بأي عمل، لا في دائرة ولا في مؤسسة، عامة كانت أو خاصة، كان المدني كثير التنقل بين مختلف الأعمال والوظائف التي تبوأها، لأمر ما كان في نفسه، لا يدري ما سره إلا هو، وكان يقدم على ذلك بكثير من الرضا، ومن دون ذلك القلق المشروع، الذي قد ينتاب أي شخص عندما يتخلّى فجأة عن الوظيفة، وتكون مصدر عيشه الوحيد. ترى، ما سر ذلك الرضا الذي دائماً ما كنت تراه بادياً على محياه؟ تلك قصة تحتاج روايتها إلى استحضار ابن عربي في خلواته. هكذا كان المدني، إذا ما غادر مكاناً، وخطا للأمام في الحياة، لم يلتفت إلى الوراء، وإن للوداع. هكذا قرأته ساعة التقيته، محاولاً تكوين فكرة عنه أكثر عمقاً مما فعلنا من قبل.

ندرة صفاء الأخر دفعته للوحدة

كان في ذلك كله ينشد الهدوء، والسكينة، والمراجعة عبر رحلة في الداخل، بعد أن ألمّ بجزء من الخارج، ورحلة الداخل سوف تكون الأصعب والأهم، والأكثر تشعباً من الرحلات الأخرى في جغرافيا الحياة وتضاريسها، لعل السبب في ذلك، هو مطلب التركيز على شغفه الأول، الأدب في جانبه الأثير لديه: الشعر. ليأتي بعده بالدرجة الثانية، الدراسات البحثية على اختلاف طبيعتها، وقد قال بعض المهتمين بسيرته الثرّية، في وصف مغزى تنقلاته، التي تتقاطع بشكل ما، مع تنقلات أبي الطيب المتنبي في الجغرافيا بين الحواضر العربية، قالوا إن من خلالها كان يحرص على «ترسيخ تجربة ما كان يريدها، أو كان مضطراً للمرور بها، لكن وقتاً قد حان، كما فُهم من خطواته السابقة، وقراراته الحاسمة والمفاجئة، كان عليه أن ينقطع فيه عن أي عمل، سوى نفسه، يراجعها ويتفقّد قوتها ونقاط التحسين فيها، وسوى أفكاره، يُخضعها للمساءلة والمراجعة ربما، لا حذفاً لها بقدر تشوّف إمكانية التعميق وإضافة الجديد».

وفي أيامه الأخيرة، كنت تشعر أن شاعرنا المدني كان يحتاج إلى مزيد من الاهتمام، إلى شيء من الأضواء التي كانت تغمره بالأمس القريب، إلى حضور يلقي عليه بعضاً من قصائده، فيتفاعل معه، لنتأمل من جديد:

«لا تدعْني في انتظاري، طاوياً جرحي وآلام انكساري، في جموع الناس أمضي، حاملاً حبي وبُغضي، كيف ترضى بانهياري».

واضح أنه كان ظمئاً، لكن «وأي الناس تصفو مشاربه».. بشار بن برد.

كتب احتفت بالشاعر المدني

ثمة كتب احتفائية صدرت في الإمارات، تناولت بعض المنعطفات المهمة في السيرة الثرية للدكتور أحمد أمين المدني، من بين أهمها كتاب بعنوان (أحمد أمين المدني في آثار الدارسين)، لمؤلفه الصديق الأديب والباحث أحمد محمد عبيد، وهو جهد كبير جاء دقيقاً، ويحمل جديداً للشاعر المدني لم يكن معلوماً من قبل، الذي طبع على نفقة الكاتب والأديب عبدالغفار حسين، وبالمناسبة، هذا الكتاب ليس هو الأول الذي يتكفل بطباعته الأستاذ عبدالغفار حسين، إنما هنالك العديد من الكتب التي أسهم في رؤيتها للنور، وطباعتها على نفقته الخاصة، شهدتها المكتبات، وتفاعلت معها الصفحات الثقافية في الصحف والمجلات المحلية.

وكما لو كان تفريعاً من الكتاب ذاته (المدني في آثار الدارسين)، صدر كتاب آخر حمل اسم (قصائد ضائعة 2001) مخصص لقصائد المدني الجديدة، غير المنشورة، كان قد حصل عليها المؤلف نفسه، أحمد محمد عبيد، وقدمها بأمانة مهنية لافتة، يشكر عليها، وتحسب له في سجله البحثي الرصين. وفهمت أن هنالك ديواناً جديداً يحمل قصائد وجدت مؤخراً للشاعر المدني، في طريقه للصدور.

شعراء عرفهم وجلس إليهم

تأثر أحمد المدني بالعديد من الشعراء الرواد الذين كانت تربطه بهم صلات مباشرة، (وصرف وقته في ملازمة الشاعر مبارك العقيلي، وكان يحضر مجالس مبارك العقيلي، والشاعر أحمد بن سليم، والأديب الكويتي عبدالله الصانع، إضافة لحضوره الدائم للمجلس المهم واليومي في دكان مبارك المسقطي في شارع سوق الذهب، والذي كان يجتمع فيه العديد من كبار الشعراء والأدباء والمثقفين، يتدارسون ويتناقشون ويتناشدون الشعر، وكان منهم: مبارك العقيلي، أحمد بن سليم، عبدالله الصانع، عبيد التاير، خليفة بن سعيد المطروشي، الشيخ راشد بن بطي آل مكتوم، راشد بن سعيد يابس راس، من عمان، والشاعر خلفان بن يدعوه، والسيد هاشم الهاشمي، والشاعر محمد بن زنيد وغيرهم).



الشعر

(تلسكوبنا) الأول



طالب محمود شحادة: لبنان

أتحسب أنك جرمٌ صغيرٌ
وفيكَ انطوى العالمُ الأكبرُ!

يحكى أن المحقق شيرلوك هولمز ومساعده واطسون، خيّما مرة في البريّة، وبعد مرور القليل من الوقت، استيقظ هولمز بعجالة، أيقظ زميله وسأله: واطسون، هل تلاحظ شيئاً ما؟ نظر واطسون إلى السماء، فَسَرَحَ ثم قال: آه بالفعل، النجوم رائعة الجمال الليلة يا عزيزي. فيردّ شيرلوك: واطسون أيها الأحمق، لقد سُرِقَت الخيمة!

في حقيقة الأمر، سنحاول نحن النظر قليلاً بعيني واطسون الساذجتين، وليسمح لنا شعراؤنا بأن نستعير أعينهم كذلك، فما يراه الشاعر لا تراه كلّ عين، وفي ذلك يقول امرؤ القيس: أصاحِ ترى برقاً، أُرِيْكَ وميضه..، فأسلم عينيكَ بهدوء عند باب هذا المقال أيها القارئ العزيز، لنرى ما الذي سترينا إياه هذه الجماعة من الجنس البشري.

فلنبدأ!

ضجّ العالم منذ فترة بالصور التي التقطها تلسكوب (جيمس ويب) لجزء يسير من الكون، أو للدقة: ما كان عليه الكون، بعد أن تم نشرها في الإعلام. تنوّعت ردود الأفعال والتعليقات، كما يحدث مع أي حدث عظيم يحصل في العالم. فمن منذهل بالصور بشكل موضوعي علمي، يرفع نظّارته بإصبعه بهدوء إلى أعلى أنفه، مفتخراً بما وصل إليه البشر من تطور، إلى المنذهل من ترسّخ حقيقة حجمنا الضئيل أمام هذا الكون، إلى مشكّك في الأمر تماماً، جالساً في المقهى حوله الناس، معتبراً إياها -الصورة الأولى خصّيصاً- مجردَ تصوير مقطعي لرخامة المَجلى الغرانيت في أحد مطابخ (تكساس).

تبرزُ من هذه الضجة المستثارة، أفكارٌ وهواجس تنثر نفسها في ذهن الإنسان العادي ووجدانه. إن التأملَ في (ملكوت) الكون، يفضي إلى التأمل في القدرة الخلّاقة التي كوّنت كل ذلك، وتقوده هذه في النهاية إلى التأمل في ذاته ضمن هذا النسيج المتكامل. فيسأل المُفكّر نفسه: هل أُعطيَ هذا الكونُ حقّه من التأمل؟ بل هل أنا قد أخذتُ حقّي كاملاً من التأمُّل والتفكّر في العالم الذي أنا منه وفيه؟ فالتأمل والتفكّرُ حقٌّ لا يسفُلُ عن سائر الحقوق الإنسانية أهميةً. وإذا تفكرنا، نحن أبناء الحضارة الحديثة، في هذا الشرق خصوصاً، وضجيج الحداثة أو محاولاتها المبتسرة، والمعلومات السيّالة خبط عشواء في كلّ مذهب تلفّنا من كل جانب، نجد لتفكّرنا صعوبةً في التمدد وملامَسَة ما حولنا. إنّ أضواء المدن والأمصار هذه، يسميها الفلكيون تسمية شاعرية هي أقرب للمتأمِل إليها من العالم البحت ومصطلحاته المتيبّسة، يسمونها (بالتلوّث الضوئي)، فهل فكّرت يوماً في أن أضواء المدن هي بمنزلة (قمامة) ضوئية، تلوّث الأعين التي ترنو فطرياً إلى السماء والأضواء الطبيعية لا الاصطناعية؟ إنك تكاد تصبحُ ممنوعاً عن النظر في السماء يا صديقي.

وأنت حين أحدّثك عن المتأمّل، لا بدّ أن يخطر لك أمران: العين الناظرةُ، وحاملُها.

ولا بدّ من بعد ذلك أن تعرف أن من أفضل الحاملين المستفيدين من حواسّهم هم: الشعراء.

إنني في الحقيقة لا أنوي أن أحدثك عن العلم ولا الشعر ولا فروع وضروب كل منهما، لكن خيطاً يمتد من كل ما ينتجه الإنسان، ومن المطلوب منك أن تتبين الخيط الأبيض من الأسود دائماً في هذا الأمر فتبصر.

فأما النجوم والكواكب، فإنّ علماء الفلك يؤكدون أننا لا نرى سوى ماضيها. أنت ترى الماضي في السماء غالباً، الماضي فوق رؤوسنا كل ليلة، والسماء ذاكرة الكون. وهو، لو دققت، الأمر نفسه في الأدب ومطالعة الكتب. وأما الأدباء والشعراء، فتجد أن الإنسان ظل مشدوداً كوتر إلى قُبّة الأفق، يرى دنياه بمخيلته، سارحة كالشهب والنجوم والكواكب، ولم تكن حاجته لذلك عمليّةً فقط، كمعرفة الاتجاهات وأوقات المناسك، بل كانت حاجةً وجدانيةً وروحية أبداً.

اصعد هذه الليلة إلى سطح المنزل وارفع رأسك، هل في مقدورك أن ترى أحداً ما يخُطُّ حرف (لا) مثلاً؟ أم هل ترى رجلاً أسمر البشرة بذقن ملأها الشيب؟ هل ترى أنواعاً من الأحجار الكريمة، زمرّداً، عقيقاً أو ذهباً؟ هل ترى -بلا مؤاخذة- امرأة سمراء تتجرّدُ وحولَ عنقها عقدٌ من الدرّ؟ طيّب هل ترى فروةَ نمر مرقّط؟ ربما لم ترَ نمراً في حديقة حيوان، فما بالُ كاتب هذا المقال المجنون يسألك عن نمر في السماء؟ ها؟ ربما رأيت في حياتك أحصنة بطبيعة الأحوال، فهل تبصر أحصنة بيضاء عليها خلال (أغطية) سوداء تنسلّ عنها، أو غرباناً تطيرُ فزعةً، طيّرها متطفّلٌ أو طائر جارح آخر؟

لم ترَ يوماً كلّ هذا غالباً، لا حرمك الله السماءَ يا صديقي، أنت إذن لم ترَها على حقيقتها، عالماً بماضيه وحاضره، ومستقبله أحياناً. لقد رأى الشعراء كلّ ما أسلفتُ ذكره، لكنّ المقام لا يتّسعُ لذكر الأمثلة، فابحث عنها إن شئت، أو هاكَ حلاً أمثل: ارفع رأسك وتأمل بهدوء وسكينة!

***

شغف شعراؤنا وأدباؤنا بسمائهم، بأجرامها، بليلها وصبحها، وما بين التقائهما من التباس لذيذ، فتجد وفرة في الصور التي تتناول النقلة الأوركسترالية من الليل إلى النهار. والشاعر كريمٌ جواد، يدعوك عندما يقعُ على أثرِ لذّة أعمَلَها في صدره مشهدٌ ما، فلا يتوانى عن تنبيهك: (ابن حجّاج - من الكامل):

يا صاحبيّ استيقظا من رقدة
تُزري على عقل اللّبيبِ الأكيسِ

هذي المجرةُ والنجوم كأنها
نهرٌ تدفّق في حديقة نرجسِ

ثم يستلمك الآخر، مبرراً إزعاج رقدتك: (أبو بكر الخالدي - من الكامل):

ما عُذرُنا في حبسنا الأكوابا؟
سقطَ النّدى، فصفا الهواءُ وطابا

وكأنما الصبحُ المنير وقد بدا
بازٍ أطارَ من الظلامِ غُرابا

وبعد أن تذهب عنك لوثة النعاس، يخبرك الثالث: (المهذب بن الزبير - من الكامل):

وترى المجرّةَ في النّجومِ كأنّها
تسقي الرّياضَ بجدولٍ مَلآنِ

لو لم تكن نهراً لما عامت به
أبداً نجومُ الحوتِ والسرطانِ

وربّما تكون عاشقاً، فيلجأ الرابع إلى الحيلة كي يمسك بك من الكتف التي تحكّك، فيقول - قاتله الله ما أشعره: (حسين بن المهذب - مخلع البسيط):

كأنّما الليلُ والثريا
تسبحُ في جوّه وتجري

زنجيّةٌ جُرّدَتْ فأبدَت
في صفحةِ الصّدر عِقدَ درٍّ

فيفترُّ ثغرك عن ابتسامة رضا. هكذا يسلّيك كل واحد من هؤلاء الندماء، كأنّكَ خليفة عصرك، ويشدّكَ من كمّك إلى مائدته، موائد العيون والافتتان.

فارفع رأسك إلى السماء!

***

إن الذين تابعوا البحث (الموضوعاتي) في الأدب العربي، والمصنفين في هذا المجال،

وجدوا وفرةً في الأبواب المتنوعة، وقسموها كلٌ كما يرى. ومن الأبواب التي لا يكاد يخلو منها كتابٌ، في التشبيهات على سبيل المثال، بابُ وصف النجوم والثريا والمجرة والسماء وما بين ذلك وما تحته. وقد يتخلل هذا التجميعَ شيءٌ من الاستقراء والنقد.

في علم البلاغة مثلاً، ستصادف (عبدالقاهر الجرجاني)، واضع قواعد علم البلاغة، بل وعلم الجمال والتذوق الأدبي للصور الشعرية العربية، وسَتَجِدُنا مدفوعين لنمدَ أيدينا طلباً للمساعدة في تذوق بعض الصور التي وهبنا إياها الشعراء، علّهم رؤوا غيثاً فيما رأيناه قطرات من (مطر صيف) كما تقول الأغنية العراقية.

إن المدقق في شواهد عبدالقاهر الجرجاني البلاغية، يجدُ الكثير من الأمثلة الشعرية التي أسس عليها قواعده، وحللها خير تحليل، هي الصور التي تناولت السماء والنجوم والكواكب، وكانت عنصراً أساسياً في الصور، تشبيهاً كانت أم استعارة. فهل يكون هذا الأمر وليد الصدفة؟ إن قارئ كتب واضعي العلوم يعرف تماماً ألا وجود لكلمة أو قسمة إلا وهي موضوعة في ميزان دقيق يكشف من التدقيق والعلم ما يكشف ويُغْني، فكلمةٌ تهوي بصاحبها في جهنم سبعين خريفاً، تقابلها كلمةٌ تصعدُ به في السماوات سبعين ربيعاً. نجد هنا عالم البلاغة كعالم الفلك، يحتجُ بالحقيقة المشهودة والمرئية رأيَ العين ليعطي الحكم بأفضلية صورة على صورة، فأقربها للحقيقة في التحليل أقربُها للأفضلية وأغرب معانيها -والكون أبو الغرائب- أعجبها للنفس الحساسة. خذ مثالاً هذا البيت:

وكـأنَّ أجـرامَ الـنـجـوم لـوامعاً
دُررٌ نُـثـرنَ عـلـى بِـسـاط أزرقِ

استدلّ عبدالقاهر، بهذا البيت وغيره من جنسه، على قواعد بلاغية عديدة، ولم يكد يخلو باب بلاغي من ذكره وما هو في جنسه، هذا البيت الذي استفزَّ مشبّهُهُ -وهو النجوم هنا- الشاعرَ، فحاول الجرجاني استنباط أسباب الحسن والطبع السليم من ذلك، فيجد أن الشاعر الذي سَبقَ إلى هذا النمط من التشبيه (أحرز غاية لا ينالها غير الجواد، وقرطَسَ في هدف لا يُصابُ إلا بعد الاحتفال والاجتهاد)، أما ترى أن الفضل في هذا التشبيه راجعٌ إلى (الاجتهاد) على حد تعبير الجرجاني؟ والاجتهاد هنا كالاجتهاد المطلوب في علم الفلك نفسه، حيث إن الحقيقة واحدةٌ والعلوم شَتّى، والناس كثيرٌ والإنسان واحد. أما تظنّ معي أن الجرجاني نظرَ إلى السماء أيضاً ليتأكدَ من صحة هذا التشبيه، وإن قلت إن الشعراء (يقولون ما لا يفعلون)، فإن المتأمل الحق يفعل ما يقول وما قيل.

ثم انظر هذا البيت في باب آخر متكرراً بحُلّة علميّة أخرى، إذ يقول فيه عبدالقاهر: (وذلك أن المقصود من التشبيه أن يريكَ الهيئة التي تملأ النواظر عجباً وتستوقف العيون وتستنطق القلوب بذكر الله تعالى من طلوع النجوم مؤتلفة مفترقة من أديم السماء وهي زرقاء زرقتها الصافية التي تخدع العين، والنجوم تتلألأ وتَبرقُ في أثناء تلك الزرقة..). إن كلّ ما قد تجده مفترقاً هو مؤتلفٌ في باطن الأمر، يرى الشاعرُ ذلك، ويدعوك بيانه لتتأكد من الأمر، يشدّ على يده الناقد المتبصّر. ما تسكت عنه الحاسّة مقصّرة أمامه، يستنطقهُ القلب ثم ينطقُ بحقّه.

فارفع رأسك إلى السماء!

***

هذه أُلفَةُ الكون، وأنتَ مدعوٌ أبداً إلى هذا المهرجان. السماء الحاضرة تريك ماضياً، كذلك الكتاب الحاضر بين يديك بأدبه وشعره، ماضياً حيّاً، وأنت ترى العظمة في شسوع الكون، لكن الشسوع الذي فيك قد يكون أعمق بكثير، ومن سطح منزلك ارفع رأسك إلى السماء، وحدّق بنظرة ثم اقرأ معي -من أجلي على الأقل يا عزيزي- وردّد:

أتحـسـبُ أنّـك جـرمٌ صـغيرٌ؟
وفـيـك انـطـوى الـعـالم الأكـبـر



نثرُ النَّثر



أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري

قال أبو عبدالرحمن: ترطَّبَ (جبرا إبراهيم جبرا) في قصيدته (لعنة بروميثيوس)، ونَصُّها:
(ماعدتُ أقوى ياسيدي.
على التَّمزيق من هذه الكبد.
ستُ سنين قد شيَّبتني.
أم أنها اللعنة التي ردَّدها الجبل؟.
رفرف الصقر كسيراً.
بين يدي جنراله.
مصدع المنقار مخلبه.
كمخلب الجنرال مثقل.
وصاح الجنرال زفس:
كم مرَّة جئت تنبئوني.
بالهزيمة وأنت السيد في الذرى؟!.
عد وكل من الكبد المتمردة.
ولا تأتني إلَّا مبشراً.
مبجدنا).

قال أبو عبدالرحمن: ليس هذا من شعر التفعيلة، ولكنه من النثر (نثر النثر) الذي سُمِّي بـ(الشعر المنثور)، و(جبرا) وإنْ كرهت مضامينه ومنازعه إلا أنه قمة في مواهبه وثقافته، وله إشرافٌ مشكور على الأدب العالمي، وقد تُرجم بعض روائعه.. وأقول لمن ألاعبهم بالأسنة القزحية على ظهر النعامة: تعالوا معي نتذوق ونتفكر في التالي: أولاً ما هو المعيار الذي نزن به هذا النثر المنثور؟.. أما أنا فلا أعرف في الوجود بإطلاق لا استثناء فيه إلا قيماً ثلاثاً هي: الحق، ومجاله العقل مادة وعملاً، والخير، ومجاله السلوك مادة وحسب، والجمال، ومجاله الشعور مادة وحسب، فإن استطاعت أذهانكم أنْ تتصور معايير غير مشتقة من هذه القيم الثلاث فسموها بأسمائها إنْ كنتم صادقين لنناقش ونتذوق على ضوئها.. وثانياً وإنْ سلمتم معي بما سلم به المفكرون من فجر الخليقة إلى آخر عهد لإنجازات العلم الحديث: وهو أنه لا وجود إلا لمعايير الحق، والخير، والجمال، ولا يتصور وجود معيار رابع: قلت لكم: هذه المقطوعة المنثورة لـ(جبرا) تُسمَّى بالشعر المنثور، وإذن فهي فرع فني، ومعيار الفن شكلاً مشتقٌ من قيمة الجمال وجوداً، ومن قيمة الحق حكماً، ومعيارُ الفن مضموناً من قيمتي الحق والخير، وليس كل فن جميل يكون شعراً، لأنَّ الشعر من الفن، وليس هو جميع الفن، وعنصر الموسيقى الخارجية شرط في تسمية الشعر شعراً، هذا شرط في اللغة، وفي عرف الأمم والأجيال، وفي تعيين خصائص العلوم الإنسانية.. إذن نحن لا نملك ابتداع التسمية لموجود سمته اللغات، ومضى عليه عرف الأمم والأجيال، وتميَّزت به حقول المعارف الإنسانية!!.. فإنْ قال قائل: وما الذي يضير إذا سمينا هذا النثر شعراً، وإنْ خالف مدلول اللغة، وعرف الأجيال، وتقسيم العلوم؟.. قلت: يضير في هذا ما يضير عند تسمية السماء أرضاً، والأرض سماء، والزراعة تاريخاً، والتاريخ هندسة، والقيطون مباركاً، والجريال نضاراً، وليلى حمداً، وعبدالرزاق سعاداً، والإبهام دماغاً.. إلخ.. إلخ.. وحينئذ تكون لغتنا ألعوبة لكل علماني يتبوَّل، ولا تكون المفردات والصيغ والمصطلحات المتميزة رمزاً لموجودات متميزة، وحينئذ تكون تسمية المسميات بغير أسمائها رهن الاستجابة لنزوة كل مفسد، ولا يكون لمدلول اللغة ثوابت تاريخية تحكم فهمنا.. وثالثاً فإنْ قال قائل: كيف نسيت يا أبا عبدالرحمن نفسك وأنت تُسمِّي الشعر الحر شعراً، وليس على أوزان العرب وقوافيهم؟!.. قلت: الفرق بين شعر التفعيلة، ونثر النثر كالفرق بين الثرى والثريا، لأنه ليس من شرط تسمية الشعر شعراً أنْ يكون على أوزان العرب وقوافيهم.. إنَّ أوزان العرب وقوافيهم لا تُحَدِّدُ مفهوم الشعر، ولكنها تصف نوعاً من الشعر عرفه العرب، وجمدوا عليه قروناً..

إنَّ أوزان العرب وقوافيهم تُقسّم الشعر إلى أنواعه، ولا تحدد ماهيته.. إنَّ من شرط الشعر لا جميع شرطه أنْ يكون ذا موسيقى خارجية تُرَقِّصُ الشعور، وتؤلف وحدات لحنية (كوبليه) يرنم بها الشاعر ترنماً يصاحب ابتكاره الشعري، وإنْ لم يحسن العزف على الموسيقى، وترقص شعور المتلقي وإنْ لم يحسن العزف أيضاً، وإنَّما تكون سُلّم الموسيقى كاشفة ومظهرة لوجود اللحن لا مؤسسة له، وما لم تعترف به سلم الموسيقى فليس شعراً.. إنَّ تخلف الموسيقى يسلب من الكلمات مصطلح الشعر، أما حضور العنصر الموسيقي، وتخلف العناصر الجمالية الأخرى فلا ينفي مصطلح الشعر، وإنَّما ينفي كونه أجمل الشعر بالنظر إلى اختلاف المذاهب في نظرية الشكل، واختلاف المنازع في مضمونه ما بين محضية فنية تلهو لهو الأطفال بشكل الفن، وما بين مذاهب تخثرت في دعوى الالتزام حتى جعلت الشعر أوامر عسكرية وقرارات حزبية، والموسيقى أعم من تراث العرب الشعر قافية ووزناً، فمن ناحية القافية يوجد الروي والازدواج والوزن الصرفي لا العروضي، فوقْعُ هذه اللّزمات أجمل وأعرق جاذبية من وقع القافية الواحدة الجاهزة، وما ذلك إلا لملل القرون، وحضور النمط بحيث كان ارتباطه بالذاكرة أكثر من ارتباطه بملكة الابتكار والتمثل.. ومن ناحية الوزن فما حصر الله موسيقى البشر في تفاعيل استنبطها (الخليل بن أحمد) من غناء بدائي عرفه العرب، ثم التزموه خمسة عشر قرناً ونيفاً.. إنَّ موسيقى البشر لا تُحَجَّم من مأثور العرب الغنائي، وإنما هي عطاء متجدد بقدر ما يسمح به سلم الموسيقى من نغم ولحن، وبمقدار ما تسمح به موهبة الشاعر المترنم من وحدات (كوبليه) تضمها قصيدته الأم، وحللت الموسيقى البشرية عند الأمم والأجيال فوجدت بُنى نغمية على هذا النحو:

/ه

/ه ه

//ه

//ه ه

///ه ه

////ه ه

ويتكون من هذه البنى ما لا يحصيه إلا الله من الأنغام، ثم الألحان، ثم الكوبليه.. كما نجد كلام البشر وأسفارهم بمختلف اللغات إنَّما تكونت من بُنى محصورة هي مخارج الحروف!.. ومن هنا فأوزان شعر العرب نزر يسير من موسيقى الوجود، حتى الدوائر المهملة المستدركة على أوزان العرب إنَّما هي نسبة ضئيلة من موسيقى الوجود، لأنه روعي فيها هيكل البحر المحصور، ولم يراع فيها البنى النغمية التي يتألف منها آلاف الألحان دون اشتراط لهيكل البحر المشترط فيه تساوي الأشطر.. وقد قال العارفون بتدفق الموسيقى البشرية: من لم يعرف ألف وزن فليس بزجَّال!!

ولم يبالغوا في ذلك، لأنَّ معيارهم الألحان والأنغام لا قوالب البحور.. إنهم يعدون مقطوعة (جبرا إبراهيم جبرا) من الفنون الجميلة، ويحددونها بأنها شعر منثور، وقد رأيناها مجردة من الموسيقى الخارجية، وبينت لكم خطأ ومحاذير تسميتها شعراً.. وبما أنها كلام فلنقسها بمقاييس النثر الفني، فإنْ صحَّ ذلك وجب كتابتها كما يكتب النثر، ولا داعي لتقطيعها كما يقطع شعر التفعيلة، لأنَّ ذلك عبثٌ وتحكُّم وتشويه للنثر بنثره، فإنْ اعتبروها بعر كبش، فربما كان في بعثرته جمالاً، وإنْ اعتبروها فناً فلا أعرف للبعثرة مدلولاً ولا جمالاً، وليس وراء هذه البعثرة قدرة، أو موهبة يعتز بها الناثر، وإنما هو تضليل للقارئ ببتر ترابط الجمل دون قدرة فكرية، أو ملمح جمالي وراء ذلك، وإنَّما تغتفر هذه البعثرة ولا تكون عبثاً لو أنها ترجمة لشعر أجنبي، فتكون البعثرة التزاماً بوقفات الشاعر الأجنبي في أصل لغته، وإنْ خلت هذه المقطوعة من مقومات النثر الفني ووجد فيها ومضات فنية فحينئذ تصطفى لملاحظتها في أعمال فنية أخرى شعرية ونثرية، وتصطفى هذه الومضات كما تصطفى الحكمة من هذر النَّوكي والمجانين، ويفاد من مضمونها على كل تقدير.. ورابعاً مضمون هذه المقطوعة من قيم الحداثة الشاغرة في تراثنا، ولكن لفقدانها لموسيقى الشعر الخارجية ولمقومات النثر الفني: فالحكم أنَّ (جبرا) لم يوظِّف الأسطورة توظيفاً فنياً، ومعنى ذلك أنه لا ابتكار له، ولا إبداع في هذه المقطوعة ألبتة، وإنَّما هو استرجاع تاريخي نقلي لثقافة الأسطورة، وإنَّما الجديد أنه أخضعها في سياقه لتوحي برؤيته لأحداث ثورة الجزائر، وهذه وحدها ليست قدرة شاعر ولا فنان، ولكنها قدرة كاتب، والكاتب ليست لغته فنية دائماً، وإنَّما قد تكون نثرية، ولكنها عقلية أو ثقافية.. ولا يقال له دائماً: أمتعت!، وإنما قد يقال له: أصبتَ!.. وفي قوله (ست سنين) نرى ستاً تعني شيئاً قليلاً، ونرى سنين تعني شيئاً كثيراً، وتأتي تمييزاً لشيء مبهم غير محدد لتوحي بالكثرة وحسب، هذا هو حس اللغة والبلاغة.

قال أبو عبدالرحمن: (جبرا) هاهنا ناثرٌ لا شاعر، فما الذي صرفه عن حس البلاغة العربية، وهي بلاغة عالية ليقول (ست سنوات)، أو يبهم فيقول (سنين)، ليوحي بشدة وطأتها حتى لكأنها سنين، وأي من الأمرين بمستطاعه، إذْ لا ضرورة تلجئه ما دام متحرِّراً من الموسيقى، وإلى لقاء عاجل إنْ شاء الله تعالى، والله المستعان.

رَجل مِن وَادي عَبقر



علاء الدين حسن: سوريا

ينهض مِن فراشه كلّ يوم في وقت السَّحَر، مستغلّاً هداءة الوقت. الرَّجلُ المتماسكُ يمضي جلّ أوقاته بين ثنايا أمّات الكتب الَّتي طالما زخرت بها غرفته المتواضعة وبالعديد مِن المجلّداتِ ذاتِ الأجزاءِ المتعدِّدة، ولطالما أقبلتْ عليه -وهو يموج بينها- لحظات مترعة بألوانِ الحبِّ الشَّفيف.. إنَّه يحيا في ضمير الزَّمن... وما إنْ يتأمَّل الرَّجل إشراقةَ الشَّمس، حتَّى يدرك معنى الجمال الموسوم بالحقيقة، وبألوان حيويَّة متدفِّقة مِن كوَّة النُّور والضِّياء، لتحيل الحياة إلى ظلّ لحظات يتَّحد فيها القلب مع القلب، فيستحيل إلى فيضٍ مِن معانٍ متلألئة.. وسرعان ما يطلق نفحة مِن أعماقه: «كُنْ جَمِيلاً تَرَ الوُجُودَ جَمِيلاً».

أرسل بصرَه نحو السَّماء، فرأى الجمالَ المتلألئ، ورأى الحُسْنَ المبهر، لا أعمدة تثبّت تلكم السَّماوات، ولا خروق تنقص مِن روعتها وبهائها. ورأى على امتداد رقعة لا منتهية، حدائقَ ذاتَ بهجة، ومروجاً خضراء، وغدراناً رقراقة، وأشجاراً ورَّاقة.

مِن جديد خاطب ذاته: هذا الجمال لا يمكن أن يكون فوق الحقّ، فلا يكون الجمال في الكذب، ولا الفنُّ في الفسوق، ولا يباح أن يُستساغَ بجمال التَّعبير اختلاق الأباطيل مِن القول. وعندما يكون الجمال وسيلة لهدم الحقِّ لحظتئذ ينبغي إيقافه.

عرفوه رجلاً ينفع النَّاس عند الملمَّات، معواناً عند الشَّدائد والنَّكبات، ورجلاً هادئاً حكيماً ثاقب النَّظر، وهذه الحكمة الَّتي يُشار إليها يؤتاها الإنسان مِن لدن حكيم عليم.

يبحث بين الفينة والثَّانية عن ملامح للحياة صادقة، ذلك أنَّه مِن قبيل الدَّمعات أن تبقى كلماته حبيسة في صدره الخافق بنبض الانطلاق نحو المدارك الواسعة.

يمنحُ الدَّربَ نثيرةً مِن طفحاته المترعة بالأمل والتَّرقُّب، يتقاسم الزَّمن مع (أقواس الرَّحمة) المضيئة في انحنائيَّة ملفتة للكبار قبل الصِّغار.

ودادٌ أرجوانيٌّ يحيط بكيانه المتدفِّق كأزهار النَّارنج.. ينْزوي في مشارف التَّجلّي بين زغردات الحبق المشتاق لنغماته الواعدة، لتنطلق آهاته سلسالاً مِن تقًى، وتتوزَّع على المتلهِّفين، ثمَّ تجد للارتواء معناه الحقيقيّ.

* * *

بكلّ توق يخاطب دمدماتِ الطَّبيعة، ويعبِّر عن إصراره على أنَّ خضرة الأرض كلَّما تجدَّدت أفرزت حُلماً جديداً، والحلم، يا له مِن مأوى! يا له مِن فسحة مستجدّة! وبوح خفيّ! إنَّه يترك في أعماقنا نباهة التَّرحال.. ينشرح الصَّدر، ويطلق شهقة كأنَّها الرَّيحان والحبق. والصُّعَدَاء لا تكتمل إلّا في مثل هذه الحال.

ماذا لو كانت أحلامُنا غائبة عن رمقات الليل؟ هل كان سيبقى لذلك الهزيع ألقيَّتُه المترامية بين لحظة البدء ونقطة الاستفاق؟

يتكلَّم هذا الرَّجل، فيلفِت بعذب حديثه، وصدق عاطفته، ورشاقة عبارته، ونبْرة لطافته، يلفت أسماع مَن يسمع.

تجالسه فيشعرك بمعنى التَّواضع وصدق إنسانيَّته النُّبلَى الَّتي تسكن أعماقه.. إنَّه إنسان يشدُّك إلى ذاته بأناة ومحبَّة. يَنْسَلُّ حِلمُه إلى سويداء قلبك دونما استئذان.. طيفٌ واسعٌ يحيط بك وأنت تلتقيه.. تشفُّ روحه وعبقُ دماثته، فيطوف هنا وهناك، وبين حين وآخر بالمزيد مِن سَكَنٍ وهَدَآت.. لَعَمْرُ الحقّ هذه نعمة لا يُلقَّاها إلّا مَن كان لها أهلاً.

إنَّها لَطَوْفَةٌ مِن روح سامية تشرق بأشعَّة مِن نور. في محراب الحُبّ الصَّادق، انبعثت إشراقات، وانهلَّت في ساح الفؤاد، ومنه انطلقت الخفقات وتجدُّد الجمالات بانسيابيَّة باهرة إلى أصداء.
تطيرُ بك يمامات الأوسمة الرَّائقة، وتحطُّ الرِّحال بتماوج مبهر بين خضرة الأرض النَّديَّة بسلسبيل الماء الرَّقراق.
عند الرَّصيف الأوَّل مِن حياته الطَّافحة بالحنين، راح ينهض بتلقائيَّة مثيرة مسرعاً صوب إضاءة ما حوله، بيراع يتقاطر إلهاماً وروعة.

* * *

يقتعدُ الذِّكرى.. تلتئمُ بمحيطه الأثيريّ كوكبةُ الصَّداقة، يتحدَّث إليهم بصبر ووسامة.. قسماتُ وجهه تنبئ عن عفويته المعهودة.. حتَّى أشجار المدينة الباقية تحنو وتهفو إلى لقاه، وكأنَّها تقول: مَن يمتلك تلكم الحكمة الجذَّابة، تنشدُّ إليه قامات السنديان، وباسقات الصَّنوبر، ومِن عُلاها تغرِّد لحضوره السَّوسناتُ مزامير (آل داوود).
يلتفتُ بكليَّته إلى تلكم الأشجار الباسقة، يخاطبها بملء حنجرته الصَّادحة: إنْ كنتُ أملك مِن حكمة وتسامح، فمنكِ أيَّتها الأشجار.. الشَّجرة تُضرَب بالحجر فتُعطي الثَّمر! أليس هذا منتهى الحكمة وغاية التَّسامح؟ أوراقُكِ جميلة، جذعُك قويٌّ قويم، ثمارُك يانعة.. ولكنْ! الأجمل مِن ذلك كلِّه أنَّكِ عندما تموتين، تموتين وأنت واقفة، أليس هذا دلالة على بقاء الذِّكرى؟ أليس هذا بلاغة درس أبعد مِن أيّ خيال؟ أليس غاية الشُّموخ أن تموت واقفاً بدل مِن أن تحيا وأنت راكع؟
مفتاحُ تسامي هذا القادم مِن وادي عبقر لا ينغلق مع استدامة الزَّمن المتسامق.. نادرون جدّاً أمثال هذا الرَّجل في وقت تَقَوْلَبَ فيه العالم وتَعولَم، وصار لـ(الفايبر) و(الفيسبوك) و(التَّويتر) الوقت الأعمّ في حياة كثير مِن النَّاس.
عاد ذات يوم مِن سفر له في ليلة كادت أن تنتصف، فرأى زوجه تئنُّ مِن وطأة مرض مثقَل، فحزن للحدث، وكاد الحزن أن يصل به إلى درجة تفوق الوصف.. توجَّه إلى الله بدعوة صادقة مِن قلبه أن يهب لها شفاءً مِن لدنه، لكنَّه القدر.
لقد اختطف الموت تلكم الرُّوح النَّقيَّة فصعدت مَرضيَّة إلى بارئها، وصار مِن بعدها وحيداً ينشغل بتذكار ما كان يدور بينهما مِن إشراقات عصيَّة على النِّسيان.. كانت تقول له: أنتَ قلبي وكياني.. أنتَ الهواء الَّذي أتنشَّقه. أمَّا الآن، وبعد غياب مفاجئ جدّاً، مِن أين يستمدُّ تلكم الحنوات الحالمة؟
أطلق صُعْدة مِن أعماق صدره: كم كنت أتمنَّى أن لو بادلْتُها أضعافَ ما أمتلك مِن حبّ وتحنان حال حياتها. لكنَّه النَّدم، لا يفيد.. ومحطَّات الأسى لا تُمحَى.. يفقد الإنسان أباه.. أمَّه.. يفقد أبناءه.. فلا بدَّ له مِن تَعمُّقٍ في العلاقة قبل أن يفوت الأوان.
لم يتوانَ يوماً عن ضخِّ عبراته الحالمة في نهر السَّلاسة، بضوءِ ما أوتي مِن أُفُق يضجّ بغَمام التَّهطال المترامي في أرجاء هذا الكوكب اللَّا منتهي.
وعلى أوراق دفتره الأخير نقش همسات ولمسات، كان منها:
ما أجمل أن نرسم الحياة على جدران الزَّمن، ونحاكي العالم بنقاء وصفاء، ما أبلغ أن نرسم لوحات العدل والحقّ على الأرض، وبذلك تُبنَى الحقائق على أسس ثابتة، وتبقى شاهدة في عمق الخلود.



محمد بن دخيِّل

القلمُ لا القضاء



مع الشيخ محمد بن جبير والدكتور سيد طنطاوي

محمد بن عبدالله السيف: الرياض

قريباً من منتصف الخمسينات الميلادية، شهدت السعودية انبعاثاً صحافياً من خلال إصدار عدد من الصحف الأسبوعية والمجلات الشهرية، وقد نهض بها عدد من الأدباء الرواد في عدد من المدن السعودية: جدة، ومكة المكرمة، والرياض، والمنطقة الشرقية.. وغيرها. ومثّل العقد الممتد من عام 1954م إلى 1964م العصر الذهبي لما عُرف بـ(صحافة الأفراد)، قبل أن تتحول تلك الصحف والمجلات إلى مؤسسات صحافية. والباحث في تاريخ صحافة تلك الفترة وكُتابها يلفتُ انتباهه ويشده كاتبٌ من أبرز كتاب تلك الفترة، وإن كان اسمه غير معروف عند الأجيال المتأخرة، وهو الكاتب: محمد بن دخيّل، أو الأصمعي أو أبو تماضر، وقد اكتسب أهميته من خلال أمرين تبناهما في مسيرته الكتابية، وهما: أنه لم يحصر نفسه كاتباً في مجلة واحدة، بل غطّت مقالاته أغلب صحف ومجلات تلك الفترة، ثم إنه لم يتخصّص كاتباً أو ناقداً في الأدب فقط، بل تنوعت اهتماماته وأطروحاته، ما بين الأدب إلى البلدانيات إلى هموم الوطن ومواطنيه، وغير ذلك.

المولد والنشأة

ولد محمد بن عبدالرحمن بن دخيّل في بلدة (ثرمداء) من إقليم الوشم في وسط نجد، وهو سليل أُسرة عريقة ممتدة بامتداد عراقة بلدة ثرمداء وأهميتها التاريخية في فترات زمنية سابقة، وأسرته متفرعة من أسرة اليوسف، من بني تميم. وكان مولده في حدود عام 1930م/ 1349هـ، فهو ينتمي إلى الجيل السعودي الذي ولد بُعيد معركة السبلة الشهيرة، آخر معارك التوحيد والتأسيس، الجيل الذي وعى وشاهد بدايات العمل التنموي الذي نهض به المليك المؤسس بعد عقود ثلاثة من العمل البطولي لتوحيد الدولة وتأسيسها.

ما إن بلغ الخامسة من عمره حتى دفع به والده إلى كُتّاب القرية لدى المعلم حامد بن ناصر الحامد، الذي قرأ عليه القرآن الكريم وعلّمه القراءة والكتابة ومبادئ العلوم الدينية، كما قرأ واستمع لعدد من الكتب الدينية التأسيسية التي كان يقرؤها إمام جامع ثرمداء، سليمان بن عبدالله الماجد، والتي أفاد منها كثيراً في رحلته العلمية، التي ستطول كثيراً.

حينما بلغ العاشرة من عمره، فجعت والدته حصة العنقري بوفاة والده، مما ألقى بمسؤولية تربيته والاهتمام به على عاتقها، وما من حيلة آنذاك إلا التوجه إلى الرياض، مقر الحكم ومقصد الطامحين، إما بمواصلة العلم والتعلّم أو لكسب الرزق، لذلك يمّم وجهه شطر الرياض ضمن حملة سيارة يقودها عبدالله بن سعد



مع محمد متولي الشعراوي ووكيل وزارة العدل

الحجي، ليحط رحاله في رباط الإخوان بـ(دخنة) بالرياض، ضمن عدد من أبناء القرى النجدية، ممن بدؤوا بالوفود على هذا الرباط، ليحظوا بالتعلم على يد مفتي الديار وكبير علمائها الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وعلى يد أخيه عبداللطيف بن إبراهيم. وبعد أن نال من العلم الشرعي ما يؤهله لمواصلة دراسته في دار التوحيد بالطائف؛ شفع له الشيخ محمد بن إبراهيم بالالتحاق بهذه الدار/المدرسة، التي أسسها الملك عبدالعزيز لتضم أميز الطلبة وأنبههم من عدد من مدن المملكة ليتخرجوا فيها ويواصلوا مسيرتهم، إما بمزيد من العلم عبر كلية الشريعة أو بالعمل معلمين.

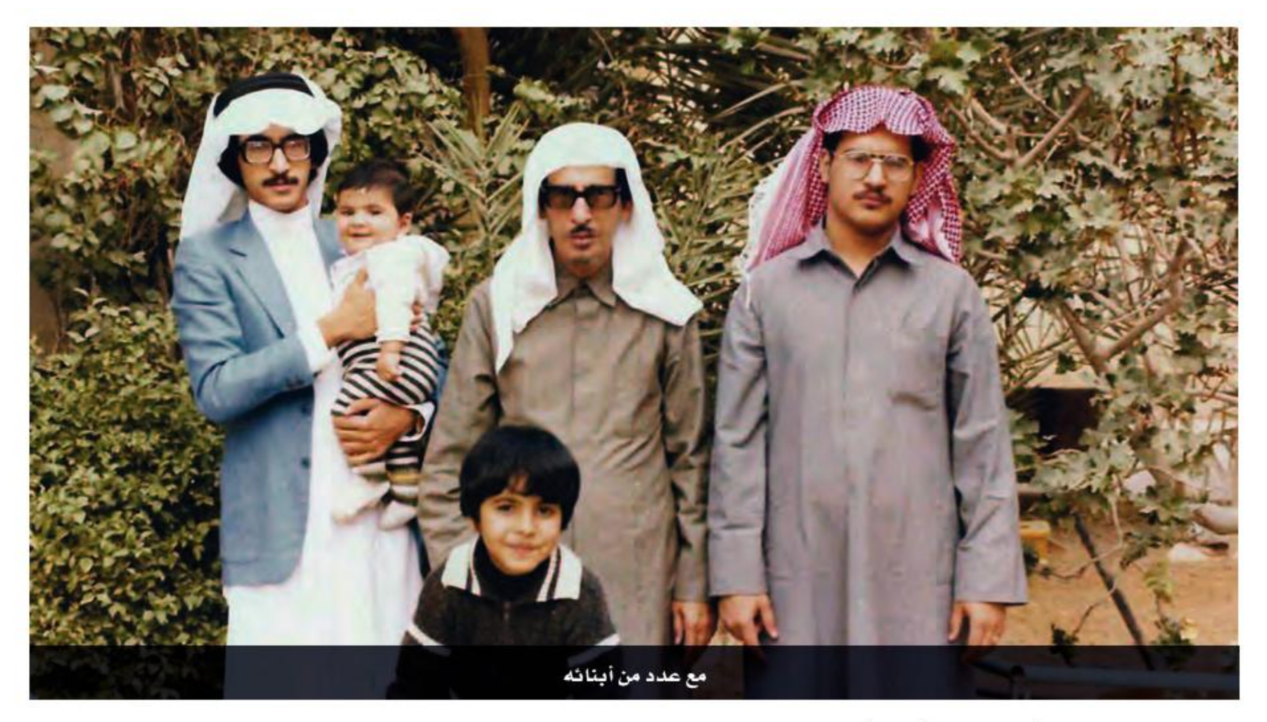
وقد أثبت محمد بن دخيّل جدارته بهذه المدرسة، وبرهن على كفاءته، وكان لعدد من المعلمين فيها بتنوع جنسياتهم واهتماماتهم دور كبير في تعليمه وصقل موهبته الأدبية والكتابية، وتحبيب القراءة الحرة له، وبعد أن حصل منها على شهادة الكفاءة عاد إلى الرياض، والتحق بالمعهد العلمي، حديث النشأة في المدينة، وأتمّ فيه سنته الأخيرة، وما إن تخرج فيه حتى فُتحت كلية الشريعة بالرياض، فالتحق فيها عام 1373هـ الموافق 1953م، مواصلاً الدراسة في العلوم الشرعية والعربية على يد عدد من العلماء المميزين في تلك الفترة، منهم: الشيخ عبدالعزيز بن باز، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ محمد عبدالرزاق حمزة، والشيخ عبدالرزاق عفيفي، والشيخ عبدالرحمن الإفريقي، والشيخ عبدالعزيز الناصر الرشيد.. وغيرهم.

في عام 1376هـ الموافق 1956م، حصل الشيخ محمد بن دخيل على شهادة البكالوريوس في كلية الشريعة، ضمن أول دفعة تتخرج فيها، وكان ترتيبه الثامن على الدفعة. وكان من دفعته عدد من زملائه ممن شغلوا مناصبَ عليا في الحكومة أو في مجال القضاء، منهم: الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، الذي تولى وزارة العدل، والشيخ راشد بن خنين، المستشار بالديوان الملكي، والشيخ عبدالملك بن عمر آل الشيخ، عضو دار الإفتاء، والدكتور عبدالعزيز العبدالمنعم الأمين العام لهيئة كبار العلماء سابقاً، والشيخ عبدالله بن غديان، عضو هيئة كبار العلماء سابقاً.. وغيرهم.

فور تخرجه من كلية الشريعة، عيّن قاضياً إلا أنه رفض مباشرة العمل في القضاء، تعففاً وورعاً، مفضلاً العمل الإداري، وراغباً في التفرغ للأدب وللكتابة، رافعاً شعار (القلمُ لا القضاء)، لذلك عُيّن مفتشاً قضائياً في رئاسة القضاء في نجد والمنطقة الشرقية والحدود الشمالية، التي كانت برئاسة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله، بأمر من سماحته. ثم تدرَّجَ في الوظائف فعملَ مساعداً لرئيس التفتيش القضائي العام برئاسة القضاة، ثم قاضيَ تمييز. والملاحظ أنه طيلة عمله الإداري في القضاء أبقاه الشيخ محمد بن إبراهيم على سلك القضاة ومرتبهم، حتى تقاعد على مرتبة (قاضي تمييز)، رغم عدم ممارسته القضاء، تقديراً من الشيخ المفتي الأكبر أولاً، ثم من وزراء العدل ثانياً، لمكانة محمد بن دخيّل، وإجلالاً لقدره.

وأثناء عمله انتدبَ للتحقيق في القضايا والتفتيش على المحاكم، وإلى جانب ذلك شغل منصبَ وكيل وزارة العدل بالنيابة، وكان عضواً في المجلس الأعلى للأوقاف مندوباً عن وزارة العدل. ولم يكتفِ بشهادة الشريعة، وهو المنهمك بالعمل الإداري القضائي؛ فذهب إلى القاهرة عام 1962م، الموافق 1382هـ، والتحق في معهد الإدارة العامة، ليحوز على شهادة الشؤون الإدارية ضمن برنامج رؤساء الأقسام.

وقد أتاح له عمله في التفتيش على المحاكم



مع عدد من أبنائه

والتحقيق في القضايا أن يزور عدداً وافراً من مدن المملكة، في شرقها وغربها، وشمالها وجنوبها، مما انعكس على مشاركاته الصحافية وتحقيقاته عن بعض المدن السعودية، مثل عالية نجد والمنطقة الشرقية.. وغيرهما.

كما أنه مثّل المملكة في عدد من المؤتمرات العالمية والندوات العربيةً والإسلامية، مشاركاً فيها ضمن وفد وزارة العدل، واشترك مع خبراء الأنظمة واللوائح في دراسة الأنظمة واللوائح التي تُعرض على وزارة العدل في الدول الإسلامية أو العربية، كما مثّل الوزارة في أكثر من مؤتمر في كلٍّ من: الولايات المتحدة الأمريكية، وباكستان، والمغرب. وقد أكسبته هذه المؤتمرات والندوات خبرةً واسعة بأنظمة القضاء ولوائحه، سواء في السعودية أم في العالمين الإسلامي والعربي.

القلمُ لا القضاء

منذ التحاقه بالوظيفة الحكومية، بدأ الكاتب محمد بن دخيّل بالكتابة الصحافية، وهي كتابة متنوعة في مضامينها، في الأدب مرةً، وفي التحقيقات الجغرافية عن بعض المدن والمواقع مرات، مثل تحقيقاته الجغرافية المميزة عن الوشم وبلدته (ثرمداء)، وعن إقليم السر وعالية نجد: الدوادمي ونفي والجمش، وتحقيقاته المطوّلة عن المنطقة الشرقية.

تجده أحياناً عارضاً ومناقشاً ومعرفاً بكتب تراثية أو كتب صدرت حديثاً، وبين هذا وذاك كان مهموماً في شؤون الوطن ومواطنيه، كاتباً اجتماعياً وناقداً لكثير من الظواهر، مقترحاً عدداً من الحلول، طارحاً كثيراً من الآراء النيرة والأفكار التي سبقت عصرها.

ومما يُحمَد للكاتب محمد بن دخيّل أنه لم يحصر مقالاته وأفكاره وآراءه في صحيفة أو مجلة واحدة، بل عمل على نشرها في أوسع نطاق، فقد كتب في صحيفة (البلاد)، وهي أول صحيفة تنشر له بطلب وتشجيع من الأديب فؤاد شاكر، و(حراء)، و(اليمامة) و(الرائد) و(القصيم)، و(الندوة).. وغيرها.

وليس بوسعي أن أستعرض كلّ ما طرحه من أفكار وآراء؛ ولكني سأتوقف عند بعض مقترحاته وأفكاره فيما يخص الجانب التنموي والإداري الذي كانت تعيشه المملكة في تلك الفترة، مما يدل على متابعته لما يطرح في الشأن التنموي والإداري في بلدان أخرى للاستفادة منها ونقله إلى بلاده. وهي مقترحات ضمّنها زاوية أسماها (مشكلات في الطريق)، تناول فيها مشكلة التسوّل والمتسولين، وحركة المرور، ومشكلة مجاري مدينة الرياض، وقدّم مقترحات في قطاعي الزراعة والنقل، والسجون والسجناء، ومقترحات أُخرى تخص قطاع النشر الصحافي والأدبي، ولم يُغفل جانب الكتاب والمكتبة، وهو المهموم بذلك، فقد طرح فكرةً لم يسبقه أحد إليها بشأن المكتبات الخاصة، وهو إنشاء مبنى يضمُّ شققاً تكون كل شقة فيها مكتبة لهذا الأديب أو ذاك، ممن رحلوا، ولتكون هذه المكتبات متاحة للجميع بما تضمه من نوادر ومخطوطات ووثائق.

لم يكتف بذلك، بل شملت آراؤه ومقترحاته القطاع الخاص، عن الشركات العاملة في التنمية والعمالة الوافدة، وطرح تساؤلات جريئة ومثيرة عن مصلحة العمل والعمال، التي هي نواة وزارة العمل والشؤون الاجتماعية.

ومن أفكاره النيّرة مطالبته بإيجاد سجل للأوقاف العامة، وذلك قبل تأسيس وزارة الحج والأوقاف، وبعد تأسيس هذه الوزارة كتب مقترحاً بتوحيد مرجعية المساجد في المملكة لتكون من مهامها. أما فكرته بإنشاء (وزارة العدل)، التي طرحها عام 1962م، الموافق 1381هـ، فهي فكرة جريئة ومتقدمة،


مع أبي الحسن بني صدر رئيس جمهورية إيران سابقاً

كيف لا تكون كذلك، والذي طرحها هو أحد المحسوبين على قطاع القضاء؟ وهو يعرف بكل تأكيد تلك الممانعة من قبل كثير من المشايخ ضد إنشاء وزارة خاصة بالعدل. وهي الوزارة التي تأسست عام 1970م، 1390هـ، أي بعد طرحه للفكرة بسنوات، وكان السلك المشايخي لا يستريح إلى مسمى وزارة العدل، لتقليديتهم، فهو اسم جديد عليهم، وكما هو معلوم فإن مسمى وزارة العدل هو مسمى جديد ومتبع في الدول التي تطبق القوانين الوضعية، فهم لا يتصورون إنفاذه في دولة تعمل بالشريعة الإسلامية.

ومثل ذلك فكرته المبكّرة جداً في تأسيس وزارة للشؤون الدينية، وهي الوزارة التي تأسست بعد أكثر من ثلاثين عاماً من اقتراحه!

وطيلة نشره لهذه الأفكار والمقالات الصحافية لم يكن كاتباً فحسب، بل كان يُمارس العمل الإداري الصحافي، ويُسهم بآرائه وأفكاره لتطوير الصحف والمجلات من خلال عمله ذاك، فقد كان عضواً في أسرة تحرير صحيفة (القصيم) الأسبوعية، التي ضمّت عدداً من مقالاته، وكان عضواً في أسرة تحرير مجلة (الجزيرة) الشهرية.

وكان من أهم هواياته القراءة والمطالعة في أمهات كتب التراث، وكان يعتني بكتب الأدب والشعر على نحو خاص، إذ كان ذواقةً للشعر العربي، يحفظُ أرقَّهُ وأعذبَه، وكان يحسنُ انتقاءَ القصائد من عيون الشعر العربي. وله طريقته المميزة في الإلقاء والإنشاد، وكان مجالسوه يعجبون من حضور بديهته فيما يستشهد به من فرائد. وكان يميل إلى شعر البحتري، وحافظ إبراهيم، وخير الدِّين الزركلي، ويحفظُ أغلبَ ديوان البحتري.

كان سمحاً مطّلعاً واسع الأفق، وقد ساعدته ثقافته ومعرفته بالآداب ومطالعته لما يُطرح من أفكار وآراء على هذه السعة في التفكير، لذلك اختلف عن السلك الديني الذي يعمل به باطلاعه على التراث الأدبي العربي وعنايته به وتحليه بالإسلام العصري والإسلام المنفتح، وبالروح العربية.

ومن شواهد ذلك أنه كان يكتب أحياناً وفي وقت مبكر باسم (أبو تماضر) وتماضر هي ابنته الكبرى، التي درست في كلية الطب بجامعة الملك سعود في أولى سنوات افتتاحها، كما أنه سمّى ابنه البكر (عزام) على الأديب عبدالوهاب عزام، وسمّى (جواد) تيمناً باسم جواد علي، صاحب كتاب «المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام». ومن كان هذا شأنه فلا شك أنه لا يصلح للقضاء، وهذا ما أدركه هو بنفسه فور تخرجه من كلية الشريعة.

وكان قد تزوّج، بعد تخرجه في كلية الشريعة، بحصة بنت عبدالرحمن البراهيم، وقد رُزق منها بعدد من الأبناء والبنات، هم:

- تماضر، وهي طبيبة متخرجة ضمن الدفعة الثانية في كلية الطب بجامعة الملك سعود، وعملت أستاذة بالكلية نفسها.
- عزام، دكتوراه في الهندسة، وعمل في القطاع الخاص والعام، وتعيّن وزيراً للتعليم، ثم مستشاراً في الديوان الملكي.
- ليلى، دكتوراه في الآداب من جامعة نورة، وتعمل في الجامعة ذاتها.
- جواد، دكتوراه في النحو، عمل أستاذاً في كلية الآداب، وهو العالم اللغوي المعروف.
- نوار، مهتمة في العمل غير الربحي.
- عبدالرحمن، يعمل في قطاع التأمين.
- عبدالله.

وفاته:

توفي إلى رحمة الله في عام 1992م، الموافق 1412هـ، تاركاً سمعة عطرة وذكرى حسنة في قلوب محبيه وعارفيه، وله مؤلفان مخطوطان:

- الأول: نظرات نقدية في أمهات كتب التراث، في نحو 500 صفحة.
- والثاني: رحلة واسعة قام بها في 1/ 3/ 1383 هـ إلى معظم بلاد نجد، ومنها الوشم، وألّف عن هذه الرحلة كتاباً في نحو 200 صفحة.



نزار أبو ناصر: الإمارات

حين لا يتفلسف الشعر تتفلسف القهوة



دعــاءُ الـكـوب يـحـتـاج الإعــادة
يُـصـلـيْ فـي تـعـرٍ وارتـبـاكٍ
لـه الأجــواء زيـفـاً لـيـس إلا
كـتـرتـيـب الـحـوادث فـي دمـاغٍ
نـهـارٌ قـد تـكـسـر فـي فـراغٍ
كـأنـهـمـا ارتـكـازٌ قـد يُـولـي
كـإبـريـقٍ يـخـاف الـركـن يـبـكـي
رشـيـقـاً كـان، مـن بـدء الـتـغـليْ
يُـمـازج بـيـن تـلـقـيـمٍ قـديـمٍ
يُـحـاكـي فـوق نـار الـوقـت أنـثـىْ
خـذي بـالـكـوب مـا الـفـنـجـان ثـنى
ويـرتـقـب الـتـفـلُّـتَ مِـن مـذاقٍ

لـيـجـتـاح الـسـكـون كـمـا الـعـبـادة
يُـهـنـدمُ دفـقـة الـمـعـنـى.. قـلادةْ
كـتـشـبـيـه الـتـردد بـالإرادة
يـؤجـل مـا تـمـنـى مـن سـعـادة
ولـيـلٌ قـد تـثـنـى لـلـبـلادةْ
لأمـر الـشُـهـد هـفـواتِ الـوسـادة
عـلـى الـرف الـمـقـابـل شـبـه عـادةْ
تـرفـع لانـسـكـابـات الـسـيـادةْ
وبـيـن حـداثـة الـطـعـمِ الـمُـرادةْ
فـداكِ الـنـوم زيـديـهـا زيـادة
بـحـجـمٍ لا يـهـادن فـي الإجـادة
يـريـقـك فـوق هـذا الـوهـم (سـادة)

اعترافات سيـــوران

رائد العيد: الرياض

تضفي الاعترافات جاذبية للكتابة تغري أغلب القراء، يميل كثير منهم لاعترافات الجسد بينما تغريني اعترافات العقل، كيف تشكّلت الأفكار؟ وماهي دوافع الآراء؟ من أكثر المواضيع التي تجذبني في الكتب.
لا أنكر امتعاضي من كتب الفيلسوف الروماني إميل سيوران، لا أحبذ الكتابة المحتقنة الغاضبة من العالم بلا مبرر، التي تقرؤها فتوجعك أذنك من شدة صراخ النص وضجيجه غير المعقول. كُتب سيوران المتداولة أغلبها من هذا النوع، (على مرتفعات اليأس)، (رسالة في التحلل)، وغيرهما، وهي نفسها ما تجذب القارئ الباحث عن اقتباسات لحساباته على وسائل التواصل، بل والأشد مرارة أن تكون هي المثال الفلسفي الجاذب لبعض الكتّاب.
أذكر ذات مساء وأنا أقف بائعاً في مكتبة جاءت كاتبةٌ تحمل مجموعة كتب تريد المحاسبة عليها، وبعد حديث سريع عن الاهتمامات والقراءات قالت: أنا أحب القراءة في الفلسفة، سألتها: مثل ماذا؟ فأجابت: كتب إميل سيوران. أعطيتها ما أرادت اقتناءه وأحجمت عن إخراج ما كنت أود قوله: كتب سيوران لا تعلمك الفلسفة.

ذهبت قبل أيام إلى المكتبة وأثناء تجولي شدّني كتاب لم أطلع عليه من قبل لسيوران، تصفحته فوجدته على هيئة مقالات، مختلفاً عن أسلوب الشذرات المتبع في أغلب كتبه، ذهبت مباشرة إلى آخر مقالة في الكتاب، والتي كانت مقدمة جديدة لطبعة جديدة لكتابه القديم (رسالة في التحلل)، بدأت القراءة واقفاً جوار الرف فأدهشتني صراحة سيوران واعترافاته، انتقلت إلى مقالة أخرى فإذا بها سيرة ذاتية متخفية خلف سيرة شخص آخر هو موضوع المقال، أخذت الكتاب وأنهيته في أيام لأكتب عنه الآن.

يكتب سيوران في كتابه (تمارين في الإعجاب) عن أربعة عشر شخصاً لهم أثر في حياته، منهم المفكر الروماني ميرسيا إلياد، والأديب الأرجنتيني بورخيس الذي يصفه بالمقيم الذي لا يملك وطناً فكريًا والمغامر الساكن، والشاعر الفرنسي الحائز على نوبل سان جون بيرس، وكذلك الشاعر الفرنسي بول فاليري الذي ينقم عليه إسهابه في شرح أعماله، والإيرلندي صامويل بيكيت، والروائي الأمريكي سكوت فيتزجيرالد المغرم سيوران بكتابه (الانهيار)، والفيلسوفة الإسبانية ماريا ثمبرانو، وعن فتاة مبهرة لم يذكر اسماً لها.

نتعرف على سيوران في ثنايا الكتاب أكثر من تعرفنا على الآخرين المراد التعبير عن الإعجاب بهم، فكثيراً ما تختبئ الذات خلف شخوص الآخرين، وكثيراً ما تكتب السيرة الذاتية بين سطور السيرة الغيرية. يعبّر سيوران عن محركات كتاباته الأولى، فيقول: «لم أكتب سطراً واحداً وأنا في حرارتي العادية. وعلى الرغم من ذلك ظللت أعتقد على امتداد سنوات طويلة أنّي الشخص الوحيد الخلوُ من الشوائب. أفادتني تلك الكبرياء حين مكنتني من تسويد الورق. لقد توقفت عمليّاً عن الإنتاج عندما أخذ هذياني يهدأ، فإذا أنا فريسة تواضع مؤذٍ، لا

يمكن إلا أن يعود بالوبال على تلك الهوجة التي تنبثق منها الحدوس والحقائق. لا أستطيع أن أنتج إلا إذا اعتبرت نفسي البداية والنهاية، وقد غادرني فجأة كل خوف من إثارة السخرية».

وأما عن كتاب (رسالة في التحلل) فيحكي سياق كتابته بأنه «كان انفجاراً. كنت أشعر وأنا أكتبه أني أتخلص من إحساس بالاضطهاد ما كنت لأصبر عليه أكثر. كان لا بد لي من أن أتنفس وأن أنفجر. كنت أشعر بالحاجة إلى مفاهمة حاسمة، لا مع الآخرين بل مع الكينونة كما هي، وقد طاب لي أن أدعوها إلى مبارزتي في معركة فردية، ربما لا لشيء إلا لنعرف من يفوز فيها، كنت شبه واثق، ولنكن صرحاء، من أن الغلبة ستكون من نصيبي وأن من المستحيل عليها أن تنتصر. حشر الكينونة في الزاوية، دفعها إلى آخر خطوط الرجعة، محقُها عن طريق تحليلات منطقية محمومة كان طموحي وهدفي وحلمي وبرنامج كل لحظة من لحظات حياتي»، ولك أن تتخيّل الموضوعية التي ستخرج من كاتب محموم بهذه الغايات!

يكمل وصف لحظات كتاباته المراهقة قائلاً: «في هيجان تلك الصفحات اليائس، حيث من العبث التام البحث عن شيء من التواضع أو التفكير الرصين المستسلم أو الرضى والهدوء أو القدرية الباسمة، أمكن لجموح شبابي وجنونه وكذلك لتلذذي بالإنكار أن تبلغ ذروتها. إن ما أغراني دائماً في الإنكار هو القدرة على الحلول محل كل شيء وكل شخص. أن تصبح نوعاً من خالق الكون وأن تتصرف في العالم كأنك ساهمت في ظهوره، وهكذا يكون من حقك بل من واجبك أن تساهم في التعجيل بخرابه».

مشاعر احتقان تشبه مشاعر كل مراهق لم يجد غايته في الوصول إلى محبوبة، أو مراهق رفضت طلباته من والده فتحول إلى وحش يخبط خبط عشواء في أرجاء الكون، أو مراهق استيقظ صباح إجازة صيفية ليجد رفاقه تخلوا عنه وسافروا فيصب جام غضبه على العالم. هل تجد فرقاً في سيوران عنهم؟

سيقول قائل إن المشاعر ليست عيباً، وإن الامتعاض من العالم ليس قدحاً في الكاتب، فلنذهب لاعتراف آخر يدلي به حول سبب تبنّيه لآرائه المتطرفة تجاه المرأة، والتي ما انفكّ يدافع عنها مراراً وتكراراً، فنجده يقول: «كنت طالباً في الثانوية مجنوناً بالفلسفة وبطالبة في الثانوية أيضاً. وكما هو الشأن غالباً لدى المراهقين، كنتُ في الوقت نفسه وقحاً وخجولاً، إلا أن خجلي كان غالباً على وقاحتي. استمر هذا العذاب طيلة ما يربو على عام حتى انفجر ذات يوم، كنتُ أُطالع كتاباً نسيت عنوانه مستنداً إلى جذع شجرة في الحديقة الكبرى بالمدينة. فجأة بلغت مسمعي ضحكات. التفتُ فخمن من رأيت؟ هي، صحبة زميل من زملائي في الفصل، كان محل احتقار الجميع وكنا نسميه القملة. بعد أكثر من خمسين سنة ما زلت أذكر جيداً الإحساس الذي انتابني ساعتها. لن أدخل في التفاصيل. المهم أني أقسمت على الفور أن أنهي كل صلة لي بـ(المشاعر). هكذا أصبحتُ من المواظبين على المواخير». ليكمل بعد ذلك تطوّر هذا الرأي وكيف بلغ به حد التطرف، والأهم من ذلك كيف حاول فلسفة رأيه المولود من رحم الشهوة.

كتب المفكر الروماني ميرسيا إلياد سلسلة من المقالات تحت عنوان (رسائل إلى ريفيّ) ينتقد فيها المثقفين وصغار الكتبة الصاعدين، وكان منهم إميل سيوران الذي نصحه بتصفية ذهاناته والإحجام عن اكتساح الدوريات بالجنائزيات التي كان يكتبها. غضب سيوران ونقم عليه وكتب ردّاً مطوّلاً ينتقد فيه إلياد ويبيّن مساوئه لينشر في الصفحة الأولى بعنوان (الرجل الذي لا قدَرَ له)، مبيّناً المظهر السلبي لكل ميزة من مزاياه.

تقبّل إلياد بفكره وعلو شأنه رأي المراهق الغاضب، وبعد عشرات السنوات، بعد أن امتدت أواصر العلاقة بينهما، يكتب إميل سيوران مقالاً في مديح إلياد ويعترف بدوافعه الخفية لذلك النقد وخطئه فيه ويقرّ بأن نقد إلياد كان في محلّه وأن كتاباته الجنائزية عن الموت كانت الوحيدة التي يتقنها سيوران فلم يرض عليها النقد حتى لا تنضب موهبته فجعل منها غاية الوجود ورسالة الكاتب الأولى.

أن تكتب، وفق ما يرى سيوران، يعني أن تتخلص من وخزات ضميرك وضغائنك. أن تتقيا أسرارك. فالكاتب مختل يستعمل تلك الأوهام التي هي الكلمات كي يعالج نفسه. وعلى سؤال: لماذا لم تتوقف عن الكتابة؟ أجاب: «لأن ما كتبتُ، وإن كان قليلاً، ساعدني على العبور سنة إلى أخرى، وجعلني أشعر بأن التعبير عن الهموم يجعلها تخف وتوشك أن تقهر. الإنتاج متنفس خارق والنشر لا يقل عنه. يصدر لك كتاب فإذا حياتك أو قطعة من حياتك خارجك وقد أفلتت من ملكيتك ولم تعد قادرة على إنهاكك. التعبير ينقص منك، يفقرك، يخفف عنك عبء ذاتك. التعبير تخفيف من الجوهر وتحرير. إنه يفرغك ومن ثم هو ينجيك، ويخلصك من حمولة زائدة تزحمك».

(تمارين في الإعجاب) اعترافات صريحة عن دوافع خفية، تحليل لبعض الكتّاب وطرائقهم في الكتابة وفي البحث والتأليف، وأجزاء متفرقة من سيرة رجل يؤمن بأن «التنافس مع الجهود التي نبذلها في سبيل إثبات ذواتنا وفي سبيل أشباهنا، وإن أمكن في سبيل التفوق عليهم، له أسباب دنيئة لا نجرؤ على البوح بها. من ثم هي قوية. على العكس من ذلك، فإن قراراتنا النبيلة الناجمة عن رغبة في عدم الظهور، تفتقر بالضرورة إلى الحيوية، لذلك نحن سرعان ما نتخلى عنها متحسّرين أو غير متحسّرين. إن كل ما به نتميز ناجم عن منبع عكر ومشبوه، هو في الحقيقة قراراتنا».



سرفيس



مرفت يس: مصر

كان يتأمل ملامحها في مرآة السيارة. وجهها الشاحب وعيونها المستغرقة في النوم لمّا يخفيا جمالها الأربعيني الظاهر.

مستغرقة في نومها، ترتعش من حين لآخر، ارتجافة جفنيها تشير إلى حلم مزعج يراودها.

أوقف السيارة، وفرد ظهره على كرسيه، ونظرة عينيه تتأملها في مرآته. وما بين فضوله ولهفته ظل يراقبها.

كان سائق z الخط الثالث ينادي بصوته الجياش:

موقف يا أستاذ

موقف يا أنسة

وقتها همست في أذنه قبل أن تصعد: بتلف كام مشوار في اليوم يا أسطى، أمام اندهاشته من سؤالها انتابته لحظات صمت قبل أن يجيبها:

- كله بالتساهيل ممكن عشرين لفة

هنا أخبرته أنها لم تنم منذ ليلتين:

- في اللفة العشرين صحيني وأجرة الكرسي مدفوعة

انتابه بعض القلق، لكن شحوب وجهها وإجهاد عينيها الحمراوين لم يجعلاه يبالي إلا بثمن الكرسي المدفوع لعشرين لفة.

كانت ليالٍ من الأرق والرعب والكوابيس تراودها قبل أن تتخذ قرارها بصفع الباب وراءها إلى طريق غير معروف.

كل ما كان يشغل تفكيرها في هذه اللحظة هو حاجتها للنوم، للنوم فقط. قبل أن يغشى عليها من الإجهاد وتعجز قدماها عن حمل جسدها الواهن.

خلاف عادي ومتكرر لا يختلف كثيراً عما اعتادت عليه طوال نصف عمرها، إهانات تتحملها بموروث جيني تسرب إليها من حليب والدتها التي أصبحت عجوزاً بذاكرة ضعيفة، تنتابها أمراض الشيخوخة، تنسى كل الأحداث والتواريخ باستثناء شيء واحد: أن توبخ ابنتها لشكايتها المستمرة، وتستنكر عليها دموعها المنهمرة التي تتلمس فيها حضن الأم ودفء حنانها.

تعلمت مع تعنت الأم العجوز الصمت، وكبت الدموع. ومع رحيلها قطعت الحبل السري الذي ربطها بها خلال تلك السنوات.

ملامح وجهها الحزينة جعلته يتناسى أمر اللفات، أوقف السرفيس، يتأملها من خلال مرآته، دمعات لمحها تترقرق على خديها، جعلته يقرر أن يدخل إلى حلمها لعله يستطيع مسح تلك الدموع.

استيقظ على أصوات تتساءل: موقف يا أسطى؟!

انتبه إلى مرآته، كانت وريقة الخمسين جنيها تملأ ناظريه فيما ابتلعها الظلام.

إجازة ابن سلطان الدمشقي لمحمد بن مفلح

عادل عبدالرحيم العوضي: الإمارات

إن فن الرواية من محاسن الإسلام، ومزايا العلماء الأعلام، وخصائص الفضلاء الذين تخفق لهم ذوائب الطروس، وتنتصب رماح الأقلام، ولم تزل رغبة السلف تتوافر عليه، وتشير أنامل إرشادهم للأنام بالحث عليه، قيل للإمام أحمد -رضي الله عنه- ما تشتهي؟ فقال: (سند عال، وبيت خال)، وما برح الأئمة الكبار يرتحلون إلى أقاصي الأقاليم في طلبه، ويتحملون المشاق والمتاعب فيه، ويتجملون بسببه.

يقول المنجد في بحثه إجازات السماع في المخطوطات القديمة: (من المؤسف أن الكثرة من المشتغلين بالمخطوطات لم ينتبهوا إلى قيمة هذه السماعات، فهم يهملونها عند نشرهم الكتب إذا كانت مثبتة فيها، أو قد ينوهون بها ولا يثبتون نصها كاملاً، على أنها ذات شأن علمي كبير مختلف الوجوه عديد النواحي).

ومن منطلق أهمية هذه الإجازات المتناثرة رأيت نشر ما أقف عليه من إجازات علمية، لعلها أن تفتح للباحثين آفاقاً جديدة للباحثين حول الأعلام المذكورين، أو حول الإجازات نفسها.

والإجازة التي بصدد نشرها هي في أصلها قراءة لأحد علماء آل مفلح الحنابلة على عالم وقته ابن سلطان الدمشقي، حيث قرأ عليه كتاب للإمام الخرقي، ومنظومة حرز الأماني ووجه التهاني للإمام الشاطبي، وهي تقع ضمن مجموع برقم (3747) في مكتبة لا له لي، الأوراق 174 ب - 175 ب.

والظاهر أن القراءة كانت على المجيز وقت أن أصيب بالعمى لأنه ذكر في ترجمته بأنه اتخذ خاتماً منقوشاً يختم به على الفتوى، والخاتم موجود في آخر الإجازة، ويؤيد ذلك ما جاء في آخر الإجازة أنها من إملاء المجيز على الكاتب.

والمجاز عرض هذه الكتب وهو في عمر صغير، فالعرض كان في سنة (941هـ) ووقتها عمره (11 سنة)، وهو مناسب لإيراد المُجيز قوله تعالى: (وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) (سورة مريم: الآية12) وقوله هو: (فقد عرض علي الولد النجيب).

والله المسؤول أن يوفقنا لصواب القول والعمل، وأن يرزقنا اجتناب الزيغ والزلل، إنه قريب مجيب لمن سأله، ولا يخيب من إياه رجا، وعليه توكل.

ترجمة المجيز

ابن سلطان الدمشقي (870 - 950هـ)

الشيخ الإمام العلامة، المحقق المدقق الفهامة، شيخ الإسلام، مفتي الأنام، ببلاد الشام، محمد بن محمد بن عمر بن سلطان أبو عبدالله قطب الدين، ابن القاضي كمال الدين، المعروف بابن سلطان الدمشقي، الصالحي الحنفي، أخذ عن قاضي القضاة، عبدالبر بن الشحنة، وغيره، وله مؤلف في الفقه، ورسالة في تحريم الأفيون، وغير ذلك، كان من أهل العلم الكبار، جليل المقدار، مهيباً عظيماً، نافذ الكلمة، عند الدولة يردون الأمر إليه في الفتوى، ماسك زمام الفقهاء في التجمل بأحسن الثياب، يعرف مقام الشافعية وما هو لهم من القدم على غيرهم، ويرفع مقامهم، كان بيده تدريس القصاعية المختصة بالحنفية، وتدريس الظاهرية، التي هي سكنه، والنظر عليها، وكان له تدريس في الجامع الأموي، وغير ذلك من المناصب العلية، وولي القضاء بمصر زمن الغوري نيابة عن شيخه ابن الشحنة، وكف بصره من بعد مع بقاء جمال عينيه، بحيث يظن أنهما بصيرتان، وكان حسن الوجه، والذات، وكان يملي من الكتب الجواب على الأسئلة التي ترفع إليه، واتخذ خاتماً منقوشاً يختم به على الفتوى، خوفاً من التلبيس عليه، ومن جملة أشياخه الشيخ برهان الدين الناجي، أخذ عنه الحديث، وامتنع آخراً من الكتابة على الفتيا، توفي ليلة الثلاثاء سبع عشري ذي القعدة الحرام سنة خمسين وتسعمئة، وصلي عليه في الجامع الأموي، ودفن داخل تربة القلندرية، وكان يتعبد بمذهب الشافعية رحمه الله تعالى.

(*) مصدر الترجمة: الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة 2/ 13-14

ترجمة المجاز

محمد بن مفلح (930-1011هـ)

محمد بن إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن محمد الأكمل بن عبدالله بن محمد بن مفلح القاضي أكمل الدين بن برهان الدين بن قاضي القضاة نجم الدين بن مفلح الراميني، المقدسي الأصل، الدمشقي، المحدث الرحلة المؤرخ أخذ عن مشايخ عصره واستجاز له أبوه من شيخ الإسلام السيد كمال الدين محمد بن حمزة مفتي دار العدل، وولي قضاء بعلبك وصيدا ثم استقر بدمشق وكان أكثر مقامه بقصره الشامخ بصالحية دمشق قبالة دار الحديث الأشرفية المعروف الآن بقصر بني كريم الدين، وبقاعته قرب المدرسة المقدمية باطن دمشق وكان له يد طولى في علم التاريخ وكتب تاريخاً ترجم فيه معاصريه، وكان يكتب الخط الحسن المنسوب، وكان كثير الفوائد ورأيت بخطه مجاميع كثيرة.

وكانت ولادته في يوم الجمعة ثاني عشر جمادى الآخرة سنة ثلاثين وتسعمئة، وتوفي نهار الأربعاء وقت الضحوة الكبرى سابع عشر ذي الحجة سنة إحدى عشرة بعد الألف ودفن بمقبرة سفح قاسيون.

(*) مصدر الترجمة: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر 3/ 314-316.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنعم على الأكمل بطلب العلم ودراسته، ووفقه لحفظ الكتب بعونه وعنايته، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى الذي اختاره الله نبيًا، وأنزل عليه في محكم الكتاب (وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا)(سورة مريم: الآية12)، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأهل بيته وأحبابه وسلم تسليماً، وزاده شرفاً وتعظيماً.

وبعد، فقد عرض علي الولد النجيب، الفطن اللبيب، الذكي الأريب، الأوحد الأفضل، الأمجد الأكمل، نجل سيدنا العالم العلامة، القدوة العمدة الفهامة، برهان الدين صدر المدرسين، قدوة الطالبين، سلالة العلماء العاملين، أبي إسحاق إبراهيم بن المرحوم مولانا شيخ الإسلام، ملك العلماء الأعلام، قاضي القضاة نجم الدين بن مفلح المقدسي الحنبلي، أقر الله تعالى به عين والده، وتغمد جده برحمته، وأسكنه فسيح جنته، وأنشأه نشوءً صالحاً ورزقه مرتبة جده، وجعله في العلم كجد والده وجد جده، الكتاب الموسوم بالخرقي، المنسوب للشيخ الإمام الصالح أبي القاسم الخرقي، تغمده الله تعالى بالرحمة والرضوان، على مذهب الإمام العظيم الشان، المكرم المبجل، أحمد بن حنبل طيب الله ثراه، وجعل الفردوس مأواه، والكتاب الموسوم بحرز الأماني ووجه التهاني المنسوب للإمام العلامة المنفرد في نظم هذا الشان، الذي كان أنحا أهل الزمان، أبي القاسم الشاطبي تغمده الله تعالى بالرحمة والرضوان، جرى في قراءته وحفظه جري الجواد المضمر، وظهر بذلك سر أجداده وبرهان والده أظهر، ودلت قراءته على فرط حفظه وذكائه، ورغبته في الاشتغال واعتنائه.

وحيث أتقن حفظ هذين الكتابين فهو متقن ومصلح، ولقد أصاب في بدايته بحفظهما فهو لعمري مفلح وابن مفلح.

وكان العرض المبارك في تاسع شوال الذي بلغ فيه النهاية، سنة إحدى وأربعين وتسعمئة.

قال ذلك عجلاً وأملاه على الكاتب خجلاً، فقير عفو الله المنان محمد بن محمد بن سلطان الدمشقي الحنفي، عامله الله بلطفه الخفي.

والحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على من لا نبي قبله ولا رسول بعده.



بدوي يفرش استعاراته على الفيسبوك

محمد العزوزي: المغرب

عكاظ الذي كان يمتلئ كثيراً
لم يعد سوقاً كما كان
لأن زهير بن أبي سلمى أدركته المنية
ولم يدرك تلك الحكمة
التي كان ينشدها
وطرفة بن العبد
وثق كثيراً بالحيرة
ومات محتاراً في الطريق إلى الحيرة
فحارت استعاراته على أي الطرق
تسلك إلى القصيدة
***
عكاظ الذي كان يمتلئ كثيراً
لم يعد سوقاً كما كان
فارغ على عروشه
لأن الصعاليك
الذين كانوا فيه
يملؤون الليل
بالقصائد
خرجوا في غارة شعرية على اللغة
ولم يعودوا
منذ زمن الجاهلية
وبقيت المعلقات عالقة
ولم تجد شاعراً تنسب إليه
***
عكاظ الذي كان يمتلئ كثيراً
لم يعد سوقاً كما كان
لأن البدو الذين كانوا
يضربون فيه بأوتاد أخيلتهم
واستعاراتهم
لتحلق في سمائه معلقة
باذخة الشعرية
فتزهر فيه أزهار اللغة
لم يأتوا في الموعد
لأن بدوياً مزيفاً
يفترش استعاراته في الفيسبوك
احتال عليهم
فتاهوا في النت
بعد أن حاصرت
اللايكات والتعليقات
طرقات عودتهم
ولم يعودوا
ليتبينوا
الطريق
إلى القصائد
وعكاظ
والقبيلة
فلم تجد القصيدة
غرضاً شعرياً مقنعاً
تتقدم به إلى عكاظ



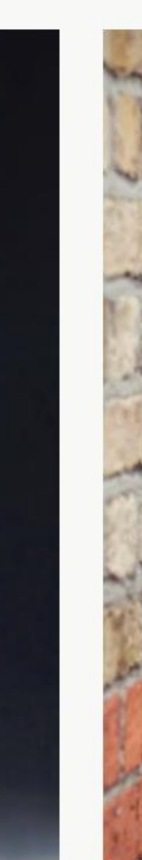
هانا لوي الحائزة على جائزة كوستا للكتاب عام 2021.

ضربة قاصمة لعالم النشر

إسدال الستار على جوائز كوستا للكتاب بعد 50 عاماً

طارق راشد: مصر

أعلن منظمو جوائز كوستا للكتاب عن توقف الجوائز بعد 50 عاماً من العطاء. وعدّ الناشرون نهاية جوائز كوستا للكتاب بمنزلة (ضربة قاصمة) لصناعة النشر، إذ أعلنوا عن ردود أفعالهم تجاه الخبر على شبكة الإنترنت مؤخراً.





فقالت جيل ماكدونالد الرئيسة التنفيذية لمقاهي كوستا إن الشركة اتخذت (القرار الصعب) بإسدال الستار نهائياً على الجوائز بعد 50 عاماً من العطاء، ما يعني أن احتفالية عام 2021 التي أُقيمت في فبراير 2022 كانت الدورة الأخيرة للجائزة. ولا توجد حالياً أي خطط لاضطلاع أي جهة جديدة بالجوائز. وجاء الإعلان المفاجئ عبر وسائل التواصل الاجتماعي في 10 يونيو، دون إبداء أي أسباب لاتخاذ هذا القرار.

تأسست جوائز كوستا للكتاب عام 1971، وعُرفت بجوائز ويتبريد للكتاب حتى عام 2005. ومُنحت تلك الجوائز تقديراً للتأليف في خمسة فروع: أول رواية، الرواية، السيرة الذاتية، الشعر، وكتب الأطفال. ويحصل 4 من الفائزين على 5000 جنيه إسترليني، في حين يحصل فائز واحد فقط على 30 ألف جنيه إسترليني، ويفوز بالجائزة الكبرى للعام. وفاز بهذه الجائزة مؤلفون بارزون، على رأسهم مونيك روفي، وحصدتها مؤخراً هانا لوي.

وفي بيان على لسان ماكدونالد قالت: (إننا فخورون جداً بأن أدينا دوراً في دعم بعض أفضل المؤلفين وأكثرهم مبيعاً طيلة الخمسين عاماً الماضية، وكلنا اعتزاز أنْ دعمنا أيضاً العديد من الأصوات الجديدة على الساحة الذين تعاطوا مع مجموعة كبيرة من الأفكار والموضوعات في ميادين الخيال والشعر والسيرة الذاتية. وإنه لفخر لنا أن مددنا يد العون إلى أصحاب المواهب الجدد والمُخضرمين على حد سواء ليصلوا إلى قطاع أكبر من القراء).

وأضافت ماكدونالد قائلةً: (إننا نود أن نتقدم بخالص الشكر والتقدير لأولئك الذين شاركوا في إخراج جوائز كوستا للكتاب للنور وقدَّموا لها الدعم على مدار 50 عاماً إذ نطوي معاً هذه الصفحة).

واستقبل الناشرون ووكلاؤهم الخبر بالحزن والأسى، إذ قالت جوليت مابي مُؤسِّسَة شركة (وان وورلد): (أدت جوائز كوستا للكتاب دوراً كبيراً للغاية في منظومتنا الأدبية كلها على مرّ السنين، وسيشعر المؤلفون والناشرون أمثالي بخسارة فادحة إثر توقفها. في شركة وان وورلد، لدينا العديد من المؤلفين الذين يقطنون المملكة المتحدة ممن تأهلوا لنيل الجائزة المقبلة، ولذلك فإنني أشاطرهم شعورهم بخيبة الأمل. وأعتقد أن المناخ المالي العصيب في المملكة المتحدة من الأرجح كان له دور في القرار الذي اتخذته شركة كوستا، غير أنها ضربة قاصمة على أي حال، فلم نكن بحاجة إلى دعم مجموعة من الجوائز كهذه كما نحن بحاجة لها الآن).

وقال د. إيان تشابمان الذي يعمل في دار نشر سايمون وشوستر الإنجليزية إنه (حزن حزناً شديداً عند سماعه الخبر).

وأضاف قائلاً: (لقد أدت جوائز كوستا للكتاب دوراً مهولاً في عالم النشر على مدار الخمسين عاماً الماضية، إذ حملت شعلة دعم المؤلفين الأكثر مبيعاً والمؤلفين الناشرين، وكان من دواعي سروري أن أرى القائمة القصيرة للفائزين، وآمل أن نكون قادرين على أن نجد جائزة نسد بها الفجوة، ونواصل انتشارنا إلى قطاع أوسع من القراء).

ووصفت كلير ألكساندر من مؤسسة آيتكن ألكساندر أسوشيتس الخبر بـ(الضربة المدوية) إذ قالت: (رغم أن هناك جوانب من الجائزة ربما أثارت شكوكي وتساؤلاتي، فقد كانت بحق احتفاء محل ترحاب خصيصاً بالأعمال الخيالية والشعرية والسيرة الذاتية. وأسأل نفسي تُرى هل سيظهر فارس على جواد أبيض ينقذ بعضاً من تلك الجوائز أو كلها التي كانت جزءاً بالغ الأهمية من مشهد النشر لمدة نصف قرن).



كتب برائحة السمك

حسين السنونة: الدمام

لا أعلم سر عدم محبتي لبعض المواد الدراسية مثل العلوم، الرسم، الجغرافيا، الرياضيات.

معلم مادة العربي هو أفضل معلم بالنسبة لي، فأنا أحب الثرثرة وهو ما كان يفعله مدرس العربي، خصوصاً عندما يخرج عن جو الدرس والمدرسة، يتحدث في السياسة، والوضع العربي، وشخصيات عربية كان لها دور في زعزعة الاستعمار العالمي، ودول غربية هي أساس بلاء العالم.

كنت من الطلاب المتوسطين دراسياً ما (بين بين) كما يقولون، وكان الكثير من الطلاب يسخرون مني، لعدم مقدرتي على الإجابة على الأسئلة الموجهة مباشرة من المدرس وكثير مما يحدث في مادة العلوم، الجغرافيا، الرياضيات، الإنجليزي.

- حسين: قم، وحل المسألة على السبورة.

أقوم بتكاسل وأقف أمام سبورة الصف دون حراك، حتى يعجز المدرس معي.. إمَّا يصرخ في وجهي غير البشوش، أو يرمي علي الطبشور فيحول بقعة صغيرة للون الأبيض وسط غابة من الشعر الأسود.

الوحيد الذي كان يقدرني، وأشعر معه بالفرح هو معلم اللغة العربية، فهو دائماً يكرر أمام الطلاب: أن حسين الجميل، أجمل ما فيه الأمل.

يضحك الطلاب لاعتقادهم أنه يسخر مِنِّي، ولكن المعلم يثبت لهم العكس، ويطلب منا كتابة موضوع في درس التعبير والكتابة الحرة، أو حفظ قصيدة للشعراء الكبار، وأكون أول المبادرين، وهنا يقول لهم المعلم:

ألم أقل لكم إن (حسين) أجمل ما فيه الأمل؟!

في إحدى المرات طلبني المعلم بعد أن اطَّلَعَ إلى ما كتبته في مادة التعبير على طاولته، وقال لي: هل تطلع على كتب في بيتك؟

- نعم أستاذي.

- من أين لك الكتب؟!

- أجد بعضها في بقايا القمامة، وبعضها أشتريه من مصروفي اليومي، هناك من مكتبة في القطيف أو صفوى البعيدة عن قريتنا (ساعتان مشي)، أو أركب (تاكسي).

- هل تحب القراءة؟

نعم - أستاذي - جداً، وقد صنع لي أبي مكتبة صغيرة أجمع فيها الكتب والمجلات والجرائد، وأيضاً هناك شيخ في جزيرة عشتار يمتلك مكتبة كبيرة وفيها كتب كثيرة إلا أنه لا يُعير الكتب، ولكن يسمح لك بالقراءة داخل المكتبة.

كان الطلاب يستغربون ويتمنون معرفة ما دار بيني وبين الأستاذ، وما أن يخرج أو أثناء الفسحة، أو وقت الخروج من المدرسة يسألونني: ماذا قال لك؟ وماذا قلت له؟ هل سيعطيك علامات أكثر منا؟ هل سيعطيك أسئلة الامتحان؟

ولكني أكون دائماً في حالة صمت، وأبتسم ابتسامة خفيفة، تزيدهم إصراراً على معرفة ما دار بيني وبين الأستاذ.

في السنة الجديدة، تفاجأت أن المعلم قدم لي خمسة كتب لنجيب محفوظ وطه حسين ويوسف إدريس وإحسان عبدالقدوس ومحمد عبدالحليم عبدالله، وكتاب عن كيفية كتابة المقال.

لم أتمالك نفسي، رقصتُ من الفرح، وقبلت رأس المعلم.

في نهاية الأسبوع أحضرت له خمسة أنواع من السمك التاروتي، الكنعد، الصافي، الشعري، شحدود، حقول، أعطيته له وهو خارج من المدرسة بعد أن طلبت من أخي الأصغر أن يحضرها في وقت انتهاء اليوم الدراسي، وبعيداً عن أعين من في المدرسة.

أخي كان يدرس عصراً، وأنا صباحاً.. ضحك المعلم ولكن مع إصراري أخذها.

تطورت العلاقة، وكان يرد لي الهدية بكتب في نفس كيس السمك، فكانت الكتب تحمل رائحة السمك.

كان المعلم بالنسبة لي كنزاً، يتحدث في كل شيء: الثقافة والأدب.. ويعرف أسماء كبار الأدباء والشعراء والمثقفين في مصر وسوريا والعراق ولبنان والسودان، يمتلك معلومات كثيرة، وكان يقول لي كل شيء يعرفه.

سمعت أسماءً لشعراء وأدباء ومثقفين، ورجال سياسة وحرب، ولرؤساء في الغرب والشرق، وعندما يطول الحديث وبخاصة الحديث في السياسة كان الأستاذ يشتم ويسب رؤساء غربيين وحتى عرباً.

انتهى عقد الأستاذ وطلب مني زيارته في شقته، وبالفعل ذهبت له بصحبة أخي الصغير، وكنت أحمل له كيساً كبير يمتلئ بالسمك التاروتي. وبعد أن أفرغ السمك داخل المطبخ، وضع لي كثيراً من كتبه التي جلبها معه من مصر في نفس كيس السمك.

وكلما فتحت كتاباً تشممت رائحة السمك، وتذكرت الأستاذ، وابتسمت.



سعد الحميدين

ذكريات لا مذكرات(21)

في الخطة التي آليت فيها على نفسي مع الزملاء أن يكون الملحق الثقافي بـ(جريدة الرياض) متميزاً بالكاتبين المتمرسين من السعوديين والعرب، وكان لنا في البدايات بعض المناوشات التي تحدثها بعض التعليقات التي تحمل الغمز واللمز من أقلام لم تكن تجيد سوى هذه الطريقة التي هي في حسبان بعضهم تندرج ضمن مفهوم النقد الأدبي، ثم لم نعد نهتم بها ولا بممثليها، فقد كان العمل الجاد المتجدد هو الرد عليهم، إذ تصدى لهم وحيّدهم، فغاب أكثرهم عن الساحة الثقافية بعد محاولات لم تمكنهم من الاستمرار لكونهم غير مهيئين لما يرون أنهم قادرون على التطاول على عمل يثبت لهم مكاناً في ساحة الإبداع (الكيس الفارغ لا ينتصب واقفاً). ولم تمض عدة شهور حتى صار ملحق (ثقافة الخميس) محط أنظار القارئين لما ينشر فيه من ثقافة جادة معاصرة وطموحة، شدت المهتمين من الشيوخ والشباب من الجنسين. وقد ذكرت في خطوات سابقة أسماء الكثيرين ممن رفعوا من قيمة هذه الصفحات بمشاركتهم الثقافية، ممن لهم مكانتهم الرفيعة في مجال الثقافة من السعوديين والعرب، مثل: عبدالله الغذامي، سعد البازعي، سعيد السريحي، عابد خزندار، أحمد الضبيب، عزيز ضياء.. وغيرهم، ومن العرب: حسن ظاظا، بدر الديب، حنا مينه، عيسى مخلوف، شكري عياد، محمد زفزاف، عبدالمالك مرتاض.. وغيرهم). ولا أستطيع أن أذكر جميع الأسماء من النقاد والكتاب والشعراء والقصاصين من المساهمين الذي شاركوا في نجاح الملحق الذي صار نموذجاً تخطت المشاركات فيه وتوزيعه إلى خارج الوطن، وكان يعطي صورة تجذب المبدعين إلى المساهمة والمشاركة فيه، وتزويده وإمداده بالمواد الراقية التي كانت نواة وعنوناً لـ(كتاب الرياض) الذي صار يصدر شهرياً بأقلام لها حضورها في الكتب العربية التي تصدر عن بعض المجلات مثل كتب: الهلال- العربي- دبي- الرافد.. وسواها من المنشورات التي تصاحب بعض المجلات.

واستمر الملحق في الصدور عدة سنوات، بواسطة المحررين من الشباب ذوي المواهب، وقد كان فيهم من أصدر الشعر في ديوان، أو مجموعات قصصية، ومن شارك في مسابقات كمحكم بعد سنوات، وكانوا يعملون بحب وهواية لعملهم مع قدراتهم الإبداعية: الشعر: حزام العتيبي، القصة: أحمد زين، التحرير النقدي: نايف رشدان الذي واصل دراسته العليا حتى نال الدكتوراه، وبجانب النقاد العرب شارك محكماً في شاعر (أمير الشعراء)، وإبراهيم إغلان في مراجعة الكتب وعرضها بشكل جيد.

استمر الملحق في توهجه عدة سنوات، ومع نهاية عملي مشرفاً ومدير تحرير للشؤون الثقافية في (جريدة الرياض)؛ تولى إدارته عماد العباد، ثم تولاه بعده عبدالله الحسني باقتدار، وهو يعمل جهده في مواصلة العمل الناجح حسب الإمكانات المتوافرة التي تُمكّن من عمل يليق بالمرحلة التي تشابكت فيها وسائل الثقافة والتواصل.

بعد التقاعد لم أتوقف عن الكتابة شعراً

خطوات قلم


عبد المالك مرتاض


غادة السمان



نميمة على الذات



رسوم على الحائط

ونثراً، وتمسكت بزاويتي (لمحات)، وأمضيت سنوات، ولكن تعرضت لحالة مرضية في وقت وباء الكورونا، وما تطلبته الجائحة من حرص ومراجعات، وبناء على نصيحة من الأطباء بعدم التعرض للتعب والإجهاد حتى في القراءة والكتابة؛ أصبحت أشارك بما يتماشى مع المناسبات الوطنية، ولا زالت العلاقة بيني وبين (الرياض) والمحبة تربطني بها وبخدمتها عندما يتطلب الأمر ذلك، فهي بيتي الذي خطوت في ساحته، وسيظل إلى ما تبقى لي من العمر، مع الدعاء بحسن الختام.

وبهذه المناسبة يجب أن أقدم شكري للمسؤول عن (المجلة العربية) ورئيس تحريرها الأستاذ محمد السيف الذي حفزني بفسحه المجال لأسجل ذكريات بعض العمر الذي صاحبت فيه الصحافة وصاحبتني منذ المحاولة في ممارسة هواية الكتابة في الجرائد في صحافة الأفراد، والانغماس في (حرفة الأدب) التي أمضيت فيها ولا أزال أعواماً كانت مقنعة لي وللمحبين من أصحاب الحرفة من القارئين والكاتبين والكاتبات، سواء في الداخل أو الخارج، خلالها أنتجت الكثير من المقالات والتحقيقات الأدبية والفنية، ولكن التركيز كان ولايزال على الشعر الذي يُمكّن من جمعه بسهولة وقت الحاجة، في ديوان أو مجموعة تمثل كتاباً، وعلى هذا كانت الطريقة التي كونت لدي الإصرار الدافع للتنفيذ، فواصلت هذه الرغبة إلى أحد عشر كتاباً بين ديوان ومجموعة، بدأت بديوان (رسوم على الحائط) عام 1976م الذي قال عنه الناقد السعودي الكبير د.عبدالله الغذامي: (في شهر مثل هذا يبرز انتماء من نوع مختلف، فهو ليس انتماء إلى الذات الفخورة بذاتها، وليس انتماء إلى العشيرة المدلة بعرقيتها؛ ولكنه انتماء للثقافة وإلى الإنسان). وهو أول ديوان من الشعر الحديث يطبع في داخل السعودية، ثم أعقبته: خيمة أنت والخيوط أنا/ ضحاها الذي/ وتنتحر النقوش أحياناً/ أيورق النّدم؟/ وللرماد نهاراته/ غيوم يابسة/ وعلى الماء بصمة/ سين بلا جواب/ عزفٌ على الحروف. بعضها طبع أكثر من مرة. كما ترجم إلى الإنجليزية: خيمة أنت والخيوط أنا. وآخر ماورد إلى أرفف المكتبات (نميمة على الذات)عام 2022، وهو يأخذ طريقه في مساحة الساحة الثقافية العربية، ووجد له بعض صدى طيب، ومن المقولات التي يقدمها المبدعون من صلب أفكارهم قالت الأديبة العربية الكبيرة الشهيرة غادة السمان بعد أن اطلعت على المخطوط قبل طبعه في كلمة مكثفة بعثتها إلي عبر دارها التي تحمل اسمها؛ قالت فيها: (عنوان نميمة على الذات، للشاعر السعودي سعد الحميدين؛ وشاية بإبداعه الشعري. وترى وأنت تقرأ قصائده أصابعه تشع ضوءاً بألوان قوس قزح. وسعد الحميدين شاعر لا يشبه أحداً ولا يقلد أحداً، إبداعه نسيج وحده، ولا يمكن تقليده، إنه شاعر تسعد اللغة العربية بأمثاله، وهم نادرون جداً).

لا أريد أن أنقل الكثير مما كتب حول الدواوين الأحد عشر التي طبعت لي، بدأت من ريعان الشباب حتى هذا العمر الذي أنضم فيه لكبار السن، وهي كثيرة ومترامية بين صفحات كتب النقد والدراسات الشعرية والموسوعات العربية، والدراسات التي ستظهر يوماً ما، فقد اتصل من المهتمين من يريد أن يقدم دراسة نقدية أو دراسة أكاديمية، وكان الدكتور عبدالله أبو هيف قد أصدر، قبل أعوام كتاب (الحداثة في الشعر الخليجي.. الحميدين نموذجاً)، والدكتور عبدالمالك مرتاض أنجز ونشر كتاباً بعنوان (رحلة نحو المستحيل.. تحليل سيميائي) لقصيدة (رحلة المراحل) لسعد الحميدين، ومما ورد فيه: (وعقدنا فصلاً تمهيدياً بعد الفصل النظري، عرضنا فيه الخصائص الفنية لشعر الحميدين)، وهناك دراستان ما بين عامي 1915 و2019 في جامعتين إحداهما في الجزائر وهي -أي الدراسة- شاملة، والثانية في السودان بعنوان (الظار) في السودان والخليج، تضمنت الدراسة التقاطعات بين قصيدة الحميدين (جوقة الزار)، وقصيدة الشاعر الهادي آدم (الظار).



Gigi and Nate


إخراج:
نيك هـــام


تـأليف:
ديفيد هودجنز


العــرض:
سبتمبر 2022


بطولة:
تشارلي رو


التصنيف:
سيرة ذاتية

ملخص الفيلم:

تنقلب حياة (نيت) رأساً على عقب بعد إصابته بمرض شبه قاتل وشلل رباعي. أثناء عيشه لحياته المليئة بالحزن يلتقي بالقرد (جيجي) الذي يساعده في احتياجاته ويحسّن من نظرته للناس وللأمور الأكثر أهمية.

Don't Worry Darling



إخراج:
أوليفيا وايلد


تأليف:
كاتي سيلبرمان



العــرض:
سبتمبر 2022


بطولة:
هاري ستايلز
فلورنس بيو


التصنيف:
غموض

ملخص الفيلم:

يعيش (أليس) و(جاك) حياتهما الزوجية بسعادة في مدينة فيكتوري التجريبية، ولكن تبدأ العلاقة بالتغير عندما تظهر بعض التخيلات والشخصيات الغريبة غير المألوفة في حياتهم، ويدبّ الخوف والارتباك في حياة الزوجة.



التوقيع السابع

أنا أحب المطر، إنه يغسل الذكريات التي تمر بجانب حياتنا.

Play It Again, Sam 1972

الحب شيء غريب، أشعر وكأنني مدمن. كيف يمكن لشيء بهذه الروعة أن يتسبب بهذا القدر من الألم؟

Love 2015

إعداد: عبدالملك الشايع | الرياض

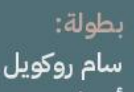


See How They Run


إخراج:
توم جورج


تأليف:
مارك تشابيل

العـــرض:
سبتمبر 2022


بطولة:
سام روكويل
أدريان برودي

التصنيف:
جريمة


ملخص الفيلم:

يحاول أحد المنتجين تحويل مسرحية إلى فيلم، ولكن تتوقف المحاولة بعد أن تعرّض أحد أعضاء العمل للقتل على المسرح، تتم الاستعانة بالمحقق (ستوبارد) مع مساعدته (ستاكر) لحل القضية، ولكن يظهر لهما أن الأمر أكثر تعقيداً.

Burial


إخراج:
بن باركر



تأليف:
بن باركر

العـــرض:
سبتمبر 2022




بطولة:
توم فيلتون
شارلوت فيجا

التصنيف:
إثـارة

ملخص الفيلم:

بعد الحرب العالمية الثانية تقرر مجموعة صغيرة من الجنود الروس القيام بنقل بقايا هتلر المحفوظة وتسليمها إلى ستالين في روسيا، ولكن الطريق إلى روسيا مليء بالمتاعب وبقايا الجنود الألمان.



أعتقد أن الشعور بالوحدة قد يقتل أشخاصاً أكثر مما يفعل السرطان.

A Simple Favor 2018

من دون الألم كيف لك أن تميز الفرح؟

The Mule 2018





فيلم (علي وآفا).. شرارة حب في مهب الريح

هاني حجاج: مصر

قبل لقاء علي (عادل أخطر) وآفا (كلير راشبروك) لم تكن حياة كل منهما ناعمة طريفة. على الرغم من انفصال علي عن زوجته (إيلورا تروكيا) قبل عدة أشهر، كان الاثنان مازالا يعيشان معاً في نفس المنزل (مثل أي رفقاء سكن)، بينما تنهي الدراسة للحصول على درجة علمية. تمثيلية زواج يحافظان عليها أمام عائلته الكبيرة، آخر ما يريدانه هو إثارة غضب أي شخص أو خيبة أمله. أما آفا فهي مساعدة مدرس، وأم لأربعة أطفال وجدة لخمسة أطفال، هكذا يندر أن تحصل على لحظة صفاء مع نفسها. لا تزال تتعامل مع التداعيات العاطفية لعلاقتها الأخيرة، مع رجل أساء إليها بلا هوادة. على الرغم من أنه مات الآن، إلا أنه ترك إرثاً غير مريح مع ابنهما كالوم (شون توماس)، الذي يبدو أنه يتمتع بنصف حلاوة آفا ونصف قسوة والده. إنه غير سعيد بتواصلها مع رجل جديد، ولا يخشى التعبير عن هذا الاستياء -في مرحلة ما- بغضب هادر.

عصفت الحياة اليومية بكليهما، فلا يبحث أي منهما بنشاط عن شريك. ومع ذلك، فمنذ لحظة لقائهما، حيث عرض علي على آفا وسيلة نقل إلى المنزل من المدرسة في يوم ممطر وفقاً لأخلاقه المهذبة، كانت هناك شرارة لا يمكن إنكارها. يتابع فيلم (علي وآفا) كلاً منهما أثناء استكشافهما ما إذا كانت هذه الشرارة قوية بما يكفي لمواجهة الرياح السائدة لبقية حياتهما.

الميزة الثالثة للكاتبة والمخرجة كليو بارنارد مليئة بالمواد الثقيلة. بالإضافة إلى القضايا التي سبق ذكرها، فإن العنصرية والأمراض العقلية وشبح الأحلام الضائعة جميعها تلعب أدوارها هنا. لسوء الحظ، فإن وقت الفيلم لا يزيد عن 90 دقيقة إلا قليلاً، وهو وقت تشغيل ضئيل للغاية لدعم كل ما يحاول برنارد تغطيته. العديد من الحبكات الفرعية كثيف بما يكفي لتطوير قصة كاملة، ولكنها محشورة معاً، لتكون بمثابة ضوضاء في الخلفية لقصة حب، القليل منها يجد المساحة اللازمة للتنفس. يعاني كالوم الأسوأ بسبب هذا، فأداء توماس يصل إلى نقطة الوسط المثالية بين الضعف المرهق والعنف الهائج، تثير شخصيته العديد من الأسئلة حول الصدمة بين الأجيال من العنف المنزلي والعنصرية المكتسبة والذكورة السامة، حتى يتم حل مجموعة مشاكله؛ يلقي بظلاله على فيلم نزيه عاطفياً.

عادل وراشبروك من الدعائم الأساسية للفيلم والتلفزيون البريطاني لأكثر من عقدين من الزمان، حيث يقدمان الدعم عبر مجموعة من المشاريع المختلفة - ظهر كلاهما هذا الصيف (لكنهما لم يشاركا أي مشاهد) في عرض BBC (شيروود) Sherwood. على الرغم من كونهما من الوجوه المألوفة بدرجة كافية، إلا أن أياً منهما لا يُعرف بأنه بطل رومانسي يمنح العلاقة المركزية مستوى إضافياً من الرقة والهشاشة. كلاهما يشع دفئاً هائلاً. يلعب (أخطر) الدور الأكثر اجتماعياً بينهما، وتغمره الحماسة في حبه للناس والموسيقى (يتميز الفيلم بموسيقى تصويرية نابضة بالحياة ومنتقاة بعناية). في عدد قليل من المشاهد المؤثرة، يمكننا أن نرى الشعاع الساطع من عاطفته مما يجعل الوضع غير المريح بالفعل مع زوجته أسوأ. في الطرف الآخر من الطيف، تحتاج آفا (راشبروك) إلى التشجيع للتعبير عن أي من الأشياء العديدة التي تدور في ذهنها، التشجيع يسعد علي -بشكل أخرق ولكن بجدية- أن يقدمه. أخطر وراشبروك يلعبان في مسألة الارتباط التدريجي برقة. الجانب البارز من شخصية كل منهما محير بعض الشيء من جهة إعجاب كل منهما

بالآخر ولماذا يحبهما الآخرون، وعلى الرغم من الجاذبية الواضحة يستغرق الأمر بعض الوقت ليشعروا بالراحة التامة في صحبة أحدهما الآخر. إن لطف خطبتهما أمر جميل أن نشهده، وبخاصة على خلفية مثل هذه الفوضى المتنوعة. (علي وآفا) هو الفيلم الثاني لبرنارد الذي تم تصويره في برادفورد، وهي مدينة شمال إنجلترا لا تُعرف بأنها نقطة ساخنة للأمور الرومانسية (على الرغم من كونها مسقط رأس الأخوات برونتي شخصياً!). ومع ذلك، فإنها تصورها بنظرة مُحبة، حيث توفر الشوارع الدائرية بعض المناظر المذهلة. لكن الناس هم من يصنعون مدينة، وهي تصدّر تنوع سكان برادفورد، الذين يفعلون أكثر ما بوسعهم لإضفاء الشعور بالحيوية الغامرة على المكان. بقدر ما أعطى كل من أخطر وراشبروك هذا الفيلم معظم قلبه، فإن فيلم برنارد مرسوم بشكل ثري للغاية، فهي حكاية تعطي الانطباع بأن أي شخصين آخرين سيكون لديهما قصص معقدة متشابكة محيرة وكذلك مقنعة تماماً مثل أبطالها المختارين. نعم، (علي وآفا) فوضوي، ومليء بالحشو بشكل مفرط في التفاصيل (لا تنس أنه بريطاني!)، وليس مرضياً تماماً كما كان يمكن أن يكون، ولكن إذا كان هناك أي شيء، فإن هذا يجعله يبدو أكثر واقعية من الحياة في أجزاء كثيرة منه.

تأتي إحدى اللحظات الحاسمة في الدراما الرومانسية (علي وآفا) في وقت مبكر من الفيلم عندما يترابط علي وآفا اللذان لا تبدو بعد أية ظلال رومانسية على حبهما المتبادل للموسيقى. علي (عادل أخطر) يميل الذوق نحو التكنو والبانك بينما تفضل آفا (كلير راشبروك) موسيقى الريف والفلكلور، والتي هي في البداية مصدر إغاظة وخلاف، ولكن في هذا المشهد المبكر، حيث ذهب علي لزيارة آفا في منزلها الصغير في برادفورد، ويست يوركشاير، إنجلترا، كل ما يهم هو أنهما يجدان الفرح في أغانيهما المفضلة. يجلسان جنباً إلى جنب مع مجموعاتهما الخاصة من سماعات الرأس، كلاهما ضائع في الموسيقى المختلفة التي يستمعان إليها، قبل تداول سماعات الرأس، في مشهد قد يشير في العديد من الأفلام الأخرى إلى انقسام، ولكن هنا، حيث تقطع الكاميرا والموسيقى التصويرية بين منظور كل شخصية، هما متحدان في حماس البهجة. لا يهم أنهما يحبان أنواعاً مختلفة من الموسيقى، ما يهم هو أنهما يتشاركان شيئاً أكثر جوهرية في جوهر كلاهما، وهذا ما يمنح هذا الفيلم قلبه وروحه.

قبل هذه اللحظة، يشير الفيلم إلى أن علي، مسلم من أصول بنغالية وبريطانية ينفصل عن زوجته، ويعمل كمنسق موسيقى ومالك عقار. نتيجة ذهابه إلى القيام ببعض أعمال الإصلاح لأحد مستأجريه، الذي يعامله مثل الأسرة الممتدة، يأخذ علي أحد أطفاله إلى المدرسة كخدمة، حيث يلتقي أولاً مع آفا، وهي مساعدة تدريس قليلة القدر. لديها تراث أيرلندي وهي أم عزباء وحيدة. كلاهما لا يزالان يعيشان مع الألم من الماضي نفسه وليس الأحداث الماضية، لكن كلاهما يكتشف أنهما لا يشتركان فقط في شغف الموسيقى، بل هما أيضاً من أرواح عشيرة تؤمن بوجود تعاطف طبيعي مع الآخرين وبخاصة الأطفال. الدافع اللاواعي لمساعدة الآخرين المحتاجين هو طاقة حب كامنة فيهما بلا منفس. إنها ألا عيب نفسية خادعة ومعيبة بطرق يمكن التعرف عليها وإنسانية، لكن مثل هؤلاء الأشخاص الطيبون والمحبوبون يصبح من السهل جداً أن ترغب في رؤيتهم يجدون السعادة مع بعضهم البعض.

فيلم (علي وآفا) هو رابع فيلم روائي طويل للمخرجة البريطانية المشهورة كليو برنارد، وهو ليس فقط أكثر أفلامها التي يمكن الوصول إليها حتى الآن على مستوى جماهيري، بل ربما يكون أيضاً أفضل أفلامها. في وقت ما، قورنت أفلام بارنارد بشكل إيجابي مع صانع الأفلام البريطاني الواقعي الاجتماعي الكبير كين لوتش بسبب تفضيله لحياة الأشخاص المهمشين على الشاشة ومن خلال القيام بذلك إنتاج أفلام ذات ميزة سياسية تتعلق بكيفية تمثيلهم للطبقة وعدم المساواة في إنجلترا. ومع ذلك، لا تزال أفلام بارنارد تتمتع بصوت مميز خاص بها، وهي أقل مباشرة وعلنية من أفلام لوتش، ويمكن القول إنها تشترك مع المعاصرين أندريا أرنولد (المملكة المتحدة أيضاً) وديبرا جرانيك من الولايات المتحدة الأمريكية وربما حتى الأخوان داردين من بلجيكا في شروط تضمين درجات السرد الغنائي ضمن طبيعية صناعة الأفلام الواقعية الاجتماعية.

كلير راشبروك بسحر صريح وروح دعابة عالية، تلعب دور امرأة من أصول إيرلندية تعمل كمساعدة في الفصل. أم أرملة كان زوجها الراحل يمارس التنمر المسيء، وربما أصابت مواقفه القبيحة ابنهما كالوم، الذي أصبح هو نفسه أباً جديداً. آفا هي روح لطيفة وكريمة، شابة في القلب، مغرمة بالموسيقى وتبحث عن الحب. تنقر على الفور على علي، وتؤدي علاقتهما المتنامية حتماً إلى مشاكل مع عشائرهما. واتضح أن آفا حاصلة على درجة علمية في الفنون من الدرجة الأولى، لذلك هناك خطر من أن تتفوق على علي من الناحية التعليمية تماماً كما كانت عليه رونا. الأمر الأكثر تألماً لعلي هو أن أخته تتهمه، باللغة الإنجليزية، بالركض مع (النساء البيض). لا يستطيع علي الاعتراف بأنه رجل أعزب، لذا فإن محنته الخاصة تزداد سوءاً.

تنشئ برنارد مجموعات مشاهد يمكن تأملها بحيث لا يبدو أنه يحدث أي شيء دون زخم سردي عظيم. في أحد هذه المشاهد، قام علي بنقل آفا إلى حي مراوغ، حيث قام الأطفال برشق السيارة بالحجارة. يخرج علي وينزع فتيل الموقف بأعجوبة من خلال تشغيل نظام الموسيقى في سيارته وجعلهم جميعاً يرقصون. ربما يكون المشهد قد جاء على أنه نوع من العمل الجيد، لكن برنارد تجعله جزءاً من جمالياتها المتفائلة. لا يتزحلق الفيلم على حقيقة أن علي ينام مع آفا، لكن علاقتهما يتم التعامل معها على أنها حقيقة، دون أي حساسية، ومع ذلك لا تخلو من الرومانسية. تراهما يستيقظان معاً، من أجل العالم بأسره كما لو كانا زوجين متزوجين منذ سنوات. لا يوجد إثارة للشهوة، بالضبط، ولكن هناك رقة وحنان. فيلم برنارد عبارة عن مقال في القبول والحب.

وضعت المخرجة البريطانية كليو بارنارد مدينة برادفورد في شمال إنجلترا على خريطة السينما العالمية بجهودها السابقة الحائزة على جوائز، بفيلمي (The Arbor) و(The Selfish Giant)، وهي تعود الآن لرومانسية بين الأعراق مدعومة بعرض ممتاز يشع بدفء متفائل. هذه هي خطوط المعركة في مدينة يوركشاير الصناعية لدرجة أنه عندما عرض علي على آفا منزله أثناء هطول أمطار غزيرة، فإنه يتراجع عندما تخبره بمكان إقامتها. ولكن، كما هو الحال مع معظم الأشياء في الحياة، يبتسم علي ويتحمل أن يفعل ما يشعر أنه صحيح، حتى عندما يكتشف الأطفال المحليون (باكي) في السيارة ويبدؤون في إلقاء الحجارة.

في تسلسل المشاهد، ينتشر الموقف عن طريق الخروج من السيارة، ورفع صوت الراديو الخاص به وجعلهم جميعاً يرقصون. علي هو دي جي بدوام جزئي (في قبو منزله، على الأقل) وهذه النغمة هي الخطوة الأولى في التقريب بين الناس. سرعان ما يرقص هو وآفا في غرفة جلوسها، مترابطين على الموسيقى - حتى انفجر ابن آفا، بالسيف.



على الرغم من أن هذا الفيلم لا يحقق الجرأة الفنية لظهورها الرائد الذي يتحدى النوع لأول مرة عام 2010، (The Arbor)، تعاملت برنارد مع هذه المشاهد المبكرة بمهارة كبيرة. ترسم شخصياتها وعوالمهم مثل راوية القصص الخبيرة. حتى لو اعتقدنا أننا نعرف إلى أين تتجه، فمن الواضح أن هناك العديد من العقبات في طريق علي وآفا، وليس من الواضح أبداً كيف أو ما إذا كان يمكن التغلب عليها. خصوصاً إذا كان هناك سيف معلق على الحائط. علي وآفا لا يقعان في الحب تماماً من النظرة الأولى، وهذه ليست (قصة الجانب الغربي). لكن من الواضح أنهما يشعران بانجذاب لا يرحم إلى شراكة تجمعهما، وعلى الرغم من أنه يجب أن يكون كلاهما على دراية تامة بالاختلافات العرقية، إلا أنه لا يبدو أنهما يناقشانها معاً. ومع ذلك، فإنه شيء لا يمكن للجميع من حولهم تجاهله بسهولة.

واحدة من أعظم ملذات الفيلم هي مشاهدة أداء راشبروك في دور آفا. تضيء الشاشة بعينيها اللطيفة ودفئها، وهي امرأة تشعر ببعض القوة والحرية لأول مرة منذ سنوات، تلعبها ممثلة نادراً ما نشاهدها على الشاشة الكبيرة منذ مساهماتها البارزة في أواخر التسعينات في فيلم لي مايك (أسرار وأكاذيب) (لعبت دور ابنة بريندا بليثين)، وقابلها سامانثا مورتون في فيلم (تحت الجلد) Under the Skin. يمكنك الشعور بالتوتر في عودتها والنمو في الثقة مع تقدم الفيلم وشخصيتها.

بالكاد يكون فيلم (علي وآفا) ثقيلاً في سير الأحداث، ومع ذلك سيجد الجماهير ويسحرهم بلطف عندما يحدث ذلك. من الواضح أن الفيلم هو نداء (ربما ساذج) للتسامح، لكن برنارد حريصة جداً كمخرجة لتطالب جمهورها بمطالب عاطفية صارمة. إنها مفتونة بالطبقات المتعددة الأعراق للحياة الحديثة، بالمساجد والملاعب المدرسية، والمساكن الاجتماعية المتداعية والمدرجات الباردة. إنه مؤشر على تعاطف المخرجة مع كل من الوسط وشخصياتها، حيث تجد جمالاً رائعاً في ضباب الصباح والأضواء المتلألئة، وهي شريحة غير عادية ومرحب بها من الرومانسية في شكل الواقعية الاجتماعية البريطانية الشجاعة تقليدياً. قال علي ذات مرة: (أحب هذه المدينة)، ونحن نصدقه تماماً. فترد آفا: (ماذا، حتى في المطر الغزير؟).

عصفورُ الجدائلِ والسنابل

وفاء بنت سالم الغامدي: جدة



ألقت إليك
شراكها
ووقفتَ
مشدوهاً تشاغبُ
حسنها
وتهيمُ في شغبِ البراءة
والظفائر
وكأنّ عصفورَ الصباحِ
معانقاً للغيمة البيضاء
إذ باحت
سرائر
ووقفتَ لا تحليق
لا طيران
تأبى أن
تغادر
في فتنةِ الشِّعر
الحريرِ جدائلٌ منسوجةٌ
ها أنت مشدوهٌ
وحائر

عينانِ
من لوزٍ
تبروزُ هذه الدنيا
فتزدانُ المناظر
شفتانِ
ياعنابَ دهشتها
وينعقدُ الحديث
تهمُ
تهمسُ
ثم تصمتُ
يابقايا غربةَ الحسِ
المهاجر
هذي حكايا شَعرها
الثوري
والولهِ الشهي
يبعثرُ الدنيا
وينشرُ قصةَ الحبِّ
المغامر





محمد وحيد عمر: سوريا

شَحُبٌ تدورُ
وموجةٌ تَرْفو شواطئَ غُرْبةٍ
وتهزُّ أوتارَ السّنينْ...
والأرضُ هادئةٌ
تنامُ على الأسى
وتُضيءُ جوهرَها الثّمينْ...
وأنا هُنا
بَيتي وراءَ الرّيحِ منْ قَصَبٍ
وخلفَ البيتِ مِئذنةٌ
وأجْملُ طائرينْ...
وأنا المُضيّعُ بيتَهُ
مازال يُغْرقني النّوى
فأدورُ في حمّى الغيابِ
وأُطْلقُ الرّوحَ الحبيسةَ وَرْدتينْ...
والقلبُ نِصْفٌ في الثّرى
والنِصفُ منْ ماءِ الثُّريّا
يلْبسُ الأنْوارَ في دَعةٍ
ويرْسمُ فَرْحتينْ...
لِمَ أيّها القلبُ المُجلْجلُ
لَمْ تَدَعْ لي نبضةً أُخْرى
لأصْعدَ نَخْلةً؟
وألمَّ عنْ شَفَقِ الغروبِ أحبّتي
وصهيلَ أوردتي
وأُشْعلَ في مَداركَ نَجْمتينْ...
لِمَ لمْ تَصرْ لي موجةً
وشراعَ أُغْنيةٍ
لأُغْلي في دمي
موجَ القصائدِ والحنينْ؟
هذا دَمي
كمْ كانَ يرسمُ في الطريقِ غزالةً؟
ويُضيءُ أزْهارَ المحبّةِ
في مشارفِ نَخْلتينْ...
هذا دَمي
وأصابعي أغْصانُ لوزٍ
تَشْتهي شَمْساً
ولَثْمَ حَمامتينْ...
والليلُ يلبسُ ليلةً أُخْرى
لتلْمعَ تحتها عينانِ مَسّهُما الهُيامُ
فصارتا تَغْريدتينْ...
بَيتي وراءَ الرّيحِ
والدنيا تدورُ
كأنّني بينَ المَدى والليلِ
أذْرِفُ في اغْترابي دَمْعتينْ...
الليلُ نِصْفُ الذكْرياتِ
ونِصْفُها الأشواقُ
ترْسمُ للغَريبِ حَمائمَ الذِّكْرى
وبَهْجةَ غَيمتينْ...
فاجْعَلْ لِقلْبِكَ ما يُحبُّ
وخَلِّهِ دَرْباً إلى ضوءِ اليَقينْ..



التراجيديا والمسرح

جــذور راسخــة

دعد ديب: سوريا



لحضور الحزن والمأساة إيقاع آسر في الوجدان الجمعي للإنسان لما من شأنه أن يكون وثيق الصلة بدواخل النفس البشرية المعذبة وهمومها المعقدة، ومن فيض هذه الأحاسيس الكامنة نشأت التراجيديا منذ غابر الزمان مؤصلة لميلاد فن المحاكاة المسرحية بشقيها المأساة والملهاة، فالمأساة من أقدم أساليب رواية القصص بالتاريخ، وشدة إقبال الناس على المأساة يفسرها تنقية النفس الإنسانية من المشاعر السلبية الكامنة في زوايا النفس، ولكن ليس كل حدث مأساوي هو تراجيديا، فالتراجيديات كمفهوم اصطلاحي ارتبط بالأعمال الفنية وخصوصاً المسرح وتقاليده الضاربة بالتاريخ، فقد تميزت المآسي التي كتبها إسخيلوس وسوفوكليس، ويوربيديس باعتبارهم آباء التراجيديا الإغريق بسمات الطابع الأدبي واعتمادها على الأسطورة والتاريخ اليوناني أكثر من طابعها الديني المتعارف عليه.

التراجيديا

التراجيديا نوع من المأساة والمعاناة الإنسانية يعيشها الفرد أثناء مواجهة أحداث رهيبة لم يحتسب لها أو يفكر بحدوثها، وغالباً يكون البطل في غاية النبل والشهامة والسمو الأخلاقي مما يفترض ردود أفعال من الجمهور تولد مشاعر قوية متعاطفة معه وخائفة عليه، التراجيديا كمصطلح يوناني بالأصل يرجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد حيث ارتبطت بالاحتفالات الدينية المدعومة من طبقة الكهنوت، ويرى أرسطو أن المحاكاة نزعة فطرية تولد مع الإنسان منذ نعومة أظفاره، وأن الإنسان هو أكثر الكائنات الحية براعة في هذا المضمار، حيث إنه ينال تعليمه ومعارفه في طفولته عن طريق المحاكاة، وأن البشر جميعاً يجدون متعة كبيرة في المحاكاة. كذلك نجد أن الكلمة التي استخدمها الإغريق للدلالة على الشاعر هي Poietes وهي كلمة لا تعني شخصاً يخلق من عدم، بل تعني الشخص الذي يؤلف ويركب وينظم الأجزاء التي نقلها عن طريق المحاكاة وهذا النقل يتضمن تغييراً وإضافة ذاتية ممن قام بها إلى جانب أنها تحمل معنى الإضافة والابتكار، وهذه المحاكاة هي أي حدث يثير انفعال الألم، حيث يكون بطل هذا الحدث شخصاً ذا مكانة عالية، وحيث تؤدي عاطفتا الخوف والشفقة إلى تطهير النفس من هذه الانفعالات، وربما اشتملت في العصور المتقدمة على بعض التنويعات مثل المشاهد الهزلية أو الحكايا الثانوية، توخياً للمغايرة، أو التخفيف عن التوتر والقلق العاطفي.

في كتابه فن الشعر يعرف أرسطو التراجيديا: «هي محاكاة لفعل جاد، تام في ذاته، له طول معين، في لغة ممتعة لأنها مشفوعة بكل نوع من أنواع التزيين الفني، كل نوع منها يمكن أن يرد على انفراد في أجزاء المسرحية، وتتم هذه المحاكاة في شكل درامي، لا في شكل سردي وبأحداث تثير الشفقة والخوف وهكذا يحدث التطهير من مثل هذين الانفعالين، وأعني هنا باللغة الممتعة اللغة التي بها وزن وإيقاع وغناء وبعض الأجزاء يمكن أن يعالج بالشعر وحده وبعضها الآخر باستخدام الغناء».

وقد وضح نظريته عن التنفيس فنحن عندما نمضي بالحياة نقوم بتخزين الكثير من المشاعر السلبية دون أن ندري ومشاهدة هذا النمط من الأعمال يؤدي إلى تفريغ هذه المكبوتات عبر محركي العمل الأساسيين وهما الفكر والشخصية حيث الحبكة تتضمن ترتيب الأحداث أو الأشياء التي ترد في القصة، فكل تراجيديا كوحدة كلية لها عناصر مؤلفة من:

1 - الحبكة، 2 - الشخصية، 3 - اللغة، 4 - الفكر، 5 - المرئيات المسرحية، 6 - الغناء. إلا أن أكثر تلك العناصر أهمية هو كيفية بناء الأحداث أي الحبكة أو الحكاية لأن التراجيديا لا تحاكي الأشخاص وإنما الأفعال المشتقة من الحياة بما فيها من سعادة وشقاء والقدرة على قول ما يمكن قوله، فبدون الفعل لا يكون ثمة تراجيديا وما يتلوها من تحول واكتشاف بعد تراكم مبرراته، فالحبكة للتراجيديا كالروح من الجسد وفق تعبير أرسطو وهذا يتم عبر الحوار الذي تنطقه الشخصية، فالشخصية هي التي تقوم بالفعل، فإن كل وحدة بالعمل الفني من الضروري أن تكون مفسرة للسلوك الإنساني الذي تفعله الشخصية، ولماذا يأخذ منحى معين دون آخر، وهذا لا يتم إلا من خلال فهم الدوافع الإنسانية التي تقود إلى ذلك السلوك دون سواه، فعندما يستحكم العداء والكره بين الشخصيات ضمن صراع ما، يجب أن يكون السلوك موضحاً لذلك الأمر، من خلال عدم إظهار أي نوع من التعاطف والمودة وعكس ذلك في حالة المحبة، مما يعكس التطور الدرامي الطبيعي للحدث فحالة حدوث فاجعة ما نتيجة تطرف في الكره أو المحبة، أو في حالة احتدام الغضب، فالمرء قد يقدم على فعل أهوج متهور يقوده ظن أو خديعة ما، مما يجعله منقاداً للوقوع في الإثم وقد حدد أرسطو أربع صفات من الواجب توفرها في الشخصية في المسرح الإغريقي وهي أولاً أن تتصف الشخصية

التراجيدية بالسمو والرفعة وحتى تخلق بسلوكها المتميز ذلك تأثيراً بالنفس وهذا لا يتأتى إلا للأبطال العظام أو أنصاف الآلهة، والأمر الثاني ذلك التوافق بين الشخصية وصفاتها الفطرية الطبيعية فلا يصح أن تكنى المرأة بصفات رجولية كالبسالة والقوة، والرجل بصفات النعومة والليونة، وثالثاً التطابق بين فعل الشخصية وقولها مما يؤكد صفة الإقناع لديها، والأمر الرابع أن يكون بناء الشخصية متماسكاً أي ألا يحدث تحول بسلوكها ومواقفها بلا مبرر وكل ذلك خلال اللغة وكلماتها المعبرة عن أفكار الشخصية سواء كانت شعراً أم نثراً، ضمن خطاب سياسي كان أم خطاب بلاغي، ويرى أرسطو أن الفكرة تنحصر في المقدرة على إيجاد اللغة الملائمة والمناسبة للموقف، وأن هذه اللغة ذات التعبيرات المناسبة المجسدة للفكرة تكون بكل بساطة من خلال القدرة على التعبير باللفظ الذي يخضع لمعايير معينة أهمها الوضوح مما يجعل المتلقي مهيأً لمتابعة المسرحية دون إفلات خيوطها، والتفنيد أي قدرة الشخصية على إبراز موقفها بشكل حاسم وإضعاف مبررات الخصم كما يعني قدرتها كذلك على التنويع بين الإسهاب والإيجاز وفق ما يقتضيه الموقف من إثارة أحاسيس الشفقة أو الخوف أو الغضب أو التعاطف، أما الجزأين الأخيرين فالغناء أكثر التزيينات إمتاعاً لقدرته الفائقة على التأثير ويليه جاذبية المرئيات المسرحية لوقعها الانفعالي وهذا يعتمد على الإخراج المسرحي أكثر من مؤلف العمل، فالأغاني هي الأناشيد التي كانت تقوم بها الجوقة بين المشاهد التمثيلية، ووجود الغناء بالتراجيديا يهدف إلى تخفيف حدة التوتر وتحقيق الترفيه والمتعة للمتفرج في المشاهد العنيفة والقاسية، كما أن خروج الجوقة ودخولها يحددان بدء المشاهد وانتهاءها بالإضافة إلى أهميتها كرديف للحوار القائم.

التراجيديا الشكسبيرية

قد تكون أغلب أعمال وليم شكسبير تعكس طابعاً إنسانياً اجتماعياً وتاريخياً، لذلك حفلت نصوصه المسرحية بالمآسي التاريخية والمكابدات الاجتماعية، ولعل الحضور العالي والغزير للمعاني الإنسانية فيها جعلت أعداد مريديه من كافة أنحاء العالم في تزايد مستمر، لذا قل أن تجد معهداً أو فرقة مسرحية أو ريبرتوار في أي بقعة كانت إلا وأعادت إنتاج شيء من نصوصه تمثيلاً أو اقتباساً أو إخراجاً أو نسجاً على منوال.

في مسرحية روميو وجولييت وما عكسته من صراع بين قوى الخير والشر، الحب والكره، ورغم أن العمل ينتهي بموت الحبيبين، إلا أن فيوضات الحب الآسرة رفرفت فوق الجسدين الشهيدين لتؤكد أن الجمال الذي يأتي به الحب إلى الحياة لا ينتهي بانتهاء حامليه وتبقى أنفاسه تتردد بعد الموت بفعل تطهيري للنفوس المعذبة.

وفي الملك لير التي تراوحت بين التراجيديا والعبث والسياسة، وصلت تفسيرات النصوص الشكسبيرية لفكرة دخول الكوميديا السوداء في عباءة التراجيديا، وبخاصة عندما تجاوز العصر حالة الجلال التراجيدي للعروض، فعندما تواجهنا أقصى حالات العذاب والألم ولا تؤدي إلى التطهير والسمو بل إلى الهيستيريا والضحك اليائس في نمط تجريبي جديد للمحتوى التراجيدي، فالمأساة الشكسبيرية على خلاف ما عرفناه في المأساة القديمة فهي ليست دراما المواقف الخلقية إزاء آلهة خالدة وليست قدراً يقرر مصير البطل، فواقعية شكسبير تبدت في وعيه لمدى انخراط الناس في التاريخ، إذ إن بعضهم يصنع التاريخ وبعضهم الآخر يكون ضحيته وقد تتداخل هاتان المسألتان فمن يكون صانعاً مرة يكون ضحية مرة أخرى والعكس كذلك، شكسبير يمسرح التاريخ على الخشبة فهناك نمطان للمأساة التاريخية الأول مبني على اعتقاد بأن للتاريخ معنى وأنه يحقق مهماته الموضوعية ويقود في اتجاه محدد والمأساة هنا تتألف من ثمن التاريخ ثمن هذا التقدم الذي لابد منه والبطل الريادي من يقوم بدفع عجلة التاريخ الثقيلة إلى الأمام ومقابلها عليه أن يسحق بها، والنوع الآخر من المأساة التاريخية تقول إن التاريخ واقف لا يتحرك وأنه يعيد باستمرار دوراته القديمة القاسية والفرد يمضي باستمرار إلى حتفه في هذه الآلة الكبرى أي نظام التاريخ كما يراه شكسبير في عجلة التاريخ الضخمة التي تجبر الناس على العنف والقسوة والموت.

في هاملت النص الشكسبيري الأشهر في كثافة المواضيع التي يتطرق إليها في دراما السلطة والوراثة، ومن ذلك التضاد بين الأخلاق والقوة وبين النظرية والممارسة والدراما العائلية ومأساة الحب وغاية الحياة وقناع الجنون الذي يلبسه هاملت في صراع السياسة الذي ينفي الحب، ودراما وجوده المحير في أن يكون البطل في صلب الصراع بأن ينتقم لأبيه ويقتل ويثبت وجوده، أو أن يلغي ذاته وينأى عن الصراع كله، ولعل ثراء هذا النص في الإمكانية الواسعة لتوظيفه عبر مفاهيم متعددة في الأعمال الكثيرة التي جسدته، ولعل ماكبث من الناحية السيكلوجية من أعمق مآسي شكسبير في عرضه التاريخ كدراما كابوسية تختلف في فلسفة الفعل، فالتاريخ هنا قرار واختيار وفعل شخصي لا كرعب وحتمية فماكبث يقرر قتل غريمه بيديه للاستيلاء على الملك، يقول ماكبث:

«لقد خطوت في الدم
بعيداً، وحتى لو لم أخض المزيد
لكان النكوص مرهقاً، كما المضي».

ففي المأساة الحديثة استبدل القدر والآلهة والطبيعة بالتاريخ، إذ قلص التاريخ إلى أبسط أشكاله: القتل والقتلى، ماكبث قتل خوفاً ليكون الرجل الذي لا يخاف ويستمر بالقتل خوفاً كذلك مما جعل وجوده دائراً في دوامة كابوسية يحلم أن تتوقف في تناقض بين ذاته ودوره الذي قام به، مما يعني دورانه الجحيمي في غيهب الكابوس الأزلي.

التراجيديا والأسطورة

رغم أن الأسطورة تنتمي إلى عصر مضى



ولكنها ما تزال حاضرة في وعي المجتمعات، لذلك استمد كتاب التراجيديا موضوعاتهم من الأساطير القديمة والتي كانت تراثاً معرفياً ومنهلاً خصباً لنسج أعمالهم على خلفية الحكايا القادمة من عمق المخيال الشعبي والأساطير المعروفة عند عامة الشعب، فالمسرح الإغريقي ارتبط منذ ظهوره ونشأته بالدين والعقيدة كطقوس وأساطير وأشكال التجسيد الإلهي، من هنا كان ارتباط التراجيديا بالعقيدة الإغريقية متمثلة في التراث الأسطوري، وقد تكونت هذه الأساطير عبر العصور الماضية عبر ذاكرة الشعوب الخصبة، معتمدة النقل الشفاهي المتواتر عن قصصهم وحكاياهم ومن المعروف أن الأساطير اختزلت فلسفة وحكمة وصراع الآلهة كانعكاس للعلاقة بين الإنسان والطبيعة من جهة وطقوس الموت والولادة والبعث من جهة أخرى، لذا من الطبيعي أن تكون مناخاً مواتياً استلهم منه الكتاب فحوى لمواضيعهم ورؤاهم الفكرية، فشخصياتها البطولية تصلح بأبعادها الميتافيزيقية المتباينة لتصوير الصراع في التراجيديا، حيث إن الشخصيات العادية لا تعطي التراجيديا عمقاً أو صراعاً أو دهشة، حيث الفعل الدرامي ليس فكرة داخل ذهن الإنسان لا تبعات سلوكية ناتجة عنها، بل هي حضور وتصرف وفعل إنساني يظهر وينمو ويتعدى حدود الفردية ويؤثر في الآخرين ويتحمل صاحبه نتائج عمله لأنه واعٍ ومدرك لما يفعل، مما يجعله في صدام وتحاك مستمر مع الآخرين، فالتراجيديا ذات مغزى أخلاقي من أهدافها التطهير الناجم عن وطأة المأساة المرتبطة بفكرة أو عقيدة، والنهايات المأساوية لأبطالها مرتبط بالعقيدة من ناحية تطهير النفس من شرورها، وهذا نجد ظلاله مستمرة في الأساطير التي تحتل الوعي الجمعي في مرحلة ما كإرث ثقافي ثري يخصب الذائقة بالمزيد من جماليات الفكر والإبداع.



قراءة في سيرة
عميد المسرح المصري



أمير شفيق حسانين: مصر

فنان مصري من الزمن الجميل، استطاع بذكاء وفطنة أن يصل للعالمية ويُحقق شهرة واسعة في مجال العمل المسرحي بوجه خاص، إنه الفنان الراحل زكي طليمات، فهو بالفعل ممثل مسرحي شامل، حيث جمع بين التمثيل والتأليف والإخراج المسرحي وأيضاً الترجمة المسرحية والصحافة، ويُعتبر أحد الرواد العمالقة للمسرح المصري، وقد تخرج على يديه الكثير من أهم الممثلين في السينما والمسرح.

وُلِدَ أستاذ المسرح العربي زكي طليمات، في حي عابدين بالقاهرة، في الثاني والعشرين من أبريل عام 1894م، أما والده فينتمي لأسرة لها أصول سورية، حيث كان جده من عائلة معروفة بالوجاهة بمدينة حمص بسوريا، والذي سافر إلى القاهرة للإقامة بها، والعمل بالتجارة، وأما والدة زكي طليمات فهي مصرية، ولها أصول شركسية.
حصل زكي طليمات على البكالوريا من المدرسة الخديوية الثانوية، وبعدها التحق بمعهد التربية، ثم أُوفِدَ في بعثة لفرنسا لكي يدرس فن التمثيل بباريس في مسرح الكوميدي فرانسيز و(مسرح الأوديون)، و(معهد مدجييس لحرفية المسرح) ورجع لمصر حاملاً دبلوماً في الأداء والإلقاء، وشهادة في فن الإخراج، كما حصل على شهادة المناظر المسرحية وحرفية المسرح، ومن ضمن أوجه نشاطه المسرحي هو اشتراكه في مؤتمر المسارح القومية الدولية بباريس من عام 1931م، وحتى عام 1937م.
تزوج فيلسوف المسرح زكي طليمات من السيدة فاطمة اليوسف، التي أسست مجلة روز اليوسف، واستمر زواجهما عشرين عاماً، وبعدها تم الانفصال بسبب انشغال فاطمة اليوسف بعملها، وقد بدأ زكي طليمات مشواره الفني بالانضمام لفرقة (عبدالرحمن رشدي) المسرحية عام 1917م، ثم انتقل لفرقة (جورج أبيض)، ولكنه تركها بعدما وجه انتقادات لصاحب الفرقة في أحد مقالاته الصحفية النقدية.
وللراحل زكي طليمات، تاريخ مسرحي حافل، فهو الذي أسس المسرح المدرسي عام 1937م، وظل مُراقباً له حتى عام 1952م، كما عمل مديراً فنياً للمسرح القومي منذ عام 1942م، وحتى عام 1952م، ويعتبر طليمات هو العميد الأول والمؤسس للمعهد العالي للتمثيل، وقد ظل عميداً له من عام 1944م، وحتى 1952م، كما عمل طليمات مديراً عاماً للمسرح المصري الحديث منذ عام 1950م، وحتى عام 1952م، وقد سافر زكي طليمات لدولة تونس ليُصبح المشرف الفني العام لفرقة البلدية هناك وذلك عام 1954م، وشغل طليمات وظيفة المشرف الفني العام لفرقة المسرح العربي بالكويت منذ عام 1961م وحتى عام 1963م.
ومن ضمن الأنشطة المسرحية للرائد المسرحي الكبير، هو كتابته مقدمات فنية لعدة مؤلفات ومسرحيات، كما كان له سلسلة مقالات رائعة في صحف ومجلات عديدة مثل الهلال والمقتطف والفكر العربي والرسالة والعربي، إضافة لتأليفه للعديد من الكتب القيمة عن فن التمثيل الراقي.
امتاز الإخراج المسرحي لزكي طليمات بالدراسة العميقة والتناسق بين الملابس والمناظر والحركة المسرحية، وكذلك توزيع الإضاءة، وقد أخرج طليمات ما يقرب من مئة وخمسين مسرحية جمعت شتى الألوان المتنوعة كالكوميدي والتراجيدي وكذلك التاريخي، ومن أشهر المسرحيات التي أخرجها طليمات (مُضحك الخليفة أبو دلامة، صقر قريش، عمارة المعلم كندوز، آدم وحواء، يوم القيامة).
كما قدم فنان المسرح الموهوب، أكثر من 350 عرضاً مسرحياً، أبرزها (غادة الكاميليا، أهل الكهف)، إضافة لترجمته لبعض المسرحيات العالمية، منها مسرحية (الجلف) لتشيكوف، ومسرحية (الوطن) لساردو، ومسرحية (المعركة) لفروندي، كما قام طليمات بإخراج فيلم (من أجل امرأة)، وذلك في عام 1959م.
والجدير بالذكر أن زكي طليمات كان عضواً للجنة المسرح بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، كما انضم سُلطان المسرح المصري لجمعية رقي الأدب والتمثيل وقدم من خلالها مسرحيتين هما (قصة مدينتين - شاترتون)، وكان هو بطلهما، كما قام أيضاً بإخراجهما.
وأيضاً شارك الفنان الراحل في حوالي 12 فيلماً سينمائياً منها: (ابنتي - يوم من عمري - بهية - أرض النيل - خالد بن الوليد - الناصر صلاح الدين)، وقد قام بدور الفتى الأول في فيلم (نشيد الأمل) أمام السيدة أم كلثوم، وأيضاً قام بدور الزعيم الثائر في فيلم (الله معنا)، وقد أسند لطليمات إخراج أول أوبريت للفنون الشعبية (يا ليل يا عين) وقدم أيضاً استعراض (موال من مصر).
وقد عُرِفَ زكي طليمات لدى الجمهور من خلال دور (الدوق آرثر) الشهير في فيلم (الناصر صلاح الدين)، حيث علقت بأذهان المشاهدين جملته الشهيرة للفنانة الراحلة ليلى فوزي، (في ليلة أقل جمالاً من ليلتنا ستأتين زاحفة إلى خيمتي يا فرجينيا)، كما عُرِفَ طليمات لدى مشاهدي السينما من خلال شخصية المليونير والد زبيدة ثروت، والتي قدمها بمهارة، وذلك في فيلم (يوم من عمري).
وقد حصل عميد المسرح المصري زكي طليمات على جوائز عديدة، منها جائزة الدولة التشجيعية في الفنون عام 1961م، وجائزة الدولة التقديرية في الفنون أيضاً عام 1975م، وكلتا الجائزتين من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، كما قام الرئيس الراحل أنور السادات، بتكريم الفنان زكي طليمات بمنحه درجة الدكتوراه الفخرية، وأيضاً تم تكريم فيلسوف المسرح بنيل جائزة التفوق المسرحي، إضافة لحصول الفنان المسرحي على نيشان الافتخار من درجة كوماندور من الحكومة التونسية عام 1950م.
رحل زكي طليمات عن عالمنا في الثاني والعشرين من ديسمبر عام 1982م، بعد أن أسس مدرسة شاملة في فنون المسرح، تاركاً خبراته ومؤلفاته وترجماته المسرحية لتلامذته ومحبيه، كما أنه أثرى المكتبة المسرحية والسينمائية بالعديد من الأعمال الرائعة، التي شهدت تاريخاً فنياً كبيراً لفنان موهوب بقيمة زكي طليمات.



مسيرة هندسية يمكن منحها عنواناً حسياً

خطف بصري



ضحى عبدالرؤوف المل: لبنان

اكتسب فن النحت في لبنان أهمية خاصة من جهة تحديد مسارات المادة الحجرية وعلوها، وتشكيلها هندسياً وفق الأبعاد المستقبلية التي تمنح الزمن لغة جامعة من حيث تحديث المنحوتة وجعلها قادرة على مخاطبة الأجيال من خلال شكلها الهندسي المرتبط بالطبيعة وتطور مادتها الحجرية، المحافظة على نوعية قابلة للترويض النحتي، والبقاء مدة من الزمن بالحفاظ على نفسها أو تقسيماتها، لتتنامى الفكرة شكلاً ومضموناً وفق مسيرة هندسية يمكن منحها عنواناً حسياً هو (خطف بصري) لأن من يتأمل منحوتات الفن اللبناني يدرك القيمة التأملية إن ابتعدنا عن كلمة الصوفية الغارقة بهندسة الكون والاستبصار الذي يكتنفه الغموض في الكثير من التفاصيل التأويلية، والكواليس الممكن إدراكها من استكشاف خبايا كل منحوتة أو مراحل تصميمها الأولى، وكأن الشرارة النحتية خرجت من مخيلة تأثرت ببصيرة نحات أدرك سر الكون، وأبعاده الزمنية.



خلال مسيرتي في البحث عن الفن التشكيلي العربي والغربي أو العالمي إن أردت قول الحقيقة كاملة! لمست قيمة منحوتات كثيرة في كل فن افتقدت فيه الرؤية المستقبلية لهذا الفن، لأن كل منحوتة من منحوتاتهم هي محاكاة للزمن بأكمله وتتجدد وتصبح قادرة على تحديث نفسها هندسياً، إذ يمكن تحديث الفكرة انطلاقاً من التصميم الأولي لكل منحوتة، فنجد أن فيها من الخلايا النجتية ما هو حي بطريقة غريبة بمعنى آخر قد ينبثق منها عدة مقاييس لعدة رؤى، وكأن المنحوتة تنتظر كل زمن ليخلق منها فكرة أخرى، فهل أرض بلدة (روشانا) في لبنان هي أرض كنوز الأحياء من الجماد الحجري الذي يصرخ هنا لبنان؟

لم أجد في الفنون التشكيلية اللبنانية عامة قوة بصيرة جمالية تكتنز عالمياً فكرة الإرث الزمني الخالد القادر على مواجهة بصرية تنافس كل أنواع الفنون الأخرى، فالأبعاد والمدلولات الفنية تثير جدليات كثيرة من الفن الأيقوني المسيحي وصولاً إلى الخط العربي الإسلامي، فالإمساك بخيوط الفن التشكيلي عامة تحتاج إلى العودة إلى نقطة الصفر، وهي المحك الأساسي ونقطة الارتكاز التي يجب الانطلاق منها للقدرة على خلق المفاهيم الجمالية بجزئياتها، إذ ليس هناك أي فن محوري يستطيع رفع لواء التميز كفن (النحت البصبوصي) تحديداً، الذي اعتبره بحق أباً لكل الفنون التي جاءت خجولة، لأنها تستند على المحاكاة المحلية، وليست العالمية كما هي الحال في منحوتات (البصبوص) أو هوغت غالاند وغيرها، فهي تتعايش مع الواقع الزمني وتتطور معه، بل وتؤطر الفكرة، فتتماشى مع كل مخيلة تنظر إليها، وتنشد فك أسرارها إن جاز التعبير، لأن الحركة هي الميزة الأساسية في نسبية البناء النحتي والإحساس بقوة السلام البصري الناتج عنه، إذ تشكل كل منحوتة من منحوتات ميشال أو ألفرد أو يوسف الأسس البصرية الجمالية التي يمكن الانطلاق منها لتكون الحبكة الحسية منسجمة إيقاعياً مع الحواس بأكملها، فخلود الحجر ليس في المادة التي تكون منها، إنما من الشكل المقاوم للبيئة وتحدياتها من خلال مقاييسه النسبية وغير ذلك.

تنبع فكرة الإنسانية وجماليتها من الفكر التأملي الغارق بأسرار الكون اللامحدود، وبلانهائية مفتوحة على عدة احتمالات لها نتائجها المرتبطة بعقلانية الرؤية القادرة على فهم امتداد الكون واتصال الإنسان بالعوالم الماورائية عبر لغات مختلفة، إن بالنحت أو الرسم أو الموسيقى أو الكتابة، إلا أن أعظمها هو النحت لما يحمله من رسالة طبيعية تتنافس مع كل البيئات أو المجتمعات مهما اختلفت ألسنتها، لأنها تنمو مع الأجيال، كنمو الجبال وعلوها المثير للدهشة وبمعادلات موضوعية تتخذ منحى نحتي إلهي من نوع آخر، فالله الخالق الأكبر وما نراه من معجزات في الكهوف خاصة من الذين ينحتون من الجبال بيوتاً، فكيف لا يتكون الجمال ويد الله تصنع المعجزات؟

تتضح العاطفة التقنية في المنحنيات النحتية ومداركها الفراغية، مهما طغى الجمال على العين التي ترى العالم، كوحدة جمالية مصقولة، لها مقاييسها المحددة، وأبعادها التكوينية، لابد بعد ذلك أن تدرك الحواس المتناقضات ومفاهيمها في الرياضيات، التي تجعل من النحت علم جمال فني قادراً على إثارة الدهشة، وليس مجرد تماثيل

تحتاج بث الروح فيها لعبادتها التي كانت في الوثنية تقبع تحت مؤثرات حواس الإنسان غير المدرك لقوانين الطبيعة ولوجود الله، فالإنسان كتلة لها نشاطها الفكري، وتكوينها الوجداني، وموازينها الجمالية التي استقطبت الأفكار المنطقية، وجعلت من الجسد قواعد فيزيائية حركية لمواد هي من بنية الطبيعة الإلهية التي نعجز عن فهمها مهما حاولنا، لأن القوة الداخلية لأي شكل من الأشكال الفنية هي التي تحاورنا من خلال خطوطها، وملمسها وارتفاعها وانخفاضها، وأبعادها وظلالها، واستقامتها وانحنائها، لأنها تعكس مشاعرنا الداخلية من عاطفة وغريزة وغيرها.

إن النقطة المهمة في أعمال (ألفرد بصبوص) هي نقطة بداية تنتهي بخط منحنٍ يتطور حوارياً، فتتناغم الأجزاء وتعطي الفراغ طراوة وليونة، لشكل ذي كتلة شفافة تكوينية تستحق التأمل، لأن العلاقة مع المرأة هي المحور الأساسي في التفكير الفلسفي المؤمن به، فهي تشبه علاقة الحياة الإنسانية مع الطبيعة، وهذا ما يعكس القيمة الجمالية في أعماله النحتية التي تختلف فيها الأحجام الفراغية نظراً لانحناء الكتلة كما في منحوتة (couple) ذات الشكل النحتي الذي يساعد الضوء والظل على التوازن، بينما يتخذ الارتفاع عند ألفرد في منحوتات أخرى بعداً فراغياً له وجوده الضوئي القادر على إبراز الحقائق الدقيقة في المادة الصلبة التي يستطيع تحويلها برقة إلى معانٍ لها مفردات نحتية، وتشكيلية توقظ العاطفة الإنسانية المكبوتة، فالتوازن الفراغي له مساحة، وزوايا تتشكل منها المنحوتة الصلبة كي تتجانس مع بصر المتلقي، فيلمح في إيحاءاتها عاطفة قادرة على جذب مشاعر تجعله يغرق في تأملاته باحثاً عن شكل الفراغ تاركاً للكتلة وجودها الموضوعي، القادر على تسليط الضوء الذي يعكس جمال الحركة داخل التجويفات الملساء، فيحولها إلى لغة نحتية لها أحاسيسها الصادقة التي تسمح بتطوير الأفكار، ونقلها إلى الحواس ميتافيزيقياً من خلال قدرة (ألفرد بصبوص) على التعبير الحنون، والمنعكس في انفعالاته



الصامتة التي تتركز في منحنيات كل منحوتة تكلم معها بلغته البصرية المتلئة بالحرية والحركة الداخلية.

في النحت ترى الكتلة ثابتة والفراغ متحركاً، والمحاكاة بينهما ينبثق البعد الثالث القادر على توسيع مدارك الرؤية ومفاهيمها، لتسع المخيلة وتخلق حواراتها بين الارتفاع والحجم، والخامة الطبيعية في همس درامي له صوت امرأة تحتضن طفلها وتغني له أغنية الحياة، فيسيطر على الخطوط الهندسية، ويضيف عليها حيوية تمتزج تجريدياً مع الطبيعة ليبدأ بمنحوتة (الأم وطفلها) بشق الفراغ لتتحاور معه بصرياً، قبل أن يبتكر لغة جدلية بين

الداخل والخارج تاركاً للضوء تشكيل التضامن المتماسك بين الاثنين، من خلال أبعاد مدروسة جاءت بخطوط متوازية ذات مستوى تقني له كوامن نفسية ينتج منها ألفرد أفكاره ويسقطها على المادة، فتتجسد بمختلف الأشكال والأحجام، لنتشارك معه الجمال الرمزي وهو التمسك بالأم، الأرض، الوطن، المرأة، التي ترمز إلى قوة الحياة وغموضها، أو احتضانها للطبيعة المسخرة لها تاركاً لغة الزمن تندمج مع نقطة الوجود في رمزية تعبيرية.

تنوعت رؤية (ألفرد) في أكثر من منحوتة استطاع صياغتها وفق أساليب تشكيلية لها خاماتها المتنوعة من برونز وخشب وما إلى



ذلك لما تحتويه من تأثير على الحواس، فللنحاس أو الخشب قوة تزيد من تفاعل الناظر إليه، لأنها تزيد من وجوده وحركته، كما أرادت له رؤية الفنان ليزداد الإرث الفني صلابة تمتد آلاف السنين، وتتميز بوجودها الفينيقي والروماني المتسلسل أيضاً لبنانياً مع ألفرد ليؤرخ حقبة لفن النحت ووجوده المميز عبر تاريخ مستقبل آت.

توظيف حسي فني في خامات لها قساوة الحياة التي أنتجت تشكيلاً له أبعاده وعناصره الجمالية المألوفة للعين، ولزنجار يتلون ببساطة حياة طبيعية جعلها نقطة انطلاق نراها في أعماله من خلال احتكاك الكتلة مع الضوء، وصلابة تجعل من الفراغ عنصراً طبيعياً له انحناءات تتواءم مع الحجم في إيقاع ديناميكي يعادل قوة الخطوط والأشكال الهندسية العامودية منها والدائرية، فتتخذ أبعاداً متناسقة، ومتناغمة لتتلقى انعكاساً بصرياً كما تتلقى منحوتة (Moon) الضوء، فهي ذات رؤوس أفقية بارزة تعكس ظلال الخطوط العامودية، لتعطي للمتلقي إحساساً بالبعد الثالث الذي يترجم العاطفة والإحساس بالجمال في انفصال جميل له صلة ترتبط بالفراغ النسبي بين الكائنات المتناغمة والمتنافرة، وكأنه يؤمن بالحب ويرفض علاقات الجسد المادية الباهتة والخالية من الروح الخلاقة، بل وكأن المرأة في مفهوم ألفرد الفني هي الأساس التقني لجمالية النحت.

بناء منظم له نمط فني خاص به يتوافق مع أفكار يجعلنا نتساءل عنها! من هي الأم التي تتناغم مع طفلها؟ ما هي المادة التي تنطق بالحب بين زوجين؟ لماذا يتكور الفراغ في منحوتة أكروبات ويمتد في منحوتة أخرى؟ هل يبحث ألفرد عن حركة كونية داخلية تستطيع التعبير عن حركة الضوء داخل التجاويف المعتمة التي تحدث وجوداً آخر له ذاتيته الضوئية الخاصة؟ كيف لمادة صلبة أن تصبح شفافة وتخلق حوارها الخاص بها في أنفسنا؟ أسئلة جعلتني أشعر بالتعايش مع العناصر المستخدمة كلها التي ساعدت لبروز هذه الأعمال، فهي تخاطب الفراغ والزمن، لتثبت وجودها ككتلة لها وجودها الخاص ولها هوية لبنانية، هي هوية ألفرد بصبوص أو راشانا لبنان.

إن إعطاء صفة الجمال للمادة الصلبة قديماً جعلت العقل الضائع يقع في متاهات الفن لتستسلم النفس، وتشعر بقداسة ما لا تدرك سر ماهيته، لكننا اليوم ندرك أن الإنسان حاول معرفة صفة الجمال الخلاق في كل شيء من حولنا بدءاً من الطبيعة وحتى الحجر الذي استطاع الإنسان القديم استخدامه في شتى المجالات، مثلما استطاع الإنسان الحديث تكوين مفاهيمه الهندسية وإسقاطها على الخشب أو البرونز أو المادة الزنجارية أو حتى الصخرية، لصنع منحوتات تلتقط الأحاسيس وتحاورها، فتتفاعل النفس مع المخيلة وتتذوق الجمال الإبداعي.

إن أعمال (ألفرد بصبوص) غامضة وخيالية لأنها صامتة في حوارها التجريدي الداخلي، لكنها واقعية وطبيعية وغريبة الأطوار في أحجامها وتناسقها لأنها من عمق الطبيعة البشرية، ومن خارج الرؤية الكونية التي تعكس الأشكال المألوفة على العين، فنتحسس الانحناء كأنه عاطفة تفيض محبة لها فلسفة طوباوية أحياناً، كمنحوتة الأم وطفلها التي تجعلك تدرك لمسة الأم لطفلها، ولمسة الفنان لخاماته من خلال المظهر الحركي الهادئ في الفراغ.



رغد العبدالله: القصيم

يحكى أن فتاة في أحد العصور أحبت الحياة حباً لا تشوبه شوائب، أحبت الحياة إجمالاً، أحبتها في أدق تفاصيلها.

أحبت الأشجار والظلال والغيوم والجبال، تستشعر صوت الماء وحفيف الأشجار، صديقة لشمس الصباح ونسائمه العليلة وزقزقة العصافير، تتوق لمنتصف الشهر حتى تحادث القمر وتحصي عدد نجوم السماء. تقدّر الفن، وتعشق الموسيقى، وتتلذذ بمطالع القصائد حتى تتوه بين الأبيات وما وراء الرموز، قويّة، لا تخشى بالله لومة لائم، ترى الكون من منظورها الخاص، ورؤيتها تبثها من بنات أفكارها وحسب، لا يعيقها حر الصيف ولا صقيع الشتاء، تتكيّف وكأن المناخ يستشيرها بما تشتهي ليُلبي ما ترغب وما تودّ، تمضي أيامها كسرب الحمام قاصدة رزقها لا يثنيها تغير المكان ولا تبدل الزمان، يمر الأشخاص من أمامها مرور الكرام حتى تكاد لا تبصرهم، وهي التي تستشعر كل شيء!

تمضي أيامها هادئة بين تفاصيلها العذبة، مشرقة، متجددة، مليئة، هي خليط مبهج سعيد متلوّن بألف لون ولون.

حتى أتى ذلك اليوم، حاملاً لها رساماً خفيف الظل طيّب الأثر، أو كما ظنّت هي ذلك، عرض عليها أن تقف دقائق معدودة ليهديها ما يليق بجمالها ويريها كيف يراها الناس من منظور مختلف، استمالها وهي التي لم تخضع يوماً، استلطفته، حتى مضى ضارباً أبواب قلبها بأحاديثه دون هوادة، كأنها استشعرت قُبلة الحياة على جبينها بقربه، وبوهلة، تبدل الزمكان واختلفت عليها الأيام وتغيرت الأحوال، كل شي يخضع لسلطة الحب فقط، لم يكن كأي عابر، بل أطلقت عليه الفارس والسند والرفيق والصديق، أهدتها الحياة تجاربها الخاصة حتى تتشرّب الشعور وتهيم بالتفاصيل كما اعتادت، إلى أن أذاقتها العلقم دون أن تدرك! في ليلة وضحاها اختفى وكأنه لم يكن، ذهبت لتطرق الأبواب التي اعتادت عليها دون مجيب، ظلت تنتظر على أمل أن يعود ولم يعد! خذلتها الحياة.. يا للخيبة!

تساءلت: ماذا بدر مني؟ بماذا أخطأت؟ ماذا قدمت حتى أجازى بالهجران والخذلان؟

ظلت تناجي النجوم، وتذهب قاصدة مفارق الطرق، تزور الأزقة علّها تلقى بصيص أمل يعيد إليها ما افتقدت، ورغم الألم ظلت تحمل حسن الذكرى، متغافلة عن مساوئ النهايات.

عندما هانت حين ظنّت أنها لا تهون، وعندما هُجرت حين كانت بمأمن عن الخذلان؛ تعلمت.

يا ترى كيف تُداوى الجراح بعد الذي مضى؟

الأنساق الثقافية للأطوار الغنائية العراقية

ميثم الخزرجي: العراق

لا أبالغ إذا قلت إن جميع مدن العالم لها سماتها المشكّلة والمنعكسة على سلوك الفرد بتفاصيلها العامة والخاصة من حيث الرؤية المتبناة وطبيعة الأجواء المتوائمة والمتفقة التي تقوّم الإنسان وتصيّره تبعاً للإرث والأثر الذي يكنّه إليه، ليكون بهذه الصورة التي ألفناها وتماهينا معها، ولو تتبعنا سير المدن الدافئة التي تتخللها الأنهار والمحملة بكثير من الشجر لوجدنا أن ثمة علائم ومزايا تعنى بالما حولُ تتسلل في أدق الجزئيات المتعلقة بتكوين شخوصها، وهذه حالة تراتبية غير قابلة للدحض تبعاً لحيثيات البنية النسقية المتصلة وهاجس إنسانها.

وهنا نستطيع القول إن عنصر المكان من العناصر المهمة التي تسهم في ترميم الفرد وتربيته وفقاً لمعطيات اعتبارية مهمة وإن حاول الفكاك منها أو الانعتاق من ضروراتها قصداً أو من دونه ستظهر ارتساماته المتجذرة سواء كانت في انسيابية التعامل من حيث اللهجة أو طريقة التصرف أو في تبنيه لمشروع جمالي يعنى بالأدب والفن والموسيقى، فالمكان له وقعه حال اكتشاف الفرد لنفسه ومن غير الممكن أن يستورد ذاتاً مغايرة عن واقعه وهو المشتق من هذا الواقع.

أشير هنا إلى فاعلية العدة الغنائية في هذه المدن ومدى حيازتها من لدن المتلقي ليصبح لها دعائم وركائز متعشقة ومتداخلة بهموم الناس ومستقرة في هواجسهم، ربما هي لسان حالهم الذي يلخّص أقدارهم في التعبير عن كم الحيف والغبن ومراحل الفقد التي أصابتهم على مر الأزمنة، واقعاً، إن ثمة حفنة من الأسئلة التي راودتني حال استماعي ومتابعتي لعدد ليس بالقليل من الأطوار الغنائية العراقية المصدّرة لنا من مدن العراق كافة على اختلاف أعراقها وأنساقها الاجتماعية وتكوينها المعرفي، أتساءل في سري، لماذا ولد طور (المحمداوي) في محافظة ميسان وطور (الشطيت) في محافظة ذي قار أو طور (الحياوي) في محافظة واسط، هل ثمة عوامل أسهمت في خلق هذه الأطوار فضلاً عن رواجها على مدى الفترات التي نشأت فيها واتّسقت مع مصائر أبنائها وأصبحت هوية فنية مهمة تنعم بها هذه المدن. برأيي أن هناك عوامل عديدة اشتركت في ظهور هذه الأطوار، كان أولها هو الطبيعة المسترسلة غير المتكلفة التي اجترحت قاعاً عفوياً فطرياً دفعت لولادة هذا النوع من الغناء، فالمدن التي يحدها النهر والمفتتنة بالنبت والطلع تكون مؤثثة بمشغل متنوع له عوالمه المدهشة، إذ إن نزوع الحضارات وما وصلنا من إرث معرفي وفني على مر السنين جاءنا من الأرض اليانعة المخضرّة مكونة لهذه المدن ذخيرة ومحصلة جمالية مهمة، ما أعنيه أن هذه الأطوار كانت مؤرخة ومدونة مع بزوغ أرضها الأولى التي ولدت منها بملامحها الفتية ونضوجها فيما بعد لتتوالى عليها الريح وجريان الماء وتزاحم اللهجات واتساقها بحقيقة الناس ومستحدثاتهم اليومية لتصل إلينا بهذه الحلة، وصار لها تأسيس وحاضنة ثقافية فنية لها لوازم معينة عرفت من خلالها مكنتها من الثبات وفرض إيقاعها النغمي الصرف، فمن المستحيل أن تكون هذه الأطوار وليدة الصدفة بل إنها أتت مركبة ومزدوجة كحال جميع الفنون التي تبعت خطى الإنسان وسارت معه والتزمت بطقسه وواكبت تطوره وانصهرت بجميع تمشكلاته الإنسانية والمجتمعية وقد مرت بمناخات متناوبة عديدة لها أثرها الفاعل في الوصول إلى هذه الهيكلية، ومما لا شك فيه أن دلالة المساحة المنبسطة تعطي قدرة شاسعة لفضاء الصوت تغني الجملة الموسيقية والتي بدورها تتسق والحالة الشعورية التي صاحبت ولادة الطور الغنائي وهنا تصبح عملية تلاقح صرف تأتلف بها الطبيعة بتوافقية شخوصها لتحتشد عوامل عديدة تكمل وتعضّد وهج الطور، وتظافرت عناصر أخرى في هذا المنحى منها عامل المقبولية، وقد تجسّد هذا العامل على مسارين أولهما مدى فاعلية واستجابة الخامة الصوتية لمثل هكذا أطوار مما أصبح هناك أمارة بالفطرة شاركت بصورة كبيرة في إبراز حلاوة الطور وإبراز انزياحاته النغمية التي فتحت مشارب عديدة في كيفية استطالته وتمكين مقدرته التي أتت من خلال مؤديها، ربما ثمة فعل وراثي خالص تناسل في هذه المدن ليكون أشبه بالعُرف الذي اتسمت به الكثير من المدن، فما وصل إلينا أن هناك قبائل معينة عُرفت بفخامة الصوت وقدرتها العالية على إيصال الجملة الغنائية بصورتها الصحيحة، كذلك الحال إلى أن هنالك قبائل أخرى امتازت بأصواتها الدافئة وجمالية التنغيم وهذه صفات لها خصوصيتها في تفرد الإنسان كحال السحنة وطول القامة ولون العيون ومزاجية الشخص نفسه والتي بنيت على إثرها الكثير من الأمور التي تعنى بطبيعة المجتمعات، المسار الآخر هو استجابة أذن المتلقي وانجذابها لمدونة غنائية كهذه ليصبح لها مقبولية كبيرة في هذه المدن، وهذا لعمري من أهم العناصر التي حفّزت على ديمومة هذا النوع من الغناء واستمراره، الشيء المهم الذي علينا أن نعيه (إن أي فعل جمالي له خزانته المستوحاة والمستخلصة من صورة المكان والمشتغل عليه فيما بعد إمعاناً لظروف إجرائية عديدة تصاحب هذا الفعل ليصدر لنا ويصبح هوية فنية تعرف من خلاله المدن فمن غير الممكن أن يكون طابع التأسيس لا يحتكم لسياقات لها أرثها وأثرها على مر العصور).



بين التعقيد والتبسيط

أحمد الجميد: الجوف

على مر العصور، كان العقل البشري علامة فارقة في كل المنعطفات التي شهدها البشر، ولم يكف عن العمل على وضع الحل تلو الآخر، عندما يتعامل مع كل ما هو معقد -بالنسبة إليه- بترجمته إلى صورة أبسط مما هو عليه، بالإمكان التفاعل معها، لتعود بالنهاية على الإنسان بالمنفعة سواء المادية أو المعنوية، وبالتالي مواصلة عملية البقاء والتطوّر.

رصيد هائل من الإرث البشري، والتجارب المتعددة والمتنوعة التي قد تراكمت منذ آلاف السنين وإلى يومنا هذا، كانت نتيجة لأسلوب التفكير الفريد للعقل البشري في مواجهة الواقع المُعقَّد، وعدم فهم الكثير من المسائل الشائكة ابتداءً من النفس، بالإضافة إلى الظواهر المحيطة به، من خلال خلق مقابل لها أكثر تنظيماً واتساقاً حسب اعتبارات الوعي المرحلي الخاص بكل فترة تاريخية، وليست الثقافات، والنظم الاجتماعية، والمعتقدات، وغيرها التي ما تزال حتى وقتنا هذا، علاوة على ما وصلت إليه العلوم من حقائق، إلا محصلة (غير نهائية)، لجميع المحاولات السابقة التي كان مصدرها العقل البشري في إدارة كل ما هو معقد من حوله، وإيجاد صيغة ما منه تكون مبسطة ومجدية بالوقت عينه.

كل شيء ينبغي أن يكون في أبسط أشكاله، لكن يجب ألا يكون أبسط مما هو عليه، كما يقول العالم (آينشتاين). وربما قد نستطيع القول: إن كل ما أنتجه العقل البشري في هذه الحياة هو في أبسط أشكاله دائماً، وما هو سوى نتيجة تفاعل يتمحور حول القاعدة الدماغية ذاتها التي قد نطلق عليها هنا: (تبسيط المعقَّد)، وإذا ما نظرنا إلى كل شيء من حولنا في وقتنا الحالي من أنماط، وتطبيقات، ووسائل، وأدوات، والعديد مما يمكن النظر إليه، التي تنتمي لمجالات مختلفة عديدة، كالتجاري والمعرفي والاجتماعي، وأخرى غيرها، لوجدنا أنها في الأساس تحمل شروط القاعدة ذاتها بين التعقيد والتبسيط، وما هي في العمق إلا عبارة عن حاجة إنسانية قد تم تلبيتها بكيفية أكثر سهولة مما هي عليه.

وفي هذا السياق فإن ثمة العديد من الأمثلة التي يمكن الاستعانة بها من أجل تعزيز



ذلك. فقط لنأخذ أيّ مشروع تجاري، أو إحدى الخدمات، أو المنتجات من حولنا، ونتفقد المُحرّك المُرتكز عليه، وما الذي جعل منه مشروعاً أو خدمة، أو منتجاً يُقبِل عليه الآخرون، عندها سوف نجد -بلا شك- أن قاعدة (تبسيط المعقّد) التي يتبعها العقل البشري مع كل ما هو محيط به، حاضرة وهي أرضية مشتركة طوال الوقت لجميع الأفكار ليس في المجال التجاري فحسب، بل في غيره من المجالات الأخرى أيضاً.

بمعنى أننا لو نظرنا إلى مسألة الأكل -على سبيل المثال لا الحصر- وما الذي طرأ عليها بين التعقيد والتبسيط، لأمكننا ملاحظة الكثير من التحولات في هذا الصدد، فبدل أن يكون احتياج الإنسان للأكل قضية معقدة بسبب السفر أو العمل أو حتى الملل والكسل أو لأي سبب كان، فقد تمت تسوية ذلك وفق شروط القاعدة الدماغية عينها، وأصبح الأكل مشروعاً وخدمةً ومنتجاً يتم تقديمه في كل مكان، كما أنه يتم توصيله إلى أي مكان، ولم يَعُد هَمّاً يُذْكَر تحت أي سبب ما.

وعلى غرار ذلك، تخيل صعوبة أن يكون لكل مُنْتَج في الأسواق المركزية (السوبر ماركت) مكان منفصل يُباع فيه، ولم تُضَم تحت سقف واحد كبديل سهل عن تشتُّتها! ماذا سيكون عليه الحال دون هذه الفكرة التي بالارتهان إلى شروط التبسيط، اختصرت الكثير من الوقت والجهد.

بهذه الطريقة يتم تحويل الاحتياج إلى منتجات وخدمات ومشاريع تجارية، عبر الاختصار والتنظيم كما يقول جون مايدا، وقسْ على ذلك غيرها من الأفكار التجارية التي جميعها قد حقّقت وراعت شروط التبسيط الذي ينشده الطلب عموماً.

إضافة إلى المجال التجاري، وليس بعيداً تماماً عن التداخل معه، فإن بالإمكان تقديم أمثلة أخرى من شأنها تدعيم طريقة البشر في مواجهة المُعقّد، ومحاولة تبسيطه على الدوام، وهنا لا أجد بُدّاً من ذكْر وسائل التواصل الاجتماعي، التي هي بكل تأكيد غير مستثناة من تلك القاعدة، وإلى جانب أنها قد حققت سهولة التواصل مع العالم الذي كان أمراً معقداً في السابق، فإنها أيضاً قد استجابت لمتطلبات روادها المنتفعين منها المعقدة على اختلافها، فمن كان سابقاً يبحث بصعوبة عن الفكاهة، أو المعلومة، أو فهم بعض الأمور اليومية السريعة، أو حتى من كان لديه رغبة صعبة المنال سابقاً في مراقبة الآخرين، فقد وجدوا جميعهم ضالتهم في هذه الوسائل الحديثة التي لديها من المرونة ما يُمكّنها من استيعاب كل ذلك وأكثر، وتلبيته بكل يسر وسهولة، وهو ما يُفسّر الإقبال الكبير والمتزايد عليها.

كما أنه لا يمكن الحديث عن شروط التعقيد والتبسيط دون الإشارة إلى مسألة النفس البشرية، وهي الأكثر تعقيداً بلا منازع، ولأنها كذلك فإننا نجد منذ القدم محاولاتٍ مختلفة في هذا الاتجاه على شكل فلسفات، وأفكار، وثقافات، ليس بالضرورة أنها كانت صحيحة، لكنّها على أية حال كانت جهوداً في مسار معالجة أمر معقّد، إما بالتبرير أو التفسير، هذا فضلاً على أننا نحظى اليوم بالعديد من التخصصات والمتخصصين في تنمية الذات، أو علم النفس، وغيرها من المجالات التي تهتم بالنفس البشرية وتدْرُسها، مما يجعلها مطلباً للكثيرين الذين مهما اختلفت دوافعهم وأسبابهم إلا أنها تتفق دائماً في جانب الانتفاع من قدرة هذه المجالات على التبسيط.

ذلك ما لخصته مشاركة أحد روّاد وسائل التواصل الاجتماعي، حيث كتب في صفحته أمام الجميع: «بصراحة أنا بحاجة إلى أحد ما يفهمني، وبعد ذلك يشرح لي ما الذي أريده بالضبط!» هكذا أفصح بكل وضوح عن رغبته في تبسيط المسألة المعقّدة عليه، باحثاً عما بإمكانه محاولة شرح نفسه لنفسه.

إن النتيجة التي يمكن استخلاصها من كل ذلك هي أن الإنسان -على الأرجح- لديه نزوع فطري متأصل للتبسيط، وبالمقابل فإنه وُجِدَ في واقع معقّد، وعالم يفوق طاقاته، وهذا ربما ما يُشكّل مصدر قلق ومضرَّة له، بينما يمنحه التبسيط الاطمئنان والمنفعة اللازمتين، وفي غضون ذلك، فإن الإنسان لطالما ابتكر نسخة من العالم أكثر خصوصية وملاءمة له.

بين حلم وإنجاز

نورة بندر السويطي: حائل



بعد يوم مليء بالإنجازات وساعات التعب أجدني قد استلقيت على ظهري فوق سريري الخشبي، شاعرةً بألم في جسدي النحيل جرّاء يومي الشاق.. حينها أضع يديّ الصغيرتين خلف رأسي قبل أن أتساءل: لمَ أنا متقوقعة على ذاتي ولا أحب سوى قلمي الرصاص ودفتري الأسود، ولا أتلذذ إلا بيومي المليء بالإنجاز؟! يومي الذي لا أشعر أنه كاف لكلّ ما أريد تحقيقه ولو لم يكن لجسدي حقٌ عليّ أن أريحه لتابعتُ العمل حتى آخر رمق، ولكني حينها أدركت بأني مختلفة عن قريناتي، حيث لا أهوى مثلهن الخروج لغير دواعي العمل، كما لا أهوى الحديث دون فائدة طالما الثرثرة المجانيّة تؤلم رأسي، لذا فمن الطبيعي أن أكون ملهمة لصمتي حين لا أتكلم إلا لفائدة، وعليه فأنا أيضاً لا أهوى الجلوس في المقاهي وتحسس الضجيج، أما الموسيقى فتجعلني لا أركّز أثناء حواري مع الآخر، وهذا ما لا يحدث أثناء ممارستي الرياضة التي أشعر من خلالها أن حواسي كلّها متيقّظة وقادرة على التفاعل مع محيطي، أمّا اللباس الذي يليق بي فهو اللباس الواسع بسعره المتواضع إذ لا أكترث بالبراندات كي يُعجب الآخرون بمظهري، لأنني عموماً أحب أن أظهر على طبيعتي وكما أنا دون مُجمّلات لن تضيف لي شيئاً. كثيراً ما أغوص بأحلامي التي أتقدّم من أجلها بالعمل لذلك أنا مغرمة بذاتي ومظهري وبكل حلم عملت من أجله وأنجزته بشغف، فأنا لا أهوى سوى العزلة لأنني مغرمة بحواري مع ذاتي وتأملي لحجرتي ذات الصبغة القديمة، وسريري وكرسيي الخشبيين، وأستمتع بألوان لباسي داخل خزانتي الخشبية ونافذتي التي تحيطها من الخارج أسوار حديدية صدئة، مغرمة بمكتبتي ورفوفها الخشبية المدببة التي تؤلم أطراف أصابعي في كل مرة آتي لألتقط منها كتاباً، لذلك كونوا كما أنتم لا تتصنعوا ولا تكونوا أشخاصاً لا يشبهونكم، لأنكم لن تستطيعوا أن تعيشوا أحلامكم وتهدروا طيلة يومكم باللهو دون حلم يشبهكم ويطلب منكم إنجازه، وأخيراً بالتأكيد راودكم الفضول لمعرفة عمري والبعض منكم ربما ظن بأني كبيرة بالسن، أو ربما تخيل أني بعمر ضعف عمري، لذلك سأخبركم أنني في الحقيقة فتاة لم تبلغ العشرين بعد وتعيش فقط بين حلم وإنجاز.



مكابدات

عامر ممدوح خيرو: العراق

إنسان.. بلا خرائط.. بلا ملامح!

كم يهتم الإنسان بالتحرر من كل شيء، معتقداً أن في ذلك خلاصه!

يحدث هذا بشكل متكرر، وفي وقت تضغط الحياة المعاصرة على الجميع لتجعلهم أكثر تمرداً على الواقع، والقناعات، والمفاهيم، وتسير بهم قسراً إلى دروب متشابهة في الملبس والمأكل، والتفكير، والاتجاه.

العالم، المجتمع، الدول، الإنسان ذاته، بلا خرائط، بلا ملامح، هكذا يريدونه، وهو مضمون مختلف المشاريع التي تطرح اليوم لتنزع الجميع من جذوره، ولتجعل الواحد منهم يسير في طريقه دون أن يعرف مبتدأه ومنتهاه، متحرراً كما يظن طليقاً لا تحده حدود، ولا يوقفه حاجز مهما كان!

ولو نظرنا في الضخ الإعلامي اليومي، وبمختلف الصور والوسائل، لوجدنا أن ذلك هو المغزى والرسالة، تقدم للصغير والكبير على حد سواء، حتى تحملهم في أحيان كثيرة وبالإكراه المغري لرفض أي التزام أو انتماء!

فهل يتحرر المرء هكذا فعلاً؟!

الحقيقة أنه مهما ظهرت القواعد والأنظمة والمعتقدات بشكل القيود التي تحد من حركة الإنسان، فإن الأصيل والنافع منها على العكس من ذلك، يمنحك أجنحة الانطلاق، ويجعلك تملك زمام القوة الحقيقية، فالروح تحلق مع الإيمان، والأرض تبتهج بتطبيق النظام، والإنسان يسعد بالتمايز لا التشابه، لأنها الفطرة، ولأننا هكذا خلقنا الله جل في علاه.

والحصيلة لمن سار في هذه الدروب واستجاب مريرة، وفاقدة لمعنى الوجود والحياة، فأي حياة للمرء وهو يعيشها دونما هدف يرسم له غايته ورسالته وسبيله ليحقق معنى وجوده كما أراده الله؟!

وأي طعم يتذوقه الإنسان لكيانه وهو يرى وجهه بلا ملامح، بلا عنوان؟!

الإنسان بدون خرائط لا قيمة له ولا خصوصية ولا هوية.. وهو لا يعدو أن يكون رقماً باهتاً اللون بين الأرقام، لكنه حين يمضي وهو يحمل معه فكره وإيمانه والتزامه، يحمل معه معنى سعادته ومفتاح نجاحه.

لذلك كله.. ومهما كانت الضغوطات قوية وشديدة الوطأة التزم لنفسك المسار، ولقلبك نبضه الخاص، ولعقلك فكره المتقد، ولشخصك الانتماء.

فمهما تشابهت الأسماء والأشكال.. تميز عن غيرك، وكن أنت.. فقط.

***

صراع معاصر

لا أدري هل يبدو طبيعياً وواضحاً ذلك التغير في ملامح الناس؟!

تجد أكثرهم إشراقاً وابتساماً وكأنه قد أخفى شيئاً بين تلك الضحكات، قد يكون حزناً عميقاً، أو انشداداً يومياً غدا سمة الحياة المتسارعة، أو إعلاناً لوقوعه فريسة القلق المعاصر!

لا أملك قطعاً جواباً نهائياً، ولكني أتلمس هذا الأمر بكلتا يديّ.

وأكاد أزعم جازماً أن كل ما يشهده العالم اليوم من متغيرات، وصراعات، وتقلبات، لا يمر هكذا دون انعكاس على حياة الناس، أبداً.

حتى وهم لا يشعرون على وجه الوضوح حقيقة ما أقول، لكن تصرفاتهم وأشكالهم وسلوكياتهم بالتالي كلها تنبئ عن ذلك.



شخص فطوره اليومي نشرة أخبار مدعاة للكآبة، وغداؤه تشييع حبيب، وسهرته معركة من الآراء المتناقضة المتضاربة! ماذا عسانا أن نتصور تأثير كل ذلك عليه؟!

وآخر يدق القلق على مصيره الباب كل لحظة، وثالث يفترش هموم المعيشة لتكون بساطه، فحاله كحال المستجير من الرمضاء بالنار!

لقد بات الصراع المعاصر ظاهرة لا يمكن تجاهلها، وهي تلقي بظلالها الثقيل لتزيد من شقاء الناس، فضلاً عن كونها ترسم للمجتمعات أخاديد من الأزمات المتعاقبة والتي يستلزم علاجها الكثير من الوقت والجهد.

فهل نعي هذا الوباء الخفي؟!

وهل نستعد لعلاج تراكماته؟!

بل.. هل نسعى لنوفر الحصانة منه حماية لمستقبلنا المنظور والمنتظر؟!



تفكيك الصورة من منظور الحواس

حسن الربيح: الأحساء



كيف تلعب حواس الأديب في كتابة النص؟ ومن أي مكان ينظر إلى الأشياء؟ وبالتالي كيف نفهم النص من خلال هذه المنظورية؟

أسئلة يثيرها كتاب: (المنظورية والحواس في تفسير النص) للشاعر العراقي صلاح نيازي، ويحاول أن يجيب عنها من خلال نصوص شعرية عربية وأجنبية.

الكتاب يقع في (126) صفحة، صدر عام 2017م عن دار المدى، وهو في الأصل مقالات كتبت في أوقات متباعدة، ولكنها تحمل رؤية نقدية واحدة، لذلك عمد نيازي أن يجمعها في كتاب.

يمارس نيازي قراءته للشعر بتطبيق معيار الحواس في توضيح الصورة الأدبية في نصوص عربية، وأخرى مترجمة للعربية، ولم يكتفِ بالشعر فقد انتقل بالتطبيق إلى نصوص ملحميَّة ومسرحية وقصصيَّة، حتى أنه وقف على سورة التكوير، ليكشف لنا قيمة هذا المعيار في كيفية تكوُّن الصورة الأدبية وانسجام هذا المعيار مع التفسير.

الأسماء التي استشهد بها في كتابه جاءت من أزمنة وأمكنة مختلفة بدءاً من امرئ القيس إلى المتنبي وشكسبير وهيلدرلن ودانتي وبوتشي وأحمد شوقي والجواهري، وانتهاءً بيوسف إدريس.

يعتقد المؤلف أن مصطلح المنظورية والحواس في تفسير النص ظهر في عصر النهضة، وفي الفنون التشكيلية الأوروبية تحديداً، ولاسيما الإيطالية، فهو لم يوضع موضع التطبيق من قبل، ولأنه أرض بكر، فلا بدَّ من معالجته بحذر، وفعلاً كانت معالجته تسير بثبات وسيطرة على المسك بأداته المعيارية، وبالتالي فإن أهمية الكتاب تأتي من هذه الجِدَّة، والقراءة التي فتحت لنا آفاقاً أخرى في تفسير النص الأدبي، فنيازي يؤكد أن المنظورية انتقلت من الرسم إلى عدسة التصوير في الكاميرا السينمائية، إلا أنها لم تدخل في المصطلحات النقدية.

ينقل لنا تعريفاً للرسم المنظوري: (فن رسم الأشياء بطريقة تحدث في النفس عين الانطباع (من حيث الأبعاد النسبية والحجم إلخ) الذي تحدثه هي ذاتها حين ينظر إليها من نقطة معينة).

بالانتقال إلى مواضع التطبيق يرى نيازي أن امرئ القيس في قوله: (قفا نبك..) لا يخاطب خليليه بالتفسير التقليدي للنص، بل يرى أن شخصية امرئ القيس انشطرت نصفين، من هول ما رأى، فالشاعر يعبِّر عن هذه الحالة من خلال انفعال حواسه بالمكان الذي أصبح موطناً للذكريات والحنين.

ومع المتنبي يرى أن زاوية النظر في قصيدته جاءت من أسفل إلى أعلى من خلال وصف قلعة (الحدث الحمراء)، أما بالنسبة لقلعة (دنسينان) في مسرحية (مكبث) فزاوية النظر من الداخل، فهي عكس نظرة المتنبي الخارجية، ويرى أن شكسبير والمتنبي أكبر شاعرين غريزيين حيث يسكب الشاعر عواطفه إلى إحدى حواسه الخمس.

وهكذا يدخل نيازي في مقارنات صورية من حيث وقوف الشاعر على المكان وزاوية نظره ليفسِّر حضور الألوان والأشكال من حيث البعد، والقرب، وحركة الرؤية تدريجياً، أو خطفاً.

وفي مسرحية (هاملت) يتحدث عن حاسة الشم وكيف بلغت أقصى تعقيداتها وتحولت لأداة تعذيب في المسرحية؟

ويرى أن (رامبو) يعمد إلى تدمير الحواس أي إلى مزجها أو صهرها جميعاً، فتظهر لنا صورة شعرية متواشجة مؤثرة وكثيفة.

وفي سورة التكوير يستبعد تفسير قوله تعالى: (وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ) بالنوق الحوامل استناداً إلى منطق الحواس وحركة النظر إلى الأعلى حيث بدأت السورة بالشمس والنجوم والجبال، فمن المنطق أن يكون تفسير العشار بالسحاب لأن حركة النظر ما زالت في الأعلى.

الشواهد والتفاصيل كثيرة، ولكن ما يشدك في الكتاب الموازنات التي لا تخلو من إدهاش، ومتعة، والقدرة في تفعيل الحواس ليصل بك إلى كشف جديد.

هذا الذي أسماه نيازي بالمنظورية لم يكن منهجاً جديداً، وإنما أداة تمت استعارتها من فنون أخرى لتجرِّب إعادة قراءة الصورة في العمل الأدبي كما تظهر للأديب من حيث نسبية القرب والبعد والداخل والخارج والأسفل والأعلى، فبعد أن كانت الصورة في المناهج الأخرى نكتشفها من منظور فنِّي، أصبحت هنا تتجلى لنا من خلال حاسة معينة تقوم على تشكيلها من بُعد معين، وبالتالي فإن التفسير سيكون جديداً على القارئ.



جهز نفسك للفشل لقد عثرت على النجاح

ليندة كامل: الجزائر

لقد مررت بالفشل لقد أصبح لدي مناعة ضده، الآن سأستقبل النجاح، وأنت يا من نجحت، جهز نفسك للفشل، تأكد أنه شعور مرّ لا يطاق. الحياة عجلة ندور فيها ونمر بكل ما فيها فلا تتعثر.

الفشل محرك جيد للإرادة، طبعاً لمن يستطيع تجاوزه، هناك عدة أنواع من الفشل وأصعبها الفشل الدراسي والفشل العاطفي.

مرور شخص ناجح بهذه المرحلة يولد لديه شعور الرفض الذي يخرج على شكل حالات نفسية، مثل البكاء والإغماء وهناك من يتعرض للجلطة أو إلى هبوط السكر أو ارتفاعه.

كمن يتعود على حياة ذات مستوى عال أو يكون غنياً، وفي لحظة يفقد كل شيء، طبعاً هذه الصدمة لها انعكاساتها، النفسية والجسدية، وحتى الاجتماعية.

المجتمع غالباً ينقلب على الفاشل، وينظر له نظرة احتقار، يمجد الناجح ويدعمه

وهذا ما يخلق خوفاً في العمق النفسي للفاشل ويحدث اضطراباً لأنه في ورطة بين ما يريد وما يتلقاه وما يعكس عليه صارع يبدو بسيطاً، لكنه عنيف جداً

يمكنك تجاوزه باتباع عدة سبل:

منها تقبله رغم مرارته، تقبله ثم اعرض على نفسك تحليلاً منطقياً له، سيتفاعل معك عقلك وستشعر بنوع من الراحة، يمكنك وضع خطة طوارئ لتجاوزه، طبعاً هذا سيشحن روحك بقوة غير طبيعية ولكن ستنفد هذه الخطة إن لم تدعمها بالتوكل على الله ووضع برنامج منظم للخروج من الفشل.

في الأمور العاطفية تتشابك العواطف بين الرفض والحيرة والشعور بالنقص وعدم تقدير الذات، وهناك من يلتجأ إلى الانتحار، طبعاً هذا في زمن الحب العفيف، اليوم قصص الحب مثل أزرار الهاتف، يمكنك التنقل من زر إلى آخر إلى أن تجد الزر المناسب؟

في قصص الحب عليك أن تنظر إلى الجانب السلبي في الشخصية، إلى كمية الألم الذي سببه لك الطرف الآخر. وأن تشعر بمحبة نفسك أن تحب نفسك موضوع في غاية الأهمية من أجل بنية نفسية قوية وسليمة، فلا تنتظر من آخر أن يمتدحك أو يحبك حتى تشعر بكينونتك.

أن تسعى لتحقيق هدفك وأن لا يكون في اختيار العريس طبعاً.

في علم النفس من يتجاوز الفشلين (العاطفي، الدراسي) فإنه يستمتع ببنية نفسية سليمة ويمكنه مواجهة صعاب الحياة.

حين يأتيك النجاح ستكون في كامل قواك النفسية القوية وستشعر بطعم النجاح بطريقة رهيبة.

إذاً لا تحزن إن كانت تجارب الحياة اختارتك ليكون الفشل أول الطرق في حياتك، وعوض الله ستدهشك، فقط ثابر واصلب وتوكل وتذكر قول ألبرت إنشتاين الذي مر بالفشل في شهادته العليا سبع مرات متتابعة ثم أصبح علماً يعيش بيننا، يقول:

(كل إنسان هو عبقري بشكل أو بآخر، المشكلة أننا نحكم على الجميع بمقياس واحد، مثلاً لو قيمنا السمكة من خلال مهاراتها في تسلق الشجر، ستظن كل حياتها أنها غبية).

الفشل الدراسي يقف خلفه عدة أسباب لو قمنا بإحصائها ستجد نفسك أول الأسباب عكس الفشل العاطفي القائم على القبول من الطرف الآخر وهذا القبول يدخل فيه عدة مقاربات.

ربما سأوضح بعض عناصر الفشل الدراسي الذي يقربه علماء التربية، منها البرامج المقدمة وقدرة تكيف ذكاء الطفل بها، فأغلب البرامج لا تقوم على أساس دراسي لمستوى ذكاء الطفل، منها طريقة إلقاء الدروس تختلف من أستاذ إلى آخر، الجو العام داخل القسم، النظام المدرسي والمتابعة الميدانية للمؤسسة، كثافة البرامج، بالإضافة إلى العوامل الاجتماعية والأسرية ودور الوالدين في قيادة أبنائهم، تأثير الافتراض على أذهان الطلاب، والكثير من الأسباب المتشابكة، منها النفسية: التلاميذ ومدى تقبلهم للعملية التعليمية والطريقة المتبعة في الامتحانات وطريقة تقييمها.



لا أريد أن أبرر فشلك أيها القارئ بل أحاول أن أجعلك تقف من حالة الإحباط الذي انتابك حتى تتمكن من الوصول إلى النجاح. راجع نقاط ضعفك وحاول أن تعمل عليها لتحقق التفوق. يمكنك فعل ذلك حقاً.

أحتَاج إلى اتّساع...

ريم العصيمي: شقراء

كي أكون أكثر صدقاً وإيضَاحاً...
أعتَقد أني سأشعر بارتياح حَقيقي عندما أخرج عَن حُدود ذاتي، ولكن...
كيف يُمكنُني ذلك؟ كَيف يُمكنُني التأكُد بأنني أسير بالطَريق السَليم؟
هُناك جوهرة حَقيقية تتلألأ بداخلي تَعكس لي صَفاء الحَياة...
تَغمرُني في اتساع مُجَمّل بالألوان المُريحة...
تَأخُذُني إلى العَالم المُضيء...
أرى بعيني كلَّ مَرغوب...
أرى لافتة شاهقة لسابع سماء... لا يوجد مَمنوع...
والمريح في الأمر أن هذا الجَوهر نابع من القلب، مُعتّق بالأصول والعَقائد،
ومُزين بالعَادات السامية والتقاليد الأصيلة.
هي فكرة بسيطة جداً... لا تحتاج إلى إيضاح وتفصيل...
تَحرر من كلّ مَمنوع قَد يُخيف مَلامحك...
فَانطلق من مَكانِك ومَقامك... من مَبادئك السامية...
سَتُضاء لك طَريقُك...
سَتكون هُناك رحلة يومية جديدة... تأخُذُك إلى كل مَكان...
سيكون سَفَرُك سَهل الوُصول... سريعاً ومحاطاً بالبساتين...
ستَصل إلى الإدراك الخَلاب...
سَتَعيش فوقَ عالم الأفكَار والمشاعر...
سَتدفق همومك أرضاً...
ابتعد عن الإيذاء... وخذ حَيزاً من الفَضَاء...
أنت تَعلم... أن جَوهَرك يَحتاجُ إلى تَرفيه وتنقية...
أنت تَعلم أنهُ عَامل طبيعي مَرن يَحتاج إلى الاتساع
أرجوك... لا تَخذله...
هَمسة لكُل الجواهر...
زينوها بقواعد الالتزام... دامت مُحكَمة بالعالم العَقلي...
فالعوالم خُلقَت لتتسع وتستَقر فيها حَقيقة الجوهر الأصلي...
وبَعدها طيروا بِطُهر...





التوأمان: الريادة في الوعي بالآخر

علي زعلة: جازان

حفلت الرواية العربية بعدد من النصوص التي عالجت موضوع العلاقة مع الغرب، فمنذ بواكير أعمالها اتجه فرع أساسي من الرواية العربية نحو التعاطي الحصري مع ما سماه جورج طرابيشي إشكالية الأنثروبولوجيا الحضارية، أي إشكالية العلاقات ما بين (الشرق) و(الغرب) -حسب تسمية أكثر كلاسيكية. وعلى المنوال ذاته وُلدت الرواية السعودية متلفتةً إلى آخرها الحضاري، ابتداء بصدور أول رواية سعودية وهي رواية (التوأمان) لعبدالقدوس الأنصاري عام 1930م، مع بدايات التحولات الكبرى للمجتمع السعودي وثقافته ومؤسساته إبّان توحيد الدولة، وما رافقها من بوادر انفتاح ثقافي واقتصادي وحضاري، بعَث على الحذر والتوجس لدى فئة غير قليلة من المثقفين الرواد من مغبة ذاك الانفتاح. وكان ذلك ردّ فعل مبرّراً في بلاد تعلن الإسلام شريعة لها ودستوراً، ويغلب على مجتمعها المحافظة والتمسك بالتقاليد.

لا يمكن إغفال الدلالة الثقافية الجلية في تأليف عبدالقدوس الأنصاري رواية (التوأمان)، إذ كتبها وهو يعي تماماً أبعاد المغامرة التي يرتكبها بإيجاد رواية من ذلك العدم الأجناسي في محيط الجزيرة العربية كافة، وفي المحيط العربي إلى حد ما. ورغم وعيه بضعف أدواته السردية التي لن تسعفه في كتابة عمل يستحق أن يسمى رواية؛ أصرَّ على تجنيسها بأن كتب على غلافها الخارجي وفي مقدمتها (أول رواية صدرت بالحجاز)، واضعاً إياها ضمن جنس الرواية، مع سابق الإصرار والوعي بما يفعل، وكأنه كان يعلم -وهو مثقف واسع الاطلاع- أن أوائل نقاد الرواية في أمريكا وأوروبا أخذوا يؤكدون -حسب والاس مارتن- على أهمية النوع الأدبي (الرواية) في زمن كانت فيه دعاوى الجدارة الأدبية مبنية على تحليل الشكل، وطالما استمرت مناقشات الرواية تؤكد على موضوعها، ومحتواها، متجاهلة قضايا الشكل التي كانت حينذاك مهمة في النقد وعلم الجمال.

لربما سماها عبدالقدوس روايةً لعلمه أن الرواية في ذلك الوقت لم تكن تحفل بشكلها الفني قدر عنايتها بالموضوعات والقضايا التي تعالجها والأدوار التي تضطلع بها في مجتمعاتها وثقافاتها. لقد كانت (التوأمان) فعلاً ثقافياً تنويرياً، مخالفاً للقيم التقليدية المنغلقة السائدة، إذ كانت تتغيّا الإصلاح الاجتماعي، وتدعو إلى وحدة الهوية السعودية الداخلية، وتعزيز الانتماء الوطني، ونبذ الولاءات القبلية والصلات القرابية أو المناطقية أو الجهوية، وصياغتها ذاتاً واحدة في مواجهة الآخر الخارجي الذي يحوم حول الجزيرة العربية وحول العالم كله، محتلّاً أو غازياً ومستعمراً بالعسكر أو بالأفكار، وهنا يكمن وعي المثقف، وجرأته في أداء رسالته.

لقد كان عبدالقدوس الأنصاري حداثياً في مقدمته أكثر منه في روايته، إذ وردت في مقدمته إشارات عديدة تعزز وعيه المبكر بالهوية وبالآخر، حيث بدا واعياً بضرورة تعزيز الهوية الوطنية وخطر الفكر الاستعماري وأدواته، إذ يقول: (وبدهيّ أن الفتح الأوروبي إنما اعتمد في توسعه وانتشاره على سلاحين: الدعاية القلمية والآلات الجهنمية). موضحاً أن الروايات المنسلخة من الأخلاق تأتي ضمن السلاح الأول. وفي سعيه للإصلاح نجده يتوسل بجنس أدبي حداثي غربي، بهدف (مقاومة تيار الفساد من نفس طريقه (...) كالتحرير في بعض الأحيان على الأسلوب الروائي) -كما قال.

ومما يدل أخيراً على وعيه وإدراكه الشمولي لمسألة الآخر الغربي؛ قوله عن روايته: (وليس من مقاصدها ألبتة الإغراء بجفاء العلوم والفنون التي قد ضربت فيها (أوروبا) أخيراً بسهم وافر.

لا. لا. لا يتسربنَّ ذلك إلى ذهن غبي لا يتدبر... فهذه قد كانت منا ولنا، فيجب إذاً أن نسعى سعياً حثيثاً متواصلاً لاقتناصها منهم وردّها إلى مهدها الأول. ولكن بذيّاك الأسلوب القويم المدمج بمدنيتنا، السائر على مقتضى تقاليدنا نحن).

ثلاث لاءات ناهية، ونونٌ مضعّفة، ووصمٌ بالغباء لمن يَفهم من حديثه تحريضاً على العداء أو العنف تجاه الآخر، وتأكيدٌ على الأسلوب المتمدن الموضوعي الحضاري، الذي يتأسس على قيم الدين والوطنية. لقد صاغ عبدالقدوس وعياً مبكراً عميقاً بمسألة الذات والآخر في هذه المقدمة التي تعد عتبة نصّية مهمة جداً، ونصاً موازياً يرفد دلالات النص الأصلي، ولا يقلّ في الأهمية عنه.

لقد حظيت (التوأمان) بدراسات عديدة رأت لها فضل السبق التاريخي، ووسمتها بالتقليدية ورفض الآخر، لكنني أرى أن هذا حكم متعجّل غير دقيق، إذ شكلت (التوأمان) -في نظري- بذرة الموقف التأسيسي للذات الروائية السعودية تجاه الآخر، الذي امتدّ أثره إلى الأعمال الروائية التي صدرت بعده كرواية (البعث) ورواية (فكرة) الصادرتين عام 1948م، ثم رواية (ثمن التضحية) الصادرة عام 1959م. وهو موقف لم يكن سلبياً تماماً كما شاع عند معظم الدارسين؛ بل ظهر موقف الذات في (التوأمان) محايداً ومعترفاً بالآخر، داعياً إلى التواصل معه وأخذ ما لديه من الإيجابيات ورفض ما لديه من السلبيات مع الحفاظ على المكونات الهويّاتية للذات المحلية، وفق أسلوب متمدن متسامح قويم، بعيد عن التطرف في الإلغاء والإقصاء أو في التماهي والذوبان.



كتب وقراءات

إعداد: أحمد الواصل



الكتاب: إدوارد سعيد.. أماكن الفكر

المؤلف: تيموثي برينان

ترجمة: د.محمد عصفور

الناشر: عالم المعرفة الكتاب رقم 492، الكويت، مارس 2022م

شغلت كتابات سعيد طيفاً فكرياً واسعاً جعلته يتفوق في اهتماماته المعرفية على معظم المثقفين الأمريكيين الذين أصابوا شهرة عريضة لدى عامة الناس، سواء أكانوا أمريكيين أم سواهم خلال النصف الثاني من القرن العشرين. ومع أنه عمل أستاذاً للأدب في جامعة كولومبيا معظم حياته؛ فقد تناولت كتاباته الموسيقى والفن والتاريخ والسياسة.. وهذا ما جعل منه شخصية إشكالية في المشهد العام؛ فقد رفعته تيارات اليسار السياسي والأدبي إلى مستوى النجم السينمائي، واحتفت به أيما احتفاء، أما اليمين السياسي فقد واجهه بحملات عداء، وبخاصة بعد أن أفصح عن رؤاه بشأن الكولونيالية الغربية في كتابه الأشهر عن الاستشراق (نُشرت طبعته الأولى عام 1978). يستفيض برينان في سيرته الجديدة لسعيد في بيان تفاصيل هذه الحيثيات السياسية والأدبية.



الكتاب: الطريق نحو مكان ما

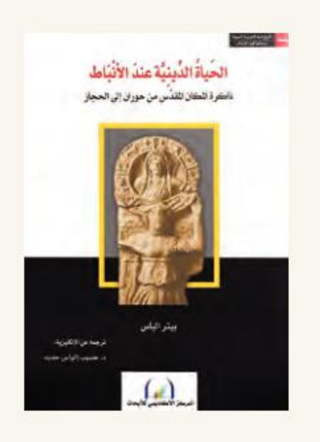
المؤلف: ديفيد غودهارت

المترجم: رضوان زيادة

الناشر: مؤمنون بلا حدود، بيروت، 2021

لا يمكن اعتبار خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي وانتخاب دونالد ترامب -وهما أكبر عمليتي اقتراع احتجاجيٍّ- أنهما تمثلان مولد عصر سيادة الشعبوية بل شيخوختها. لقد شكلت الأحداث الأخيرة الدافعَ الرئيس لتأليف هذا الكتاب، فهو محاولةٌ لتقديم نقد أوسع لليبرالية المعاصرة من صميم الرؤية الراديكالية. لقد تأثر هذا الكتاب بالفكر البعدليبرالي إلا أني لم أستخدم كلمة (ما بعد الليبرالية) في الكتاب على الإطلاق، حيث أنها كلمةٌ شديدة الإبهام ومفتوحة على حدوث لبس في المعنى المقصود. من غير الوارد أن يتم الإطاحة بالديمقراطية الليبرالية، حتى في الولايات المتحدة الأمريكية؛ فالوفاق والنظام المدني عاداتٌ راسخةٌ، وستواصل الأغلبية الساحقة نظرها إلى أمريكا على أنها أرضٌ متعددة الأعراق. على حين ستحافظ السياسة البريطانية إلى حد كبير على كونها إما تكنوقراطية أو محكومة بأولويات اليمين واليسار، كالانشغال مثلاً بإيجاد الطريقة المثلى للربط بين السوق والدولة في عمليات الإنفاق على البنية التحتية، أو إيجاد طريقة للحد من التفاوت. إلا أن السياسة الغربية قد وجدت نفسها منذ مطلع هذا القرن مجبرةً لكي تفسح المجال لأصوات جديدة يسيطر على تفكيرها القلق على حماية الحدود الوطنية وسرعة التغيير الحاصل، وأن تستمع لأولئك الذين يشعرون بأنه لا مكان لهم داخل مجتمعٍ واقتصادٍ شديدي الانفتاح.





الكتاب: الحياة الدينية عند الأنباط

المؤلف: د.بيتر ألباس

المترجم: د.حسيب إلياس حديد

الناشر: المركز الأكاديمي للدراسات، العراق، 2022

يدرسُ كتابُ (الحياة الدينيَّة عند الأنباط) النقوشَ والمنحوتات والبقايا المعماريَّة التي تركها المتدينون في كلِّ ركن من أركان دولة الأنباط، ويحلّل الآثار الدينيَّة لمدينة البتراء الصحراويَّة التي تمتدُّ من حوران إلى الحجاز، ويقدّم الكتابُ نظرةً جديدةً على خلاف الدراسات العلميَّة السابقة التي قلّلت من تنوع الممارسات والتقاليد الدينيَّة الموجودة في بلاد الأنباط، وكشفت هذه الدراسة المدعَّمة بالرسوم والخرائط عن مشهد دينيّ نابض بالحياة.



الكتاب: الحدود

المؤلف: إيريكا فاتلاند

المترجم: سمير محفوظ بشير

الناشر: العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2022

في هذا الكتاب، يعيش القارئ أجواء رحلة الكاتبة على طول الحدود الروسية التي تبدو بلا نهاية، من كوريا الشمالية في الشرق الأقصى عبر الدول المجاورة لروسيا في آسيا والقوقاز، عابرةً بحر قزوين والبحر الأسود على طول الطريق. تذكر المؤلفة كذلك في مقدمة هذا الكتاب لماذا اختارت روسيا بصفتها أكبر دولة في العالم، وتقول إنها حلمت أنها تتجول حول خريطة ضخمة بينما خطواتها تتابع خطاً أحمر متموجاً، إنه خط حدود دولة روسيا. أخذت تتجول من دولة مجاورة لهذا البلد إلى آخر، بينما روسيا الشاسعة تظهر دائماً أمامها سواء شمالاً أو شرقاً. عندما استيقظت، علمت فوراً أن ذلك هو مسار كتابها، رحلة حول الحدود الروسية من شمال كوريا حتى النرويج التي تقع شمالاً. إنه كتاب عن روسيا والتاريخ الروسي دون أن تدخل مؤلفته إلى روسيا نفسها؛ كتاب يستكشف هذه الإمبراطورية العظيمة المتوسعة عبر التاريخ كون المؤلفة جارة لها. يسرد الأحداث التاريخية المختلفة والمثيرة والمأساوية والتي لا تصدق في كثير من الأحيان لهذه الدول المجاورة وثقافاتها وشعوبها ومناظرها الطبيعية.



علي العمير مدخلي
سيرة صحافة في رجل (1937 - 2021)

| حقق المنجز الثقافي السعودي في القرن العشرين خطوات متقدمة، وتكونت المكتبة السعودية، من حقول ومجالات مختلفة، من المعارف والعلوم والآداب. هذه جولة في تلك المكتبة. |






من الصعب تجاهل شخصية الصحفي والناشر علي العمير فهو من الجيل الثالث محترف الكتابة الصحفية، أي كتابة المقالات، والدخول في المساجلات الصحفية مع شخصيات أدبية ونقدية.

إذا ما كان هناك من دراسة لتاريخ الكتابة الصحفية، أي كتابة المقالات، وكل أشكال الكتابة، فإن فن المقالة في الصحافة السعودية مدين خلال عقود النصف الثاني من القرن العشرين إلى ما أنجزه العمير.

تلقى علومه الأولية في حلقة عبدالله القرعاوي، ثم في حلقة ناصر خلوفه، ثم في حلقة حافظ بن أحمد الحكمي. وقد درس على يد هؤلاء المشايخ الفقه والحديث والتفسير والفرائض وعلوم اللغة العربية. وبعد افتتاح المعهد العلمي في صامطة اختاره حافظ الحكمي من بين قلة من تلاميذ حلقته إلى المرحلة الثانوية مباشرة ولم يدرس المرحلة المتوسطة التي كانت تسمى (التمهيدية)، وبعد أن حصل على الشهادة الثانوية من المعهد العلمي بدأ حياته العملية كاتب ضبط في محكمة الموسَم (إحدى القرى الحدودية في منطقة جازان) في نهاية عام 1375هـ، (1955). نشر أولى مقالاته في مجلة المنهل عام 1956. ثم انتقل إلى الرياض وبدأ يكتب في بعض صحفها، ومنها: مجلة الجزيرة (صحيفة الجزيرة) فيما بعد، فأوكل إليه منصب مدير تحرير المجلة، ثم رأس تحرير مجلة (ندوة المواصلات)، وبعدها عمل مديراً لمكتب صحيفة البلاد في الرياض وبقي كذلك إلى أن انتقل إلى الصحيفة نفسها في جدة ليكون المدير العام للإدارة بمؤسسة البلاد، استقال الكاتب علي العمير من الصحافة ليؤسس دار العمير للثقافة والنشر عام (1400هـ) التي أصدرت كوكبة من المؤلفات الأدبية والنقدية والتاريخية والإعلامية مع بقائه كاتباً في صحيفة عكاظ ثم بصحيفة الشرق الأوسط وكذلك مجلة المجلة، إلى أن عاد بزاويته (تحت الشمس) إلى عكاظ، فلم يستطع أديبنا العمير التواصل مع الكتابة إلا في فترات متقطعة وذلك بسبب العارض الصحي الذي ألم به وأقعده في منزله.

وقد أطلق سلاسل عدة عبر دار نشره، مثل المكتبة الثقافية التي نشر بها لكبار الأدباء والمؤرخين مثل عبدالقدوس الأنصاري وأحمد الشامي، والثقافة الإسلامية، وعالم القصة، ومكتبة الشباب.

ويذكر عنه الصحفي علوي طه الصافي في كتابه: (هؤلاء مروا على جسر حياتي)، (2005): «من طباعه أنه لا يحتفظ في مكتبته إلا بالمراجع، والمصادر، أما ما عداها من قصص، وروايات، وما شابهها فيهديها لأصدقائه بعد قراءته لها، حتى لا تصاب مكتبته بالوَرَم، أو الانتفاخ، فيضيق بها منزله!».

وحين أسس دار العمير، جمع مقالاته متفرقة وزوايا بحسب مواضيعها عبر سبعة كتب في مجلد واحد: حصاد الكتب، ومناوشات أدبية، وأدب وأدباء، وسنابل الشعر، وعلى الماشي، ورسالة الجامعة، وتحت الشمس. وصدرت عام 1982.

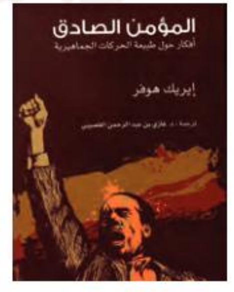
ثم أعاد طباعتها متفرقة: تحت الشمس (1983)، حصاد الكتب (1984)، مناوشات أدبية (1984)، على الماشي (1984)، سنابل الشعر (1984) تحت الشمس (1985).

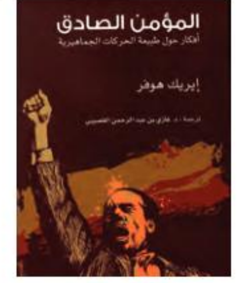
ومن بعدها أصدر كتباً أخرى متوالية: معركتان أدبيتان مع العقيلي وطبانة (1984)، مناوشات أدبية (1984)، لفح اللهب في النقد والأدب (1986) الوخزات من الأدب الساخر (1986) ركض الخاطر (1986)، كارثة صدام (1990)، كارثة المخدرات في ضوء الفكر السعودي: توثيق لمعلومات علمية ورسمية وإعلامية (1990)، منافرات صحفية (1996).

اختار من كتبه المعنية بالقضايا الأدبية فجمعها في مجلد واحد باسم (مجموعة اللفحات في النقد الأدبي) (2004).

إيريك هوفر
(1898 – 1983)

| لكل الشعوب ذاكرة وجغرافيا إما مشتركة أو متباعدة غير أن تجربة الشعوب تعود إلى مساراتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية خلقت الشعوب آدابها بداية من أساطيرها وملاحمها حتى حكاياتها ورواياتها |





عرفت الثقافة السعودية هذا الاسم عندما ترجم غازي القصيبي كتابه (المؤمن الصادق) (1951) (الطبعة الأولى من الترجمة مكتبة العبيكان، 2010). وقدمت له هذا العام دار أثرى السعودية ترجمة كتاب (محنة التغيير) (1963).

فقد حاز هوفر على اهتمام الرأي العام بعد نشره لكتابه الأول عام 1951 بعنوان (المؤمن الحقيقي: أفكار حول طبيعة الحركات الجماهيرية). حاول إيجاد الجذور النفسية وراء نشوء وصعود الحكومات الشمولية، خصوصاً ألمانيا أدولف هتلر وروسيا جوزيف ستالين، فيما سماه مصح المجانين.

اعتبر هوفر أن الحركات الثقافية المتعصبة والمتطرفة، سواء كانت دينية أم سياسية، تنشأ في ظروف يمكن التنبؤ بها: عندما يعتقد أعداد كبيرة من الناس بأن حياتهم الفردية لا قيمة لها، وأن العالم الحديث فاسد لا يمكن إصلاحه، والأمل الوحيد يكمن فقط في الانضمام إلى مجموعة أكبر تهدف إلى تغييرات جذرية. اعتقد هوفر أن تقدير الذات والشعور بالرضا تجاه الحياة هي واحدة من أهم وسائل الشعور بالمعافاة النفسية. لذلك ركز على ما اعتبره عواقب عدم احترام الذات. على سبيل المثال، لاحظ هوفر أنه في كثير من الأحيان كان يشعر قادة الحركات الجماهيرية المثقفون بالإحباط، من أدولف هتلر في أوروبا القرن العشرين إلى كزيوكوان هونغ المتذمر من فشل ترقي البيروقراطية الصينية في القرن التاسع عشر.

من مبادئ الكتاب الأساسية بأن الحركات الجماهيرية قابلة للتبادل: في ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى، كان الشيوعيون والنازيون أعداء في الظاهر، إلا أنه بشكل روتيني، كانوا يتبادلون الأعضاء لأن الحزبين حاولوا استمالات نفس النوع من الناس الغاضبين والمتذمرين من الوضع. وبنفس المبدأ، وما يقرب من ألف سنة قبل ذلك، تحول شاول، مضطهد المسيحيين المتعصب، إلى بولص الرسول، المسيحي المتعصب. لذلك اعتبر هوفر في كتابه (المؤمن الحقيقي)، أن موضوع الحركة الجماهيرية ليس في أهمية الانتماء إلى حركة نشطة ومندفعة.

كما ادعى هوفر أن نشوء هاجس عاطفي مع عالم خارجي أو مع الحياة الخاصة للآخرين هو محاولة للتعويض عن عدم وجود معنى حقيقي في حياة المرء الخاصة. الكتاب يناقش الحركات الجماهيرية والدينية والسياسية، مع مناقشات مستفيضة عن الإسلام والمسيحية.

وكان عمل هوفر خارج نطاق الفرويدية، في زمن بلغ مجال علم النفس الأمريكي أوج اندماجه بها.

يعد هوفر فيلسوف الأخلاقية والاجتماعية الأمريكي. ألف عشرة كتب وحصل على وسام الحرية الرئاسي في فبراير عام 1983. كتابه الأول، (المؤمن الحقيقي) الذي نشر في عام 1951، انتشر على نطاق واسع واعتبر كتاباً كلاسيكياً بسرعة كما تلقى إشادة من العلماء والناس العاديين على حد سواء. أما هوفر نفسه، فاعتقد أن كتابه (محنة التغيير) كان أفضل أعماله. وفي عام 2001، أنشأت (جائزة إيريك هوفر) تكريماً له مع الإذن الممنوح من قبل مؤسسة إيريك هوفر في عام 2005.

مؤلفاته المطبوعة:

1951: المؤمن الحقيقي: أفكار حول طبيعة الحركات الجماهيرية، 1955: حالة الشجن العقلي، وأمثال أخرى،1963: محنة التغيير، 1967: مزاج زماننا، 1969: العمل والتفكير على الواجهة البحرية: مجلة، يونيو 1958 إلى مايو 1971،1959: الأشياء الأولى، الأشياء الأخيرة، 1973: تأملات في حالة الإنسان، 1976: في عصرنا، 1979: قبل السبات.1982: بين الشيطان والتنين: أفضل مقالات وأمثال إيريك هوفر،1983 حقيقة متخيلة.



حصة الشيطان



الكتــاب: حصة الشيطان
المؤلـف: ميشيل مافيزولي
المترجم: عبدالله زارو
الناشــر: توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 2020.

يستعيد مافيزولي في هذا العمل حصة الشر والعتمة في الإنسان، التي حاولت أغلب الأديان والفلسفات والنظريات استبعادها، ووضع تصورات للتخلص منها، نجمت عنها حروب وصراعات دموية، ويدافع في مقابل ذلك على أن الشر لا فكاك منه، كما يقترح على مجال البحث إبستمولوجيا الشر، تأخذ في الحسبان استحالة التخلص من الشر بإعمال العقل، لأن النظريات، رغم ما تدعيه من حياد وموضوعية، ملوثة بالأخلاق لكونها تبشر بتحرير الإنسان من الشر، وإضاءة عتمة المجتمع.

وبطريقة كهذه يكشف مافيزولي للقراء قصور الحداثة، وفشل العقل في التخلص من الشر، وتَوفُّق بعض الفلسفات الدينية والنزعات الصوفية القديمة في تقديم تصور للحياة لا يُقصي حصة العتمة، وإنما يعمل على ترويضها بواسطة الطقوس، فـ(عبادة ميثرا، التي يقدمها مافيزولي، ضمن أمثلة أخرى على ذلك، تقوم قائمتها بحسب المتخصصين، على خصلة الإخلاص للوجود كله دون استثناء أي مكون من مكوناته بما فيها المعتمة والشديدة الظلمة).

يترتب عن الاعتراف بحصة الشر في الإنسان تغيير وقلب مستمر لتراتبية المعارف التي أرستها الحداثة، ومنها التراتبية الشهيرة لأوغيست كونت التي اعتقد بموجبها أن الفكر البشري يَمُرُّ من المرحلة الدينية إلى الميتافيزيقية ليصل منتهاه في المرحلة الوضعية، ويعمق جرح الأنا الحداثية بإعلانه أن القديم هو ما بعد الحداثي، لأن هذا القديم الذي نبذته الحداثة، يُقَدم تصوراً مقبولاً للحياة، كما يتمثل ذلك في التصوف، والأسطورة لكونهما أخذا بعين الاعتبار حصة الشيطان في الإنسان، ويتقاطعان، في ذلك، من عدة جوانب، مع التصور ما بعد الحداثي الذي يعترف بشرور البشر، ومناطق العتمة.

وعلى غرار فرويد، الذي بيّن أن اللاشعور هو محرك الوعي، والحياة (العقلية)، ونيتشه الذي استعاد الوهم بعد إقصاء الحداثة له من مسرح الحياة، يوضح مافيزولي في مختلف فصول هذا الكتاب أن حصة الشيطان والشر في الإنسان هي الفاعل في ديناميات المجتمعات. فالشر يمارس قسطه من التأثير في العالم وحيوات بني البشر، وإن نكرانه هو المسؤول على الدمار الذي يلحق العالم، فباسم الأخلاق أريقت الدماء، وقدّمت الدروس في ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان، ولا فكاك من هذه الوضعية، في نظر مافيزولي، إلا بالإقرار بحصة الشيطان في الإسان، وفي كل شيء، وبالتالي فليس لنا من خيار آخر غير حُسن استعمالها وتدبيرها وتصريفها، وهو ما عملت به، من ذي قبل، حسب مافيزولي، إبستمولوجيا الشر، فهي (صنف من المعرفة الباطنية المُستبطنة التي هي نصيب عامة الناس)، تتميز برصد ووصف دقيق للقوى العميقة التي تحرك الفرد والجماعة، وتأخذ بعين الاعتبار الشر، وتبتعد عن طموح (الأنواري) المهووس بأسطورة الإنسان الكامل.

إن الإقرار بحصة الشر، يترتب عنه تقبل التناقضات التي ترفضها الحداثة، إذ يدافع مافيزولي عن وحدة الحياة بتناقضاتها، قائلاً: (إن القبول بالظل، تقبّله، وليس سوى القبول وتقبل الحياة نفسها مع ما يكتنفها من ازدواجيات، هو السبيل السالك نحو اكتشاف ما يزخر به الوجود من جوانب فريدة ومتفردة، أي من جوانب ألماسية (من جوهرة الماس)).

ولم يكن مافيزولي في أبحاثه مجرد مُدّع لأمور كهذه، بل يجسدها في كتاباته، ومنها هذا الكتاب، إذ لا يبني تحليلاته على ما ينتجه (العقل الفلسفي)، بل يحيل في ما يصف ويحلل على من يعتبرهم الحداثيون، والسوسيولوجيون الوضعانيون (لاعقلانيين)، ومنتجين (للسوسيولوجيا العفوية)، وغارقين في (الحس المشترك)، والأساطير الدينية من جماعات فنية وصوفية.

إدارة الحج إلى مكة

الكتــاب: إدارة الحج إلى مكة
المؤلف: مايكل كريستوفرلو
المترجم: ربيع هندي
الناشــر: الدار العربية - ناشرون، بيروت، 2022.

مع ظهور السفينة البخارية، أدى تفشي وباء الكوليرا المتكرر إلى جعل الحج المحيط إلى مكة شكلاً خطيراً من أشكال السفر ووسيلة لعولمة الأمراض الوبائية. كما خشي المسؤولون الأوروبيون، وبخاصة الهنود البريطانيون، من أن فترات الإقامة الطويلة في الجزيرة العربية قد تعرض رعاياهم المسلمين لتأثيرات التطرف من المنشقين المناهضين للاستعمار والنشطاء الإسلاميين.
إن قدرة الإمبراطوريات الاستعمارية الأوروبية المكتشفة حديثاً على تحديد شروط السفر للحج لم تؤثر فقط على حياة الملايين من الحجاج ولكنها أيضاً تحدت بشكل كبير الإمبراطورية العثمانية، القوة الإمبراطورية الإسلامية الوحيدة المتبقية في العالم.
يحلل مايكل كريستوفر لو الحج العثماني المتأخر ومنطقة الحجاز على أنها مساحات عابرة للإمبراطورية، أعادت تشكيلها القوى المتنافسة لمشروع إسطنبول لتحديث الحدود والوصول إلى خارج الحدود الإقليمية لإمبراطورية السفن البخارية الهندية البريطانية في المحيط الهندي والبحر الأحمر. أعادت مكة الإمبراطورية صياغة المملكة العربية العثمانية كحدود بعيدة وغير مستقرة شبه مستقلة والتي كافحت إسطنبول لتحديثها والدفاع عنها ضد هجوم حركة السفن البخارية الاستعمارية. كما اتضح، لم تكن البواخر تحمل الحجاج وجوازات السفر والميكروبات فحسب، بل شبح الإمبريالية القانونية والتدخل الاستعماري.
على مدار نصف قرن تقريباً من خمسينات القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الأولى، أفسح خوف الهند البريطانية من الحج باعتباره ناقلاً للتخريب المناهض للاستعمار الطريق تدريجياً إلى حماية إدارية وقانونية وطبية متطورة بشكل متزايد على باخرة الحج، مما يهدد بالكسوف. الدولة العثمانية والمطالبة بإضفاء الشرعية الثمينة للخلافة كحامية لأقدس الأماكن الإسلامية. بالاعتماد على مجموعة واسعة من المصادر الأرشيفية العثمانية والبريطانية، يلقي هذا الكتاب ضوءاً جديداً على التاريخ عبر الإمبراطوري والعالمي الذي تم اجتيازه أثناء الحج إلى مكة.
يذكر آلان ميخائيل، مؤلف كتاب ظل الله: السلطان سليم، إمبراطوريته العثمانية وصناعة العالم الحديث بأنه يقودنا هذا الكتاب المهم للغاية، المدعوم بأبحاث أرشيفية ضخمة وشحن نثر مفعم بالحيوية، خلال فترات تضخم تاريخية مستعصية للوصول إلى تاريخ جديد تماماً للإمبراطورية العثمانية المتأخرة، وهو تاريخ يتناقش فيه الحجاز والمسلمون الهنود والجويون والحكومة الحديثة حوله. خارج الحدود الإقليمية، والعلوم والتكنولوجيا هي الأطراف الرئيسة. إنجاز كبير.
ويذكر فايز أحمد، مؤلف كتاب (نهوض أفغانستان: القانون الإسلامي وفن الحكم بين الإمبراطوريتين العثمانية والبريطانية) بأنه تضيء مدينة مكة المكرمة عملية صنع الحج والأنظمة التكنوقراطية الحديثة في شبه الجزيرة العربية في مطلع القرن العشرين. إزاحة التأكيدات التقليدية مثل المخاوف الأوروبية من الخلافة العثمانية، أو (القومية الإسلامية)، أو أشكال أخرى من الاستثناء الإسلامي، يصور Low بوضوح كيف أن تقنيات السفر والاتصال والمراقبة الجديدة، المتشابكة مع العوامل البيئية والوبائية ذات الصلة، شكلت الفرص و حدود القوة الإمبريالية العثمانية والبريطانية. جولة بالقوة في موسم الحج في المحيط الهندي.
ويعلق جون إم ويليس، مؤلف كتاب (عدم صنع الشمال والجنوب: رسم الخرائط للماضي اليمني) بأن كتاب مكة الإمبراطورية هي مساهمة مثيرة في الأدب حول التاريخ الدولي للحج. بعيداً عن أهميته الدينية، يوضح Low على أساس أعمال أرشيفية دقيقة أن إدارة الحج وفرت نقطة الدخول لتطوير عقلانية حكومية عثمانية حديثة تعمل من خلال إدارة التنقل والمرض والبيئة والقانون.
حاز الكتاب على جائزة ألبرت حوراني للكتاب للعام 2021 من جمعية دراسات الشرق الأوسط.





ناصر الحزيمي: الرياض

موارد باولو كويلو في رواية (الخيميائي)

تتكئ رواية (الخيميائي) على فكرة القدر، وهي فكرة إيمانية بحتة تعالج الكسب الإنساني خيره وشره من منطلق تسليمي وهو أن ما أصابنا ما كان ليخطئنا وما أخطأنا ما كان ليصيبنا، هذه هي ركيزة الاعتقاد بالقدر خيره وشره. كما أنها تفعل دور الحلم في التصرف في الأفعال، فالنص حلم والحلم نص قابل للتحقق.

وهي تحكي قصة شاب من الريف الإسباني اسمه (سانتياغو) يعمل في رعي الغنم رأى رؤيا أو حلماً أكثر من مرة، يقول له: إن هناك كنزاً تحت سفح الهرم، فيرحل إلى المغرب ومنها إلى مصر حيث يذهب للمكان الذي توقع أن تحته الكنز، وأثناء عملية الحفر يهجم عليه لصوص، ويروي لهم أنه رأى رؤيا تخبره عن وجود كنز تحت سفح الهرم فيسخر منه قائد اللصوص ويخبره أنه رأى مرتين حلماً يخبره أن هناك كنزاً في إسبانيا، فذكر له قريته والكنيسة المهدمة التي يأوي إليها الرعاة وأن الكنز تحت شجرة الجميز. وهنا يتنبه سانتياغو فيعود إلى إسبانيا ويستخرج كنزه. والرواية حسب الطبعة الموجودة عندي تقع في 191 صفحة من القطع الصغير. أما النص الذي اعتمد عليه كويلو في (ألف ليلة وليلة) كما أشار كويلو، فيقع في نصف صفحة تقريباً. وورد في طبعة بولاق هكذا:

«ومما يحكى أن رجلاً من بغداد كان صاحب نعمة وافرة ومال كثير، فنفذ ماله وتغير حاله، وصار لا يملك شيئاً، ولا ينال قوته إلا بجهد جهيد، فنام ذات ليلة وهو مغموم مقهور، فرأى في منامه قائلاً يقول له: إن رزقك بمصر فاتبعه وتوجه إليه، فسافر إلى مصر فلما وصل إليها أدركه المساء، فنام في مسجد وكان بجوار المسجد بيت، فقدر الله تعالى أن جماعة من اللصوص دخلوا المسجد وتوصلوا منه إلى ذلك البيت، فانتبه أهل البيت على حركة اللصوص وقاموا بالصياح فأغاثهم الوالي بأتباعه، فهربت اللصوص ودخل الوالي المسجد فوجد الرجل البغدادي نائماً في المسجد، فقبض عليه وضربه بالمقارع ضرباً مؤلماً حتى أشرف على الهلاك، وسجنه فمكث ثلاثة أيام في السجن، ثم أحضره الوالي وقال له: من أي البلاد أنت؟ قال: من بغداد. قال له: وما حاجتك التي هي سبب في مجيئك إلى مصر؟ قال: إني رأيت في منامي قائلاً يقول: إن رزقك بمصر فتوجه إليه، فلما جئت إلى مصر وجدت الرزق الذي أخبرني بتلك المقارع التي نلتها منك. فضحك الوالي حتى بدت نواجذه. وقال له: يا قليل العقل أنا رأيت ثلاث مرات في منامي قائلاً يقول لي: إن بيتاً في بغداد بخط كذا ووصفه كذا يحوشه جنينة تحتها فسقية بها مال له جرم عظيم، فتوجه إليه وخذه فلم أتوجه، وأنت من قلة عقلك سافرت من بلدة إلى بلدة من أجل رؤيا رأيتها وهي أضغاث أحلام، ثم أعطاه دراهم وقال له: استعن بها على عودك إلى بلدك فأخذها وعاد إلى بغداد. وكان البيت الذي وصفه الوالي هو بيت ذلك الرجل. فلما وصل إلى منزله حفر تحت الفسقية فرأى مالاً كثيراً ووسع الله عليه رزقه». هذا هو النص الذي اتكأ عليه كويلو في روايته (الخيميائي).

وكما ترون هو نص قصير جداً إلا أن عبقرية الروائي صنعت منه رواية متميزة. وغالباً أن نص (الليالي) مأخوذ عن نص ذكر في كتاب (الفرج بعد الشدة) للقاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي المتوفى سنة 384هجرية. قال القاضي التنوخي: «حدثني أبو الربيع سليمان بن داود البغدادي، صاحب كان لأبي، وكان قديماً يخدم القاضيين أبا عمر محمد بن يوسف، وابن أبي الحسين في دورهما... قال كان في جوار القاضي قديماً: رجل انتشرت عنه حكاية، وظهر في يده مال جليل، بعد فقر طويل، وكنت أسمع أن أبا عمر حماه من السلطان، فسألت عن الحكاية، فدافعني طويلاً، ثم حدثني قال: ورثت عن أبي مالاً جليلاً، فأسرعت فيه، وأتلفته، حتى أفضيت إلى بيع أبواب داري وسقوفها، ولم يبق لي من الدنيا حيلة، وبقيت مدة بلا قوت إلا من غزل أمي، فتمنيت الموت. فرأيت ليلة في النوم، كأن قائلاً يقول لي: غناك بمصر، فاخرج إليها. فبكرت إلى أبي عمر القاضي، وتوسلت إليه بالجوار، وبخدمة كانت من أبي لأبيه، وسألته أن يزودني كتاباً إلى مصر، لأتصرف بها، ففعل، وخرجت. فلما حصلت مصراً، أوصلت الكتاب، وسألت التصرف، فسد الله علي الوجوه حتى لم أظفر بتصرف، ولا لاح لي شغل.

ونفدت نفقتي، فبقيت متحيراً، وفكرت أن أسأل الناس، وأمد يدي على الطريق، فلم تسمح نفسي، فقلت: أخرج ليلاً، وأسأل،

فخرجت بين العشاءين، فما زلت أمشي في الطريق، وتأبى نفسي المسألة، ويحملني الجوع عليها، وأنا ممتنع، إلى أن مضى صدر من الليل، فلقيني الطائف، فقبض علي، ووجدني غريباً، فأنكر حالي، فسألني عن خبري، فقلت: رجل ضعيف فلم يصدقني، وبطحني، وضربني مقارع.

فصحت: أنا أصدقك. فقال: هات. فقصصت عليه قصتي من أولها إلى آخرها، وحديث المنام. فقال لي: أنت رجل ما رأيت أحمق منك، والله لقد رأيت منذ كذا وكذا سنة، في النوم، كأن رجلاً يقول لي: ببغداد في الشارع الفلاني، في المحلة الفلانية -فذكر شارعي، ومحلتي، فسكت، وأصغيت إليه- وأتم الشرطي الحديث فقال: دار يقال لها: دار فلان -فذكر داري واسمي فيها بستان وفيه سدرة-، وكان في بستان داري سدرة، وتحت السدرة مدفون ثلاثون ألف دينار، فامض، فخذها، فما فكرت في هذا الحديث، ولا التفت إليه، وأنت يا أحمق، فارقت وطنك، وجئت إلى مصر بسبب منام. قال: فقوي بذلك قلبي، وأطلقني الطائف، فبت في بعض المساجد، وخرجت مع السحر من مصر، فقدمت بغداد، فقطعت السدرة، وأثرت تحتها، فوجدت قمقماً فيه ثلاثون ألف دينار، فأخذته، وأمسكت يدي، ودبرت أمري، فأنا أعيش من تلك الدنانير، من فضل ما ابتعت منها من ضيعة وعقار إلى اليوم».

وجاء في كتاب (أساطير شعبية من قلب جزيرة العرب) لأستاذنا عبدالكريم الجهيمان سالفة (الحطاب وكنز بوابة بغداد) ما يلي: هاك الرجال الفقير الذي يذهب إلى الصحراء فيقطع من أشجارها حطباً ثم يحمله على حماره ويأتي به إلى سوق المدينة ليبيعه... ويشتري بثمنه قوتاً له ولزوجته... وبينما كان ذات ليلة نائماً شعر وكأن شخصاً أيقظه من منامه.. وقال له: أي معيشة معيشتك.. إنها كد ونكد.. وأمامك الغنى والثروة إذا سمعت نصيحتي.. فاذهب إلى بغداد واحفر تحت بوابتها الشرقية في مكان حدده بالسنتي والمتر.. حتى صمم على السفر إلى بغداد.. فلعله يجد هذا الكنز.. وباع حماره.. ووجد الحطاب قافلة مسافرة للعراق، فسافر معها.. ووصلت القافلة إلى بغداد.. وفي الصباح الباكر.. أخذ يبحث عن البوابة الشرقية حتى وجدها، هي بعينها.. وبدأ في الحفر.. واستمر.. فلم يجد شيئاً.. فأصيب بخيبة أمل كبيرة.. وندم على مسعاه الفاشل.. وعندما كان يتجول في السوق رأى بياعاً فأعجبه أحد العناقيد فاشتراه.. فقال الحطاب في نفسه لماذا لا أذهب إلى هذا الشيخ وآكل العنقود أنا وإياه؟ وأقص عليه رؤياي الفاشلة فلعلي أجد عنده ما يسليني ويخفف من مصابي.. فتوجه إلى جهة الشيخ.. فاستوى الشيخ جالساً.. فمد الشيخ يده وجعل الاثنان يأكلان من عنقود العنب.. وقال الشيخ للحطاب إنك غريب فيما يظهر فمن أي بلد؟ وفي أي عمل تعمل؟

فقال الحطاب: إنني من نجد.. وقد جئت هنا بسبب رؤيا رأيتها في المنام فقال له الشيخ وما هي؟ فأخبره، فقال الشيخ: إنك لرجل خيالي تعيش مع الأوهام.. وتتابع الأحلام.. وتريد الثراء من الهواء.. لقد حدث لي مثل ما حدث لك.. ولكني لم أندفع كما اندفعت ولم أغامر كما غامرت.

فقال الحطاب وما الذي حدث لك؟

... وتابع الشيخ حديثه، فقال: لقد أتاني آت في الليل وأيقظني من منامي.. وقال لي اذهب إلى أشيقر.. وابحث عن بيت فلان فإن تحت مربط حماره كنزاً ثميناً.

وكانت البلدة التي ذكرها هي بلدة الحطاب والاسم الذي ذكره هو اسم الحطاب.. والبيت الذي وصفه هو بيت الحطاب.

وسمع الحطاب هذا الكلام فوعاه.. ووجد قافلة متجهة إلى نجد فرافقها.. ووصل إلى بلده.. ثم شرع في الحفر.. وبعد عدة دقائق وجد الكنز.

«جعل الله يرزك (يرزقك) مثل ما رزك (رزق) ابن رواف».

سمعت من الوالدة -أمد الله بعمرها- أن ابن رواف كان حمّاراً في الزبير يكد على حماره. وفي أحد الأيام رأى رؤيا تقول له: إن رزقه في الشام، فشد رحاله ورحل إلى الشام. وفي دمشق ضاقت به الحال لعدم تحقق الرؤيا. وفي أحد الأيام جلس إلى أحد أهل الشام فسأله عن حاله ولم يعرف اسمه فقال له ابن رواف: إن الذي أتى بي إلى الشام رؤية رأيتها في العراق تقول لي: إن رزقي في الشام فأتيت هنا، فضحك الرجل وقال وشددت رحالك بسبب رؤيا؟ قال له: نعم، قال: أنا منذ مدة أرى رؤيا وتتكرر علي دائماً أن رزقي تحت مربط حمار ابن رواف في البصرة وهنا تنبه ابن رواف وعاد للزبير وحفر تحت مربط حماره ووجد الكنز الذي هو سبب غناه ويقال إنه نذر نذراً وهو (أن يبني مسجداً في كل بلد يمر عليها)، (وعندنا في الزبير مسجد اسمه مسجد الرواف بني في أوائل القرن الثاني عشر الهجري).

- ألقيت هذه الورقة ضمن نشاط جماعة السرد في النادي الأدبي في الرياض سنة 2006م.

- يوجد في هذا المقال نصوص كتبت باللهجة العامية الدارجة. وللأمانة أبقينا عليها كما وردت في مصادرها.

المواطنة وروح المسؤولية

المحافظة على الهوية، وترسيخ الانتماء الوطني، من العوامل التي تحرص عليها كل الدول، لضمان الولاء للوطن والإسهام في حراكه التنموي، والدفاع عنه بكل الوسائل والأساليب، لدرجة الإيمان، وقد قيل إن حب الوطن من الإيمان، ولكنه إيمان يرتبط دائماً بمقدار ما يقدمه الوطن لمواطنيه من حياة حرة وكريمة، فالوطن بمعناه (الرومانسي) لا تكتمل صورته الجميلة إلا بمقدار ما يحققه الوطن (الواقعي) لمواطنيه من عطاء يستوجب الوفاء والتضحية والدفاع المستميت عن كل منجزاته ومكتسباته، وكل منجز لا يهم المواطن يعتبر عبئاً وحملاً ثقيلاً على نفوس المواطنين، وهدراً للثروة الوطنية، وما يخدم الوطن والمواطن هو الهدف الأساس للدولة، في كل مشاريعها التنموية وسياستها الإنمائية، وإستراتيجيتها السياسية، والمواطن هو محور التنمية وهدفها الأساس، لذلك تصبح مشاركته في البناء التنموي من أوجب الواجبات، دون مساومة أو خلاف، باعتبار هذه المشاركة أول شروط الانتماء الوطني، وفاءً لما يقدمه الوطن لأبنائه، فالوطن شجرة وارفة الظلال عليك أن تشارك في سقياها قبل أن تطالب بنصيبك من ثمارها.

لكن بعض المواطنين وفي كل الأوطان، يعتبر انتماءه الوطني مكسباً شخصياً يتباهى به أمام الآخرين، وقد تدفعه هذه النظرة إلى اعتبار غيره من غير المواطنين أفراداً أقل منه شأناً، ليس بحكم ما يضمنه له القانون من امتيازات وحقوق وطنية، هي من حقه دون جدال، ولكن فقط بحكم انتمائه الوطني المجرد من كل معاني الانتماء الحقيقي، مع أن الوطنية الحقيقية لا تتحقق بمعناها العام بمجرد حمل بطاقة الهوية، ولكنها تتحقق بمعناها المتجرد من الأنانية بالمشاركة المجتمعية والوطنية في البناء التنموي، وهؤلاء الذين تتلبسهم حالات حادة من الفوقية تجاه الآخرين لا يمكن أن يخدموا أوطانهم، بل هم يسيئون إليها عن قصد أو عن غير قصد، وكثيراً ما تدان الأوطان نتيجة تصرفات بعض أبنائها الذين لم يقدروا نعمة انتمائهم لأوطانهم، ولم يحترموا غيرهم من البشر، وكأنهم خلقوا من كوكب آخر، عندما تعتريهم حالات الشعور بالفوقية تجاه غيرهم، ويسكنهم هاجس التفرد والتميز، لا عن طريق أي منجز حضاري حققوه أو يحققونه على المستوى الفردي، ولكن عن طريق أوهام رسخت في أذهانهم عن حقوق المواطن - دون واجباته - وهي أوهام تتناقض مع المفهوم الحقيقي للانتماء، مع أن كل حقوق تقابلها واجبات، وبإهمال هذه الواجبات تنتفي تلك الحقوق، وحينها يصبح هذا المواطن أداة تعرقل الحراك التنموي في بلاده، وقد تدفعه هذه النظرة الفوقية إلى ارتكاب ما لا يغتفر من الأخطاء ضد وطنه ومواطنيه. وفي جميع الأوطان ودون استثناء ربما كان بعض الوافدين أكثر وفاءً من بعض المواطنين الفاقدين لدورهم الوطني.

وحتى لا تصبح الوطنية عقدة تتحكم في تصرفات المواطن لمجرد حمله لبطاقة الهوية، لا بد من ترسيخ معنى هذه الوطنية من خلال عدة مسارات منها التربية القائمة على ترسيخ حب الوطن في أذهان الناشئين، ومنها الإيمان بإنسانية الإنسان والحكم عليه بمقدار ما ينجزه من عطاء في مجال عمله، مع التخلي عن تضخم الذات والنظرة الفوقية للآخر، ولأن لكل فعل رد فعل، فإن ذلك يولد أحياناً نظرة فوقية أخرى من ذلك الآخر، عندما يحكم على كل المواطنين بناء على تصرف فردي وغير مسؤول.

ما يحتاجه الوطن هو النظرة الإيجابية للواقع، والتعامل مع هذا الواقع بروح عالية من الشعور بالمسؤولية، والقيام بالواجب في إطار المصلحة العامة التي تتبناها الدولة ويسعى لتحقيقها المواطنون.



خليل إبراهيم الفزيع: الدمام



إبراهيم حلوش - شاعر سعودي

المجلة العربية



سوق القيصرية التراثي بالأحساء..
رمم بعد حريق عام 1422، بقرار من هيئة السياحة، مما ساهم لاحقاً بتسجيل الأحساء في قائمة التراث العالمي.